الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية أصول الدّين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل:.....

الرقم التسلسلي: .....

المصالح الإنسانية وعوامل تنميتها وحفظها في اليهودية والمسيحية والإسلام –دراسة مقارنة –

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه في مقارنة الأديان

تقديم الطالب:

عبد الله بلمهدي

تحت إشراف الأستاذ:

د. صالح بوجمعة

لجنة المناقشة

الاسم واللّقب	الدّرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
كمال معزي	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
صالح بوجمعة	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مقررا ومشرفا
محمد بودبان	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضوا مناقشا
موسى معيرش	أستاذ التعليم العالي	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا
نعيمة إدريس	أستاذ محاضر أ	جامعة قسنطينة3	عضوا مناقشا
زبيدة بن ميسي	أستاذ محاضر أ	جامعة قسنطينة3	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2016–2017

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

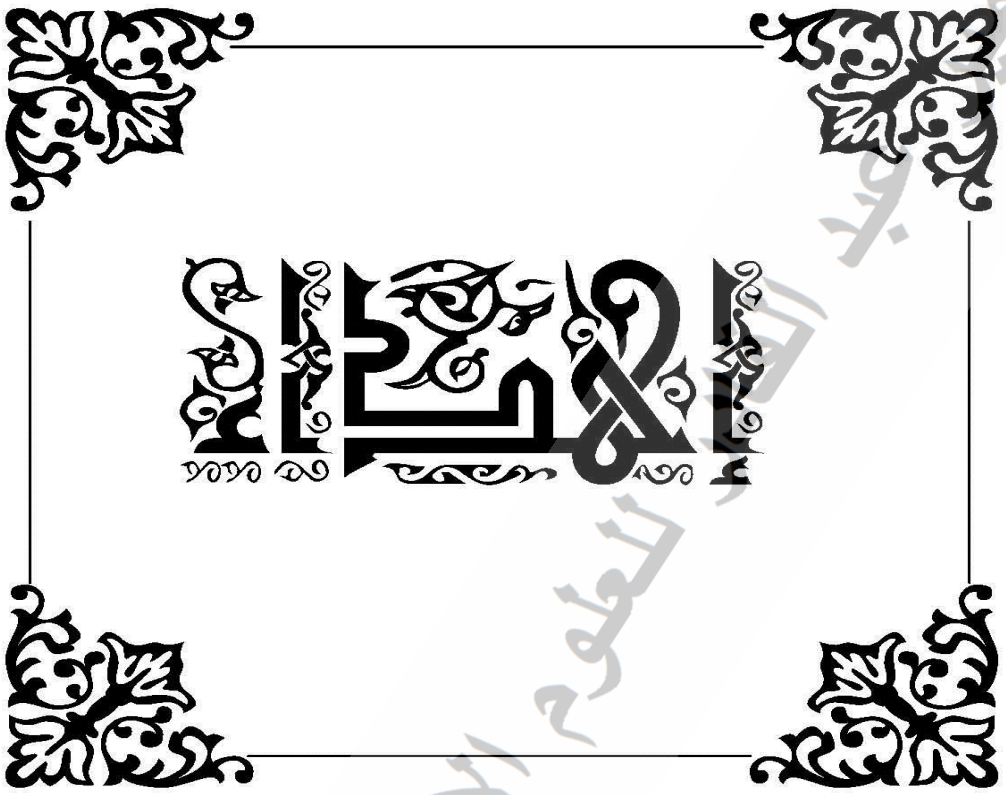

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
كلية العلوم الإسلامية

إلى من كانا سببا في وجودي وربياني صغيرا أمي وأبي العزيزين حفظهما الله وبارك فيهما.

إلى روح الذي علمني كيف أفهم الإسلام وأن الطريق من هنا الشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

إلى الصابرة والصامدة زوجتي الكريمة.

إلى أولادي رفيدة وعبد الهادي وقتيبة.

إلى كل من يدعو إلى كلمة سواء أهدي هذا الجهد المقلّ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور مسعود حايفي، الذي سعدت بإشرافه علي وتوجيهاته، كما أجزل الشكر والتقدير إلى المشرف البديل الأستاذ صالح بوجمعة... يعجزني أن أعدد أفضاله عليّ في مسيرة بحثي كلها، دعم بالمراجع، ودفع بالقول المحفّز،... هذا فيض من خير.

كما أنني أشكر وأقدر كل من وقف إلى جانبي وشجعني من أمثال الأساتذة الكرام سامي الكناني آسيا شكيرب، ومحمد بودبان وهشام طالبي وغيرهم، ولا أنسى المرحوم الأستاذ خزار الذي قال لي كلمة بقيت تدفعني إلى مقاومة الفشل والكسل حتى أنهيت بحثي... هذه الكلمة –بعد أن عددت له أسباب التعطل– إن خوفك من البحث هو الذي يمنعك منه–.

أشكر الأستاذ الدكتور نذير حمادو، والدكتور كمال العرفي على ما أسداه لي من نصح وإرشاد.

ولا أنسى إدارة جامعتنا التي منحت لي فرصا للبحث خارج البلاد، والشكر موصول إلى القائمين على مكتبتي الشيوخ والطلبة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية وإلى كل من دعا لي في ظهر الغيب.

الطالب: عبد الله بلمهدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

منذ منتصف القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين عاش العالم الإنساني ثورة صناعية كبيرة ونهضة علمية هائلة، أثرت على جوانب كثيرة في حياة الإنسان. ففي الجانب الفلسفي ظهرت الفلسفة المادية التي تقول بأن الدين هو حيلة الكهنة وضعوه من أجل السيطرة على رقاب الناس وتسخيرهم لصالحهم ؛ وأن الإنسان مجبر في تصرفاته وأعماله من قبل الطبيعة، ولذلك لا يوجد ما يحاسب عليه ؛ ثم هو يعيش صراعا بين مادة جسمه وروحه فينبغي أن تكون الغلبة للجسد والمادة ، كما أن وجوده يقوم على تحقيق اللذة والمنفعة بأي طريقة كانت ما دامت الحياة تسري في كيانه ، وأن كل شيء يتطور في الإنسان ، فليس في الإنسان إلا ما هو متغير ، وبالتالي لا توجد مبادئ ولا قيم تكبح جماح الهوى ، بل ينبغي للإنسان – وهو يسير في مناكب الأرض – أن يصحب معه الشعار القائل : البقاء للأقوى ، ولا توجد حياة أخرى غير الحياة الدنيا ؛فكانت ثمرة هذه الفلسفة ، القضاء على الجانب العاطفي في الإنسان ، فأضحت الإنسانية تعيش أزمة أخلاقية خطيرة نجم عنها الشقاء والقلق والخوف الدائم على الأنفس والأعراض والأموال والأملاك .. وصار نتاج العلم والاكتشافات والاختراع الصناعي في خدمة هذه الأزمة.

وبعد فترة من الزمن أدرك علماء الإجتماع ومعهم الزعماء السياسيون ، بأن الدين ضرورة اجتماعية فطرت عليه البشرية منذ بدء الخليقة ولا يمكن الاستغناء عنه كما لا يمكن أن نستغني عن الطعام والشراب . ولكن مع رد الاعتبار للدين والاعتراف به كعامل مهم في الاستقرار الإجتماعي ، لا تزال المجتمعات الإنسانية إلى اليوم تعيش الأزمة وتعاني القلق والخوف .

و نرى أن السبب يرجع لكون الأديان حادت عن دورها الحقيقي في إصلاح الفرد والمجتمع روحيا وأخلاقيا وأصبحت في خدمة الطبقة الحاكمة وسياساتها ، ومؤيدة لها في مواقفها حتى ولو كانت جائرة ، وقد رضي قادة

الأديان بهذا الدور المتملق في غالب الأحيان ، ولا ننكر بعض المحاولات التي تصدر من بعض الهيئات الدينية المختلفة لعقد مؤتمرات الحوار تهدف الى تحقيق التعارف والتعايش بين أهل الأديان المختلفة ، وهذا مكسب عظيم يجب المحافظة عليه في الوقت الذي يرفض فيه المتطرفون الدينيون – ومن ورائهم بعض ساسة الدول – الحوار ولا يؤمنون إلاّ بفكرة حتمية الصراع .

إن بحثنا هذا يأتي ليقف إلى جنب من يدعو إلى الأخوة الإنسانية ، وإلى السلام والتعايش ؛ وذلك لأن الأديان السماوية مصدرها إله واحد ؛ ومن وجهة النظرة الإسلامية ، أن هذه الأديان أصلها يرجع إلى ملة أبينا إبراهيم– عليه السلام – ، ولم تكن دينا واحدا لأنها اختلفت على بعضها بسبب الظروف ؛ وعليه فإن موقفنا هذا لا يعني أبدا الدعوة إلى وحدة الأديان في ظل التنازل عن مبادئ كل دين لصالح الغير ؛ ولكن هي دعوة إلى التعايش والاعتراف بحق الوجود للآخر ، ودعوة إلى التعاون على الدفاع عن الإنسان من جهة نفسه وعرضه وماله وغير ذلك مما لا يمكن أن يعيش من دونه عزيزا كريما . وهذا لا يمنع أهل الأديان في الوقت نفسه أن يتدارسوا القضايا المختلف فيها عن طريق ملتقيات الحوار في نطاق البحث العلمي حتى ولو لميؤدّي ذلك إلاّ إلى طريق مسدود ولكنه سيبقى تراثا طيبا تستفيد منه البشرية جمعاء في مستقبلها المنظور .و لكن في دراستنا هذه سنعالج ما اتفقت عليه النصوص المقدسة لكل دين سماوي بخصوص المشترك الإنساني ، والذي جاءت الأنبياء والرسل لتكريسه في الناس ، ليعيشوا في سلام ؛ فأهمّ مشترك هو الدين فالكل يؤمن بوجود الله تعالى وبوجوب طاعته وعبادته والخوف من عواقب الظلم والإفساد، والمشترك التالي هي حرمة النفس ووجوب المحافظة عليها ومحاربة كل أشكال الإعتداء عليها .

إشكالية الموضوع:

انطلاقا من الإيمان الإسلامي بأن الأنبياء والرسل جاءوا لدعوة الناس إلى خالقهم وربط علاقتهم به وإصلاح أخلاقهم في كل ميادين الحياة ، وكلهم يعملون لهدف واحد وهو تحقيق مصلحة الإنسان في دنياه وآخرته ؛ ونعتقد أيضا أن كتب الأنبياء قبل النبي محمد عليه وعلى جميع الأنبياء فضل الصلاة ووأزكى تسليم قد مرّت بظروف قاسية أدّت إلى ضياع أصولها ، وحاول الأنصار أن يتداركوها بزمن غير يسير فكتبوا ما علق بأذهانهم وأذهان آبائهم وأجدادهم فكان ما هو بين أيدينا اليوم التوراة التي تسمّى به كتاب موسى ، والإنجيل الذي تسمى به كتاب عيسى – في اعتقادنا – وعليه فإننا أمام إشكالية كبرى نطرحها على مائدة البحث وهي: **هل في الديانة اليهودية والديانة المسيحية بمصادرهما المقدسة بشكلها الحالي مبادئ تحافظ على المصالح الإنسانية وتنميها، كما هو موجود عندنا في الدين الإسلامي ؟**

و تندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية، مثل: فهل تشير نصوص التوراة والإنجيل ما يمكن اعتباره عاملا في حفظ المصالح الإنسانية ، وعاملا في تنميتها ؟.

فإن لم يكن ذلك صريحا فهل يوجد ما يشير إلى ذلك ؟.

و كيف تعاملت النصوص الإسلامية مع مسألة الحفاظ على المصالح الإنسانية والعمل على تنميتها؟

و أي النصوص – التوراة والإنجيل والقرآن الكريم- كان ملما وكاملا في تحديد قواعد تحافظ على المصالح الإنسانية وتنميها؟.

أسباب اختيار الموضوع:

بناء على ما تقدم اجتمعت في اختياري لموضوع المصالح الإنسانية في الأديان السماوية أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الذاتية فأجملها في ثلاث نقاط هي:

1- لأنني أميل دائما إلى البحث عن الموضوعات العملية العملية التي تتضمن حلال للمشاكل التي نعيشها في واقعنا الحالي .

2- لتعلق الموضوع بتخصص مقارنة الأديان، وهو نفس تخصصي في مراحل الدراسية في الجامعة ليسانس وماجستير.

3- سعيا في تنمية التخصص خدمة للدعوة إلى الله بأحسن الطرق.

أما الأسباب الموضوعية فترجع إلى أمر واحد هو: لأن السعي من أجل تحقيق المصالح الإنسانية هي أهداف مشتركة بين الأديان السماوية، فيمكن أن يلتقي عليها روادها ويشكلوا من أجلها تحالفا إيجابيا لصالح كوكب نعيش فيه أسرة واحدة، فليكن تحالفا ضد ظاهرة الإلحاد، وجرائم الزنا، والربا، والتعدي على النفس وغير ذلك.

أهمية الموضوع:

- تتجلى أهمية الموضوع في إظهار عظمة الإسلام عن طريق المقارنة، لأن نفاسة الشيء لا تظهر جليا إلا من خلال مقارنته بغيره.
- ولأن موضوع حفظ ضرورات الإنسان وتحقيقها هو حديث الإنسانية اليوم، سواء في قضية التديّن والدين أو الدفاع عن الأعراض وحماية الأموال وحق الحياة وغير ذلك ؛ فلا بد إذن من أن نظهر كلمة الدين للعالم الإنساني.

- كما تتجلى أهمية الموضوع في مساهمته في التقريب بين أبناء العمومة (بني إسماعيل وبني إسرائيل) من أجل تقديم خدماتها للإنسانية مما يؤدي حتما إلى الحوار والتعارف.

أهداف اختيار الموضوع:

تتمثل أهداف الموضوع في الأمور التالية:

- محاولةالكشف عن المصالح الإنسانية في التوراة والإنجيل وبيان مدى اتفاقها مع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- تحقيق الهدف الذي من أجله جعلنا الله سبحانه وتعالى شعوبا وقبائل وهو التعارف، والتعارف يؤدي حتما إلى التحاور والتقارب والتعاون على تحقيق المصالح البشرية المشتركة .
- توضيح أن الإسلام فعلا جاء مصححا ومؤيدا ومتمما وحكما عدلا بين ما جاءت به التوراة والإنجيل التي بين أيدينا الآن.
- تحقيق المنهج الرباني في الدعوة إلى الإسلام وهو قوله تعالى: "**قل تعالوا إلى كلمة سواء**..." وقوله تعالى: "**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**".
- من خلال بحثنا نسعى لنبين أن المجتمع المتدين صاحب حضارة ، أمّا المجتمعات اللاّدينية هي مجتمعات متوحشة ، غير متحضرة تحمل عوامل فنائها في داخلها.

المنهج المختار في دراسة الموضوع:

يتناول عملنا البحث في مقاصد أحكام الأمر والنهي الخاصة بالمصالح الإنسانية التي جاءت بها الأديان الثلاثة –اليهودية والمسيحية والإسلام– عن طريق المقارنة والموازنة وبما أن موضوع المقاصد في الإسلام قد بحث فيه علماء الإسلام منذ وقت مبكر وإلى اليوم لا يزالون يكتشفون مقاصد أخرى للقرآن والسنة، فهذه الناحية أجعل منها معالم أسترشد بها خلال عملية استقراء نصوص مصادر الديانتين اليهودية والمسيحية دون إرغام النصوص على ما هو موجود في الإسلام.

فإذا وجدت مقصدا مشتركا بين الأديان أعلنت عليه في البحث، وإذا وجدت مقصدا في دين دون آخر ذكرته وأبحث عن مبررات ذلك دون أن أنقص من قدر أي ديانة لأن الأمر خاضع للزمن والإنسان والظروف التي مرت بها ديانة ما، واستعنت في تحقيق ذلك بالمناهج الآتية:

أ. المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع نصوص المصادر التي تتحدث عن المصالح الإنسانية وعوامل حفظها، مع الاستعانة بتفسيرات علماء كل دين لهذه النصوص.

ب. المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص الدينية التي تصرح بحفظ المصالح الإنسانية وكيفية تنميتها، أو حتى تشير ضمنيا إلى ذلك .

ج. المنهج المقارن، وذلك عند مقارنتنا بين النصوص الدينية وما مدى شموليتها لتناول موضوع بحثنا المتمثل في حفظ المصالح الإنسانية وعوامل تنميتها، وأي النصوص أصلح وأنفع للبشرية.

الدراسات السابقة:

لا شك أن موضوع المصالح الإنسانية قد تناولته عدة دراسات، لكن بشكل الذي طرحته وهو عوامل حفظ المصالح الإنسانية وتنميتها في الديانة اليهودية والديانة المسيحية والدين الإسلامي لا يوجد دراسة بحثت هذا الموضوع – في حد علمي إلى يومنا هذا–، لكن هذا لا يمنع من وجود عدة كتب تناولت جزئيات لهذا الموضوع، ومن هذه الدراسات:

1- كتاب حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة لمحمد الغزالي، في هذا المؤلف إبراز للتراث الإسلامي في ميدان حقوق الإنسان من الناحية النظرية التي اعتمد فيها على نصوص القرآن والسنة وأقوال الفقهاء، ومن الناحية التطبيقية استشهد فيها بسيرة الخلافة الراشدة ثم وضعها أمام ما أعلنت عليه الأمم المتحدة مواد حقوق الإنسان... قصده في ذلك تنبيه المفتونين الغافلين من المسلمين الذي بأيديهم قيادة العالم الإسلامي من أهل السياسة والثقافة ألا ينبهروا بما تصدره لنا الحضارة الغربية من مبادئ وأفكار فيعتبرونه جديدا، بل عليهم أن يلتفتوا إلى تراثهم فإن فيه ما يغني ويفيض إشباعا، لكن يبقى هذا العمل يقتصر على جانب الديني في الإسلام، ولم يتطرق إلى نصوص الديانة اليهودية والديانة المسيحية.

2- ودراسة أخرى سبقت موضوع بحثي هي بعنوان: حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي لخالد بن محمد الشنيبر، وكان عمله فيه أن عرض نصوص الكتب المقدسة بحسب ما جاء من بنود في قانون حقوق الإنسان بقصد مقارنتها وبيان قيمتها.

وواجه بهذا البحث طائفة من العلمانيين الملحدين الذين يتهمون الأديان بانتهاك حقوق الإنسان –الذين اعتمدوا على قراءات مناوئة للأديان، وشواهد مفصولة عن ملابستها- ناهيك على أن تكون قادرة على المساهمة في وضع بنودها أو دعمها أو تكميلها.

كما واجه الباحث بعمله أيضا طائفة من الباحثين المتدينين –حتى المسلمين– الذين يظهرون ما يوافق قوانين الحقوق في كل نقاطه، أما ما يخالفها في بعض حيثياتها فيخفونه تملقا، فراح يبسط ما يعارض إلى جانب ما يوافق ثم دعانا إلى التأمل فيه، لكنها تبقى دراسة محددة، لم تجمع كل المصالح الإنسانية ،و لم تستقراء كل النصوص الدينية لهته الديانات .

3– كتاب آخر بعنوان الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم لريمة شريف الصياد، أظهرت الكاتبة في مؤلفها أن في العهد القديم مبادئ أخلاقية راقية تنم عن أثر سماوي لارتباطها بالعقيدة، على الرغم من وجود ما يناقضها من نصوص. وعندئذ اقترحت على أي باحث أن يجمع الأفكار السليمة من مختلف أسفار العهد القديم وأن يستنير في ذلك بالقرآن الكريم لأنه خير معين، لكنها تبقى دراسة اقتصرت على الجانب الأخلاقي في الديانة اليهودية بالخصوص .

4–ومن الدراسات السابقة كتب في أصول الفقه والمقاصد منها الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية لأحمد الريسوني الذي تكلم على الكليات المشتركة بين الكتب المنزلة وعلى الضروريات الخمس المشتركة ولكنه استدل عليها بما جاء في القرآن الكريم والسنة، وفي بحثنا قمنا بإضافة الاستدلال عليها بما هو موجود في الكتاب المقدس –التوراة والإنجيل– كما نبهني هذا المؤلف إلى إمكانية ربط بعض المصالح فيما بينها لما أشار إليه من أن "القيم الخلقية موجودة في الأصول الإعتقادية" ولذلك تجدني أربط النسل بعوامل حفظ النفس والمال ربطته بعوامل تنمية النفس.

خطة البحث:

لقد قسمت بحثي إلى بابين، الباب الأول تطرقت فيه إلى الكلام عن المصلحة في حفظ الدين وتنميته، مقسما إياه إلى فصلين، في الفصل الأول تحدثت عن عوامل حفظ الدين بين الإيمان والعمل

في مبحثين، في المبحث الأول خصصته عن المشترك الإيماني، أما المبحث الثاني كان عن مشترك التكليف ومقوماته في النّص المقدّس.

أما الفصل الثاني من الباب الأول، فقد جعلت عنوانه: عوامل تنمية الدين، مقسما إياه إلى مبحثين، في المبحث الأول بحثت مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي المبحث الثاني تطرقت إلى مسألة دور العبادة وأهميتها في تنمية الدين .

أما الباب الثاني فخصصته لمصلحة النفس، مقسما إياه إلى فصلين، في الفصل الأول بحثت عوامل حفظ النفس ضمن مبحثين، في المبحث الأول تحدثت عن حرمة قتل النفس ومقومه (القصاص)، وفي المبحث الثاني تكلمت عن إيجاد النفس بالنسل ومقومات حمايته، أما الفصل الثاني عنونته بـ عوامل تنمية النفس، وضمنته مبحثين، في المبحث الأول بحثت العامل الأخلاقي والتعبدي ، وفي المبحث الثاني طرقت إلى عامل المال في تنمية النفس ومقومه.

و في الأخير الخاتمة التي ضمنتها ما توصلت إلى في بحثي من نتائج، ثم الفهارس، وقائمة المصادر والمراجع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:ضبط المصطلحات والمفاهيم

الفصل التمهيدي: ضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم.

المبحث الأول: مفهوم المصلحة.

المبحث الثاني: مفهوم الإنسانية.

المبحث الثالث: مفهوم العوامل.

المبحث الرابع: مفهوم التنمية.

المبحث الخامس: مفهوم الحفظ.

المبحث السادس: مفهوم اليهودية.

المبحث السابع: مفهوم المسيحية.

المبحث الثامن: مفهوم الإسلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد: إن المفهوم العام لعنوان البحث يتجه صوب نقطة محورية هي البحث عن المصالح المشتركة التي تعود على الناس جميعا بالنفع، ولسنا نعني بالمصالح التي من أجلها تحدث التنازلات، أي أن المصلحة المبحوث عنها ليس فيها تنازل عن أي حق من أجل المصلحة العامة.

فإذا تكلمنا على ضرورة الحفاظ على النفس ورعايتها والقضاء على كل الضرر فهذه مصلحة كل الناس، وإذا تناولنا مكافحة تلوث البيئة فلا يختلف على ذلك اثنان وغير ذلك من الأمثلة، ومن هنا سميناها مصلحة إنسانية، وإذا كانت تتصف بالإنسانية فهي خطوط حمراء لا يجوز التعدي عليها بالوأد أو القهر من أي طرف كان، وإنما لا بد من التعاون على دعمها والعمل على ازدهارها.

وإننا لا نبحث على هذه المصالح في إطار العقل المجرد ولا في حدود التجربة الإنسانية وإنما نبحث عنها في الأديان السماوية الكبرى، أي في التعاليم الإلاهية المجردة عن الهوى والضعف الإنساني ومن ثم فهي قائمة على العدل المحض.

إن كلمة "المصالح" هي عنوان إحدى الحوارات الإيجابية التي غالبا ما تكون بعيدة عما يهيّج نوازع التعصب أو الأنانية أو إعجاب كل ذي رأي برأيه، بل من شأنها أن تتوفر بها أجواء التسامح والتعاون والمحبة، لأننا من نفس واحدة ونعيش على كوكب واحد، والتجربة البشرية أعطت درسا بأن الفساد إذا أصاب جهة من الأرض أو زاوية من زواياها هددت نتائجه كل الأرض، بسبب ما كسبته يد الإنسان ويسوء تصرفه، وشر فعله، ولهذا فإننا عندما نبحث في الأديان إنما نتناولها من خلال مصادرها الأصلية والمتفق عليها أما المختلف فيها (غير القانونية)، فإننا لا نعتمد عليها، ولكن نستأنس ببعض شواهدها، كما أننا نستأنس بالشروحات المفيدة التي تصب في المصلحة العامة، أما الشروحات والتفسيرات التي لا تخدم المصلحة فنعتبرها شاذة ولا نلقي لها بالا وهذا لا يعني أننا نقوم

بعملية الاختيار والفرز حتى يميل بنا الموضوع إلى الذاتية، ويحرفنا على الموضوعية، وإنما نضبط أمرنا بالنصوص المقدسة الأصلية المجمع عليها بين الديانات الثلاث، وإذا استشهدنا بأي قول أو تصريح لفرد أو هيئة أو مذهب فننزله على النص، وهو ما دفعنا لاستعمال مصطلح اليهودية بدل التوراة والمسيحية بدل الإنجيل والإسلام بدل القرآن والحديث الصحيح.

وعندما أدرجنا في العنوان عوامل تنمية المصلحة وعوامل حفظها قصدنا العوامل الذاتية المجودة في النصوص المقدسة وليست عوامل صادرة عن عملية فكرية محضة، وإنما كان العمل الفكري فيها هو استخراجها من النصوص وترتيبها في خانة التنمية أو في خانة الحفظ والتعليق عليها.

ولنا الآن أن نقف مع كلمات العنوان بشيء من التفصيل في جذورها اللغوية وتعريفاتها الاصطلاحية وإذا لم نجد لبعضها اصطلاحا التجأنا إلى تعريف إجرائي ويكون ذلك عبر المباحث والمطالب التالية:

المبحث الأول: مفهوم المصلحة.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للمصلحة.

المصلحة واحدة المصالح، والمصلحة كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي: صَلَحَ، يصْلَح، ويصلح، صلاحا، وصلوحاً، بمعنى الصّلاح: ضد الفساد، والاستصلاح: نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه ومنه: الصلح: تصالح القوم بينهم، والصلح: السِّلم[1].

وفي الوسيط، أصلح الشيء: أزال فساده...، والمصلحة: الصلاح والمنفعة[2].

وجاء في مجاني الطلاب ما يلي: المصلحة جمع مصالح وهي ما يترتب على الفعل ويبحث على الصلاح، وهي ما يتعاطاه الإنسان من الأعمال التي تعود عليه وعلى قومه بمنفعة فيقال المصلحة العامة أي الخير العام، ومنها أخذ اسم مصلحة ليطلق على وحدة إدارية في وزارة أو مؤسسة تهتم بشأن من شؤون الوزارة أو المؤسسة، وبطبيعة الحال هي تعمل لتحقيق المصلحة العامة[3].

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للمصلحة.

---

[1] - ابن منظور، **لسان العرب**. مج7، ط6، لبنان: دار صادر، 2008 م، ص267؛ انظر مجد الدين الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**. مصر: دار الحديث، 2008م، ص939.

[2] - إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**. تركيا: المكتبة الإسلامية، مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)، ص520.

[3] - **معجم اللغة مجاني الطلاب**. ط5، بيروت لبنان: دار المجاني، 2001م، ص ؛ وانظر أحمد العايد وأحمد مختار عمر وآخرون، المعجم العربي-- الأساسي(لاروس). المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (د ط)، (د ت)، ص745.

فيقول الإمامُ ابنُ عاشور رحمه الله تعالى في تعريف المصلحة عمومًا: (ويَظهر لي أن نُعرّفها بأنها وصفٌ للفعل الذي يحصُل به الصلاحُ، أي: النفعُ منه دائمًا أو غالبًا، للجمهور أو للآحاد)[1].

والذي يَظهر من تعريف الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى، أنه لم يُطلق المصلحةَ على مجرّد النفع؛ أي: على نفْس النفع فقط، وإنما أضاف إليه الفعلَ والطريقَ الذي يحصُل النفعُ من خلاله؛ لذلك قال: (وصفٌ **للفعل** الذي **يحصُل به**).

ثم فَسّر الإمامُ تعريفَه هذا؛ بأنّ هذا النفعَ منه ما هو "دائم" ويَقصد به المصلحةَ الخالصة والمطّردة، ومنه ما هو "غالب" ويَقصد به المصلحة الراجحة في غالب الأحوال. كما أنّ قوله "للجمهور" يُشير إلى المصلحة العامّة، وقوله "للآحاد" يُشير إلى المصلحة الخاصّة[2].

يقول عبد الوهاب خلاف: "تشريع الأحكام ما قصد به إلا تحقيق مصالح الناس، أي جلب النفع لهم

أو دفع ضرر أو رفع حرج عنهم"، ويذكر أنها نوعان: مصالح مرسلة أي مطلقة، وهي المصلحة التي لم يشرع الشارع حكما لتحقيقها، ولم يدل دليل شرعي على اعتبارها أو إلغائها، وسميت مطلقة لأنها لم تقيد بدليل اعتبار أو دليل إلغاء، ومثالها المصلحة التي شرع لأجلها الصحابة اتخاذ السجون، أو ضرب النقود...[3] وهذا النوع لا يعنينا في صلب البحث وإنما الذي يعنينا هو النوع الثاني وهو المصلحة أو المصالح المعتبرة وهي التي شرع الشارع أحكاما لتحقيقها، ودل على اعتبارها عللا لما شرعه تسمى في اصطلاح الأصوليين: المصالح المعتبرة من الشارع، مثل حفظ حياة الناس...، وحفظ مالهم...، وحفظ عرضهم...[4]

1- ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 278.

2- انظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 278-279.

[3] - عبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه**. ط12، القاهرة مصر: دار القلم، 1398هـ 1978م، ص 84.

[4] - المرجع نفسه، ص 84.

ويقول محمد أبو زهرة: "المصالح المعتبرة هي المصالح الحقيقية، وهي ترجع إلى أمور خمسة حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، لأن هذه الأمور الخمسة بها قوام الدنيا التي يعيش فيها الإنسان، ولا يحيا حياة تليق به إلا بها"[1].

أما المصالح المرسلة أو الاستصلاح، هي المصالح الملائمة لمقاصد الشارع الإسلامي، ولا يشهد لها أصل خاص بالاعتبار أو الإلغاء...[2]

أما المصالح المعتبرة فيشهد لها أصل خاص بالاعتبار أو الإلغاء من الكتاب والسنة.

ونقل محمد هاشم عن عز الدين عبد السلام السُّلَمي هذا التعريف: "أهم هدف من كل أهداف القرآن الكريم تقريب المصالح ووسائل حصولها، وإن حصول المصالح يتضمن دفع الضار"، وأضاف قائلا: "أن كل تكاليف الشريعة تهدف إلى تحصيل المصالح للبشر في هذه الدنيا وفي الآخرة"[3].

أما أحمد الريسوني يسمي المصالح الخمسة التي ذكرناها بالضروريات الخمس وهو ما استقر عليه الأمر عند عامة علماء الشريعة، كون أحكامها وتكاليفها دائرة حول حفظ الضروريات الخمس...[4]

وسماها أيضا الكليات الخمس لأن كل واحد منها –الضروريات الخمس- يجمع ما لا يحصى ويستتبع ما لا يحصى من الجزئيات، فحينما نقول: حفظ الدين، أو حفظ النفس...، فنحن نعني تلقائيا آلاف الأحكام الجزئية

---

[1] - محمد أبو زهرة، **أصول الفقه**. (د ط)، القاهرة مصر: دار الفكر، (د ت)، ص 220.

[2] - المرجع نفسه، ص 221.

[3] - محمد هاشم كمالي، **الدليل المبسط في مقاصد الشريعة**. ترجمة: عبد اللطيف الخياط، ط1، لندن واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1432هـ 2011م، ص 25-26.

[4] - أحمد الريسوني، **الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية**. ط1، المنصورة مصر: دار الكلمة، 1430هـ 2009م، ص 57.

المنصوصة صراحة أو ضمنا —وهذا هو مقصودنا في البحث- وآلافا أخرى يتعين القول بها استنباطا واجتهادا واستصلاحا[1].

اختار محمد محدة للمصلحة التعريف التالي: "فهي تعني المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم ودمائهم، ودفع ما يفوت هذه الأصول أو يخل بها"[2].

وقال محمد محدة: "... ومن ثم جاءت بعض نصوص الشريعة معتبرة لبعض المصالح فأذنت وأمرت بتحصيل أسبابها، وجاءت ثانية ملغية لبعضها الآخر، فمنعت من فعل أسبابها، وبقيت ثالثة دون بيان وهي ما يستجد للناس من مصالح، فكانت بذلك مرسلة أي مطلقة دون تحديد أو تقييد"[3]

ونحن كما قلنا سابقا معنيون في دراستنا بالنصوص المعتبرة تحديدا للموضوع من جهة، ولأننا بصدد مقارنتها مع نصوص التوراة والإنجيل وهي المصالح الضرورية المشتركة التي نادت بها اليهودية والمسيحية والإسلام.

وساق عبد القادر بن عزوز مجموعة من التعريفات لبعض العلماء كالإمام الشاطبي، والطاهر بن عاشور، وغيرهما وجمعها في تعريف إجرائي فقال: " فإن معنى المصلحة عند العلماء وإن سموها ب "اللذة" أو "النفع" أو ضبطوها بالتعريف بالصفة الضابطة لها إلا أنها أمر شرعي كلي أو جزئي مرتبط بأفعال المكلفين ومضمونه الحفاظ على الكليات الخمس، أي تحقيق مقصد الشارع الحكيم من التشريع في حياة المكلفين"[4].

[1] - المرجع نفسه، ص 57-58.

[2] - محمد محدة، **مختصر علم أصول الفقه الإسلامي**. (د ط)، الجزائر: دار الشهاب، (د ت)، ص 229.

[3] - محمد محدة، المرجع السابق، ص 229.

[4] - عبد القادر بن عزوز، **محاضرات في مقاصد الشريعة**. ط1، الجزائر: دار قرطبة، 1427هـ 2006م، ص 36-37.

ويقول أيضا نقلا عن العز بن عبد السلام: "يعبر عن المصلحة الشرعية في اصطلاح الشريعة بالخير والنفع والحسنة، والفرح واللذة، والبر والطاعة، العرف الحسن، المحبوب، أو بمتضمناتها كالوعد والتعبير بالنعيم"[1].

ونحن نستعمل في بحثنا بعض هذه المرادفات كالخير والنفع وعكس هذه المرادفات كالشر والفساد والضرّ، لأن المصلحة تتضمن أيضا دفع الشر والضرّ.

ومما تجدر الإشارة إليه في تحديد مفهوم المصلحة فإن من العلماء من لم يتقيد بالكليات الخمس ومنهم من جعلها ستة عندما فصل النسل عن العرض ومنهم وخصوصا المعاصرون زادوا عليها وذلك عندما أعادوا النظر في استقراء أحكام الشريعة بدءً بتقي الدين بن تيمية فأضاف الوفاء بالعقود، حفظ علاقات القرابة،... وغيرها وأضاف يوسف القرضاوي من العلماء المعاصرين التكافل الاجتماعي، الحرية، الكرامة الإنسانية...[2]

وفي هذا البحث لا نتقيد في الحديث عن المصالح دائما بالترتيب الموجود في كتب أصول الفقه، فيمكن أن نداخل بين مصلحة وأخرى كمصلحة المال مع مصلحة النفس، وبالنسبة للعدد أيضا لم نتقيد به ولم نتناول كل المقاصد تاركين معظمها لأفاق البحث.

والاهتمام منصب دوما في البحث عن المصالح المشتركة بين الأديان السماوية الكبرى التي اشتملت أيضا على المصالح نفسها في أصولها ولذلك ورد في القرآن الكريم أن مصلحة بني إسرائيل كانت في العمل بالتوراة والإنجيل،

[1] - المرجع نفسه، ص 37.

[2] - محمد هاشم كمالي، المرجع السابق، ص 26-27.

قال الله تعالى: "**ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**..."[1].

وننبه أيضا أننا اصطلحنا بكلمة "المصالح" في عنوان بحثنا بناء على المعنى اللغوي الذي أوردته لنا القواميس المتاحة، وهو المعنى الذي ضد الفساد، وهذا المعنى يشير إلى أن الشيء كان موجود على الصلاح، أوجده الله تعالى في الطبيعة، فينبغي الحفاظ عليه من الفساد والإفساد والضياع، ليبقى صالحا على الدوام، وهو ما نذهب إليه في شطر من البحث، أما إذا كان الشيء الصالح غير موجود لوجود الشيء الفاسد، فنقضي على الفساد ونضع الصالح مكانه، وهو أيضا يشمله مصطلح المصلحة في بحثنا.

[1] - **سورة المائدة** الآية 66؛ انظر **سورة غافر** الآية 54، و**سورة المائدة** الآية 46.

المبحث الثاني: مفهوم الإنسانية.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للإنسانية.

الإنسانية: ما اختص به الإنسان من المحامد من نحو الجود وكرم الأخلاق، والإنس: بشر غير الجن والملاك، والأنس: بالضم، ويقال الأنسة: ضدّ الوَحْشَة، الإنسان: البشر، أو آدم وذريته من ذكر وأنثى[1].

وقال أصحاب المعجم الوسيط: الإنسانية خلاف البهيمية، والإسم مشتق من فعل أنِسَ، وأنُس، وأنَسَ، وآنس، وآنّس. فتقول أنِس به وإليه – أنسا: سكن إليه وذهبت به وحشته... وأنِسَ به وإليه – أنسا، وأنسة: أنس به فرح، فهو أنِسٌ. وأنُس به أُنسا: أنس فهو أنيس. تقول: آنس فلانا إيناسا: لاطفه، وأزال وحشته فهو مؤنس، وأنيس، وأَنَسَ الشيءَ : أحسّ به، يقال: آنست منه فزعا، وأَنَسَ الشيء: أبصره، ومنه "آنست منه نارا " وأَنَسَ الصوت : سمعه، وأَنَسَ الأمر: عَلِمَهُ، يقال آنست منه رشدا. وآنّسه: لاطفه وأزال وحشته، وأبصره، تآنسا: آنس كل منهما صاحبه. وتأنّس به: أنس، وتأنس البازي: جال بطرفه مستطلعا وتأنّس به: تسمّع. واستأنس: أنِس، ويقال: استأنس به وإليه واستأنس له: تسمّع. ويقال: إذا جاء الليل استأنس كل وحشي، واستوحش كل إنسي، واستأنس الزائر: استأذن، واستأنس الشيء: أبصره. الآنسة:مؤنث الآنس والفتاة الطيبة النفس المحبوب قُربها وحديثها، يؤنس بها. والفتاة ما لم تتزوج جمع أوانِس.

الأنس: حديث النساء ومغازلتهن.

الإنس: خلاف الجن، والإنس: الصديق الصفيّ، يقال: هو ابن إنس فلان: خليله الخاص به، جمعه: أناسٍ.

[1] - جماعة من المختصين، إشراف: أحمد أبو حاقة، **معجم النفائس الكبير**. ط1، لبنان: دار النفائس، 2007م، ص59.

الأنَس: الجماعة الكثيرة من الناس، وخلاف الجن.

الإنسان: الكائن الحي المفكر، جمعه: أناسي، وأصله أناسين، وإنسان العين: ناظرها، وإنسان السيف والسهم: حدّهما، والإنسان الراقي ذهنا وخلقا، والإنسان المثالي: الذي يفوق العادي بقوى يكتسبها بالتطور، جمعه: أناسي.

الأنيس: وصف بمعنى الآنس والمؤانس وكل مأنوس به، يقال: هو أنيسي وجليسي[1].

وورد في قاموس الرائد معنى الإنسانية: البشرية... وفي الفلسفة: هي الحياة والنطق والموت.

ونقول الإنساني: من كان خيرا بطبعه محبا لإخوانه في الإنسانية، ونقول : "عمل إنساني" أي: حميد، مفيد وتقول أنسّ الدابة انساساً أي أعطشها.

وأنسّ الشيء: بلغ غاية الجهد... وتقول: أنّس الحيوان أو الشيء: عامله معاملة إنسان، وتقول: أنسى الشيء أي: جعله ينساه، وأنساه: حمله على تركه.

والإنسان: هو المخلوق الذي ارتقى وسما في تفكيره وأخلاقه... والإنسان (من أعجب معانيه): الأرض التي لم تزرع.

ويطلق على علوم الآداب واللغات والفنون والفلسفات، والديانات والتاريخ ونحوها: الإنسانيات (علوم إنسانية)[2].

[1] - إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص29 – 30.

[2] - جبران مسعود، **الرائد**. (د ط)، بيروت لبنان: دار العلوم للملايين، (د ت)، ص258.

المطلب الثاني : المفهوم الاصطلاحي للإنسانية.

جاء في المعجم الفلسفي أن مصطلح (إنسانية) humanisme أطلق على عدة حركات وتوجهات قامت في أوروبا، من أهم أعلامها "إيرازموس" و"توماس مور".

والإنسانية أيضا هي حركة فلسفية، كانت تدعوا إلى إعادة الكرامة إلى القيمة الإنسانية، كانت ترجح التفكير العقلاني، وأكدت تفوق الإنسان بذاته وليس عن طريق القوى التي لا تخضع لمنطق العقل –الوحي قوى خارجية موافقة للعقل الصريح–.

والإنسانية حركة انتشرت في أوساط الأدباء والفنانين والمثقفين عموما في القرن 16م (عصر النهضة)، تميزت بالرجوع إلى النصوص الكلاسيكية القديمة (الإغريقية والرومانية)، لتستمد منها منهاجها وفلسفتها[1]. وورد في المعجم العربي الأساسي التعريفات الاصطلاحية التالية:

1- الإنسانية هي مجموع أفراد النوع الإنساني أو الجنس البشري.

2- الإنسانية هي مجموع خصائص الجنس البشري التي تميزه عن غيره من الأنواع القريبة "المثال الأساسي للتطور الإنساني يقوم على تغلب إنسانيته على حيوانيته".

3- ... هي الخيرية أي محبة الخير العام "لا تنسوا وطنكم في حبكم الإنساني، ولا تنسوا الإنسانية في نزعتكم الوطنية".

4- وفي الفلسفة هي تؤكد على قيمة الإنسان والإيمان بأن خلاصه لا يأتي إلا بجهود الإنسان نفسه (إذا كان المقصود هو معرفة الذات لا تكون إلا بالذات ثم لا يكون العمل إلا على هذا الأساس ثم عليه

[1] - حسيبة مصطفى، **المعجم الفلسفي**. (د ط)، عمان الأردن: دار أسامة، 1433هـ 2012م، ص 104.

يكون الخلاص فهذا رأي فريق من الفلاسفة ك "جون بول سارتر" و"فرويد" إذن هو ليس موقفا فلسفيا واحدا، وإلا فإن الجهد والعمل الذاتي مطلوب).

5- الإنسانية هي شعور كلي بأن الإنسان واحد على اختلاف الألوان والأوطان والأديان...[1]

وساق إلينا جميل صليبا مجموعة من المفاهيم للإنسانية، فهي عند الفلاسفة القدماء المعنى الكلي المجرد الدال عل ما تتقوم به ماهية الإنسان... والإنسان عندهم لا يبلغ أعلى مراتب الإنسانية إلا بإخراج ما في قوته إلى الفعل حتى يصبح إنسانا كاملا...، وقال أبو حيان التوحيدي: "الإنسانية أفق، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع، ودائر على مركزه، إلا أنه مرموق بطبيعته، ملحوظ بأخلاق بهيمية، ومن رفع عصاه عن نفسه، وألقى حبله، وسيّب هواه في مرعاه، ولم يضبط نفسه عما تدعوا إليه بطبعه، وكان لين العريكة لإتباع الشهوات الرديئة، فقد خرج عن أفقه وصار إلى أرذل من البهيمية لسوء إيثاره" أي لكي يكون الإنسان إنسانا كاملا لا بد أن يلزم نفسه الطريق المستقيم وإلا فهي ضعيفة سرعان ما تنساق إلى البهيمية أو أرذل منها[2].(2)

وللإنسانية في الفلسفة الحديثة ثلاثة معاني هي:

1- الإنسانية هي المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس كالحياة، والحيوانية، والنطق وغيرها...

2- الإنسانية هي مجموع خصائص الجنس البشري المقوّمة لفصله النوعي، التي تميزه عن غيره من الأنواع القريبة (ومن أهم الخصائص التي يتميز بها الجنس البشري التي بواسطتها يستطيع أن يقوّم فصله النوعي

[1] - أحمد العايد، أحمد مختار عمر وآخرون، **المعجم العربي الأساسي**. المرجع السابق، ص 114.

[2] - جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**. ج1، (د ط)، بيروت لبنان: دار الكتاب العالمي، 1414هـ 1994م، ص 158.

الإرادة والعقل).

3- والإنسانية هي مجموع أفراد النوع الإنساني من حيث أنهم يؤلفون موجودا جماعيا، قال "أوغست كومت": الإنسانية هي الموجود الأعظم لأنه هذا الموجود هو الذي يعمل على تنمية إنسانيته اختيارا[1].

استعملنا مصطلح الإنسانية لمعانيها اللغوية التي تنمّ على الأخوة، والاجتماع، والتعايش، والإنسان يستأنس بأخيه الإنسان ويستوحش بغيابه، بالإضافة إلى ما يمتاز به الإنسان عن البهيمة من قوة الإدراك والإحساس والعقل والفكر والأخلاق، وقابلية التطور والسّمو في التفكير والأخلاق ممّا يعطي دلالة على قابلية التغيير عندما يحصل الاقتناع والإطمئنان، ولم يكن من اللّائق أبدا أن نستعمل مصطلح البشرية، لأنها لا تدل على تلك المعاني التي دل عليها مصطلح الإنسانية، كما أن المصطلح يحمل دلالة الخير في الإنسان وأنه الأمر الفطري والطبيعي الذي يجب أن يعدل إليه كل مرة، والشر أمر طارئ –على صفة الإنسان الأصلية– تمليه الظروف المحيطة .

كما أننا انتقلنا بالمصطلح من الإنسان إلى الإنسانية لدلالة علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فالعلاقة هذه مقصودة في بحثنا عن نقاط التكامل والاتفاق التي تعمل على تحقيق المعاني اللغوية النبيلة: السكن، واللطف، وذهاب الوحشة... ونتفق إلى حد كبير مع المفاهيم الاصطلاحية التي عرضها جميل صليبا في معجمه، سواء في الفلسفة القديمة أو الحديثة، أما ما جاء به أصحاب القاموس العربي الأساسي من تعريف الفلسفة لمصطلح "الإنسانية" في المعجم العربي الأساسي بأنه يؤكّد على قيمة الإنسان حيث لا يمكن أن يحقق خلاصه إلا بجهده الخاص فلا نأخذه على إطلاقه لأننا نعتقد في الإنسانية هي بحاجة إلى من يعينها على الخلاص، والمعين الوحيد هو وحي السماء، وهذا الذي يتعلق به موضوع بحثنا.

[1] - جميل صليبا، المرجع السابق، ص 159.

المبحث الثالث: مفهوم العوامل لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للعوامل.

عوامل مفردها عامل: مسبّب، باعث، قوة أو مادة تحدث تغييرا. نقول: تعددت عوامل النجاح وتعددت عوامل الإنتاج، ونقول: عوامل سياسية، ونقول: عوامل التعرية، ونقول: تأثير العوامل الطبيعية كالماء والنار والهواء على صخور القشرة الأرضية، ونقول: عامل كيميائي وتحت عامل الغضب، وتحت تأثيره...[1] والعامل: جمع عمّال وعملة. وهو كل من يعمل بيده في صنعة أو مهنة أو بناء أو غيرها. وكذلك "هو من يتولى أمور أحد الناس في ماله أو وملكه وعمله".

وأيضا يطلق على الوالي والحاكم...، وإذا قلنا: العامل من الرمح "جمع عوامل" فهو أعلاه الذي يلي السنان.

والعامل في النحو: ما يوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب[2].

وجاء في مجاني الطلاب معنى عوامل: العنصر الذي يسهم في نتيجة فنقول: عوامل الإنتاج[3] ، وعامل فعله عمل فنقول: عمل الرجل: قام بجهد ما للحصول على نتيجة مفيدة...، ونقول: عمل على كذا: عمل على هلاك فلان، ونقول: عمل الدواء ونحوه أي أثّر...[4]

---

[1] - أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصر**. مج3، ط1، مصر: عالم الكتب، 2008، ص 1555.

[2] - جبران مسعود، المرجع السابق، ص 996

[3] - مجاني الطلاب، المرجع السابق، ص 669؛ وانظر أحمد العايد، المرجع السابق، ص 868.

[4] - المرجع نفسه، ص 668. وانظر أحمد العايد، المرجع نفسه، ص 868.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعوامل.

العوامل في علم النفس: القوة المؤثرة المؤدية إلى نتيجة معينة. وفي الاقتصاد نقول: عامل الإنتاج: العنصر الذي يسهم في تحصيل الإنتاج، كالطبيعة ورأس المال[1].

وفي نتيجة عرض المبحث، فإذا قلنا: عوامل حفظ المصالح فهي العناصر التي تسهم في حفظها، والمقصود هو حفظ وجودها على ماهية عليه، وإذا قلنا: عوامل تنمية المصالح فهي العناصر التي تسهم في تقوية فاعليتها وازدهارها. هذه العوامل لا تخرج في مصدرها عن القرآن والإنجيل والتوراة.

المبحث الرابع: مفهوم التنمية لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للتنمية.

ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة بأن مصدر كلمة التنمية: نمّى، ينمّي، ونمّ تنمية، فهو منمٍ، والمفعول منمّى. يقال: نمّى إنتاجه: زاده وكثره، رفع معدله، نمّى النار: أشبع وقودها، نمّى الأمر: طوّره...، نمّى ذاكرته: أنعشها وقوّاها...، فإذا قلت: تنمية الموارد الطبيعية، يعني تحويل الموارد الطبيعية غير المستثمرة إلى موارد منتجة مثل: استصلاح الأراضي الصحراوية أو البور، إنشاء صناعات جديدة...، وإذا قلت: التنمية الاقتصادية، يعني رفع مستوى الدخل القومي بزيادة الإنتاج وتحسين الإنتاجية...[2]

[1] - جبران مسعود، المرجع السابق، ص996.

[2] - أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص2288 – 2290.

وفي المعجم الوسيط ورد الفعل الثلاثي (نما) الشيء نماء، ونموا: زاد وكثر، يقال نما الزرع، ونما الولد، ونما المال... وتقول: نمى الشيءَ: رفعه وأعلى شأنه... ونمى المالَ ونحوه: زاده وكثّره... ونمى الشيء جعله ناميا.... ونمى الراعي دوابّه: باعد بينها في طلب الكلأ... نمّى الشيء أو الحديث تنمية: أنماه... النامية: الخَلْق[1].

وفي لسان العرب ورد الفعل الثلاثي المجرد هكذا نمي: النّماء: الزيادة، نمى ينمي نمياً ونميا، ونماءً: زاد وكثر، وربما قالوا: ينمو نمواً.

وأنميت الشيء ونمّيته: جعلته نامياً... والأشياء كلها على وجه الأرض نام وصامت، فالنامي مثل النبات والشجر ونحوه، والصامت كالحجر والجبل ونحوه.

ونمى الحديث ينمي: أرتفع، ونميته: رفعته، وأنميته: أذعته على وجه النميمة، وقيل نمّيته مشددا، أسندته ورفعته، ونمّيتُه مشددا أيضا: بلغته على وجه النميمة والإشاعة.

والصحيح أن نميته: رفعته على وجه الإصلاح، ونمّيته بالتشديد: رفعته على وجه الإشاعة والنميمة، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس بالكذاب من أصلح بين الناس فقال خيرا ونمى خيرا...[2]

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للتنمية.

في الموسوعة الاقتصادية ورد مفهوم التنمية على أنه مصطلح مضاف إلى كلمات اقتصادية مثل التنمية الصناعية، والتنمية الزراعية، والتنمية الاقتصادية، فإنها في الأخير كلها تصب في معنى توسع الشيء والزيادة فيه كالتوسع والزيادة في الإنتاج[1].

[1] - إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص 956.
[2] - ابن منظور، المرجع السابق، مج14، ص 363.

...والتكثيف الزراعي في مكان واحد، فنستغل فيه وسائل رئيسية أربعة هي التحسين التكنولوجي، والتحسين الاقتصادي، والتحسين الاجتماعي، وتحويل الإرواء الحوضي إلى دائم (وهذا من صميم التنمية)[2].

والتنمية كما جاءت في الموسوعة السياسية هي نتيجة عوامل تعمل على تحقيقها، ففي العالم الاقتصادي نجد العوامل تكمن "في تدريب التقنين والأجهزة الإدارية وتوجيه الموارد المادية والبشرية نحو زيادة مجمل الإنتاج القومي، ومتوسط إنتاج الفرد في المجتمع، كما أنه يجب القضاء على عوامل الإعاقة للتنمية كرفع المستوى الثقافي، ومتابعة التقدم التكنولوجي أو الحد من النمو السكاني، والحد من الإسراف أو الكشف عن مصادر الثروات الموجودة في القطر"[3].

وفي نتيجة العرض للمبحث نخلص إلى أن التنمية أعطت معاني إيجابية كالزيادة والكثرة والإشباع، والإنعاش، والتقوية والتحويل إلى الإنتاج، والاستصلاح، والإنشاء، ورفع المستوى.

فسيكون مدار مصطلح التنمية في موضوع بحثنا يدور حول معنى التقوية أي تقوية المصالح الضرورية التي سعت إلى تحقيقها الأديان السماوية كلها.

فعامل تنمية الدين مثلا تقوية فاعليته وأثره وفي النفس رفع مستواها، وتحويلها من مستوى البهيمية أو النفس لأمارة بالسوء إلى النفس المطمئنة وغير ذلك من أوجه التنمية.

---

[1] - سميح مسعود، **الموسوعة الاقتصادية**. ج1، ط1، عمان الأردن: دار الشروق، 2008م، ص 187-188.

[2] - المرجع نفسه، ص 183.

[3] - عبد الوهاب الكيلالي، محمد بشير الكافي وآخرون، **موسوعة السياسة**. ج1، ط3، عمان الأردن: دار الفارس، 1990م، ص 795-796.

ومن الناحية الاصطلاحية فلم يبق مصطلح التنمية مرتبطا بعالم الاقتصاد ولا حكرا عليه كما كان معروفا في القرن الماضي أما اليوم فقد أضحى شائع الاستعمال في موضوع تطوير الإنسان ثقافيا وعلميا ونفسيا منذ مطلع القرن الواحد والعشرين.

والتنمية في موضوعنا هو البحث عن عواملها التي أرشدنا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية، ومقارنتها بما جاء في التوراة والإنجيل، انطلاقا من اعتقادٍ هو الاتفاق وليس الاختلاف لأن المصدر واحد هو الله عز وجل مما يسهل على الديانات الثلاث سبيل الحوار ومن ثم التعاون على خير الإنسانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس: مفهوم الحفظ لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للحفظ.

حفظ من حفظَ حفظه: علمه حرسه، وحفظ القرآن: استظهره، وحفظ المال: رعاه، فهو حفيظ وحافظ من حفاظ وحفظة، ويقال: رجل حافظ العين: لا يغلبه النوم، والحفيظ الموكل بالشيء كالحافظ[1].

وفي مجاني الطلاب، وردت كلمة "حفظ" بمعاني متقاربة فإذا قلنا: حفظ الشيء أي منعه من الضياع أو التلف وصانه من الابتذال، وكذلك إذا قلنا: حفظ السر أي كتمه...، وحفظ الحق ونحوه: دافع عنه وأمن حمايته، وحفظ العهد: وفى به ولم يخنه... والمصدر حفظ: يعني التذكر والاستيعاب في الذهن، وقلة الغفلة[2].

وجاء في مختار الصحاح المشتقات التالية بمعانيها: حفظ الشيء بالكسر حِفظا حرسه وحفظه أيضا استظهره، والحفظة: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم، والمحافظة: المراقبة، والحفاظ والمحافظة أيضا الأنفة، والحفيظ والمحافظ ومنه قوله تعالى: "**وما أنا عليكم بحفيظ**"[3]. ويقال: احتفظ بهذا الشيء أي احفظه، والتحفظ: التيقظ وقلة الغفلة، وحفّظه الكتاب تحفيظا: حمله على حفظه، واستحفظه كذا أي سأله أن يحفظه[4].

---

[1] - مجد الدين الفيروزي آبادي، المرجع السابق، ص .

[2] - مجاني الطلاب، المرجع السابق، ص 218. وانظر أحمد أبو حاقة وآخرون، **معجم النفائس (الوسيط)**.المعجم السابق، ص 263-264.

[3] - **سورة الأنعام** الآية 104.

[4] - محمد بن أبي بكر الرازي،**مختار الصحاح**. تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط4، الجزائر: دار الهدى، 1990م، ص441 .

المطلب الثاني: المفهوم الإجرائي لحفظ المصالح الإنسانية في الأديان.

لا يمكن أن نعطي مفهوما لكلمة "حفظ" إلا ما تدل عليه اللفظة من معان لغوية ولذلك أسندنا إليها عبارة المصالح ليتيسر لنا تحديد المفهوم الإجرائي لما اصطلحنا عليه نظرا لعدم وجود مفهوم عام يشمل المصالح كلية، وإنما يوجد لكل نوع من المصالح الضرورية الإنسانية مما قررته الأديان مفهوما خاصا[1].

فبناءً على ما أوردناه من معان لغوية كالمنع من الضياع أو التلف وتأمين الحماية وغيرها وعلى ما استوحيناه من مقاصد الحفظ لكل مصلحة من المصالح وصلنا إلى المفهوم التالي: المقصود من الحفظ في بحثنا هو الحفاظ على المصالح الضرورية التي عينها الله تعالى لعباده في القرآن والإنجيل والتوراة، وطالبهم بحفظها والحفاظ عليها بعوامل ألزمهم بها في كتبه.

[1] - عبد القادر بن عزوز، المرجع السابق، ص 60-64 وص 73، وص 80-87.

المبحث السادس: مفهوم اليهودية لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي لليهودية.

اليهودية تعود أصول حروفها إلى الفعل الثلاثي المجرد هود وهاد أي تاب، ورجع إلى الحق... فهو هائد، وتقول: قوم هود أي التائبون.

قال أو عبيدة: التّهوُّد: التوبة والعمل الصالح[1].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إنما سميت اليهود لأنهم قالوا" "**هدنا إليك**" أي "تبنا إليك" وبمثل هذا المعنى قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وأبو العالية والضحاك[2].

ونقل محمود مزروعة عن لسان العرب الآتي: "الهَوْد: التوبة: هاد، يهود هودا"[3]. أي تاب، يتوب، توبة. وإذا لاحظنا الفعل المضارع يهود هو نفسه الاسم الذي أطلق على بني إسرائيل وذلك بإدخال الألف واللام عليها من أجل النسبة [4] والفعل المضارع يفيد حدوث الفعل في الحاضر وبشكل مستمر، فكان من اللائق أن يسمى القوم لتكرار توبتهم، ثم سميت ديانتهم باليهودية نسبة للقوم، والذكر إذا انتسبت إلى الدين أو إلى القوم قلنا: يهودي، والأنثى ندعوها: يهودية.

---

[1] - محمد بن أبي بكر الرازي، المرجع السابق، ص 442.

[2] - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، القاهرة مصر: دار هجر، 2001م، ص 479-482.

[3] - محمود محمد مزروعة، **دراسات في اليهودية**. ط1، القاهرة مصر: دار اليسر، 1437هـ 2016م ص 15.

[4] - المرجع نفسه، ص 15.

وكذلك أطلق اسم اليهودية على المدينة المقدسة "أورشليم" وما جاورها من الأرض التي سكنها اليهود في فترة ما[1].

وتقول هاد وتهود أي صار يهوديا والهود بوزن العود: اليهود[2].

وهاد هَوْدا أو هودا أي دخل في اليهودية، وتقول هوّد فلان فلانا تهويدا أي حوله إلى ملة اليهود[3].

ولمشتقات هود وهاد معاني أخرى منها إذا قلت: هوّدت الخمر فلانا: أسكرته، وهوّد في السير: أي أبطأ، وهاود فلانا: أي صالحه ووادعه، والتهويد: الصوت الضعيف اللين، وتقول سعر متهاود: متساهل[4].

وهوّد تهويدا: غنى... وتقول: هود فلان فلانا: أي أطربه وألهاه[5].

ونلاحظ في هذه المرادفات ومشتقات المادة أغلبها إيجابية في معانيها وخصوصا معنى التوبة، والوداعة في هاود والتساهل في التّهاود.

ومنهم من ذهب إلى القول بأن اليهودية نسبة إلى يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل الإثني عشر وهذا الرأي يقبله محمود مزروعة بقوة لأسباب يراها وجيهة منها: إنه عندما انتهت مملكة إسرائيل ولم تبقى إلا مملكة يهوذا

---

[1] - زكي شنودة، **المجتمع اليهودي**. (د ط)، القاهرة مصر: مكتبة الخانجي، (د ت)، ص 57.

[2] - محمد الرازي، المرجع السابق، ص 442.

[3] - مجاني الطلاب، المرجع السابق، ص 1044. وانظر أحمد العايد، المرجع السابق، ص 1276.

[4] - مجاني الطلاب، المرجع نفسه.

[5] - **المنجد الإعدادي**. (د ط)، بيروت لبنان: دار المشرق، (د ت)، ص 634. وانظر كرم البستاني وآخرون، **المنجد في اللغة والإعلام**. ط40، لبنان: دار المشرق، 2003م، ص 876.

تعلقت بها عقول اليهود وقلوبهم، وأن سبط يهوذا من بعده كان سيد الأسباط وأكثرهم عددا[1]، وأما أسعد السحمراني يستبعد اشتقاق التسمية "اليهودية" من "يهوذا"، لأنه يرى بأن الأسباط الذين هم أولاد يعقوب عليه السلام كانوا كقبائل مستقرة بعد موسى عليه السلام بما يزيد عن ثمانية قرون[2].

ونستبعد اشتقاق التسمية من "يهوذا" لسبب آخر وهو أن اليهود لا يعجزون عن نطق حرف الدال وهو واحد من الأحرف الأساسية في اللغة العبرية ويكتب هكذا (ד) و"يهوديت" اسم عبري معناه "يهودية"[3] ويهود معناها في مرادفات اللغة العبرية "مدح"[4].

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي لليهودية.

إن المفهوم السائد لمصطلح اليهودية هو الدين[5] والإشكال في هذا يرجع إلى أن اليهودية لم تنسب إلى النبي موسى وتعاليمه، وإنما إلى القوم الذين يدعون "اليهود"، ويقال بأن الفارسيين هم الذين سموا بني إسرائيل باسم jehudis والتي يستخلص منها كلمة اليهود jews، وأسموا ديانتهم باليهودية judaism .[6]

وعلى هذا القول ترى أن تسمية الديانة باليهودية حصل بعد موسى بحوالي تسعة قرون.

---

[1] - محمود محمد مزروعة، المرجع السابق، ص 16.

[2] - أسعد السحمراني، **البيان في مقارنة الأديان**. ط1، بيروت لبنان: دار النفائس، 1422هـ 2001م، ص 21.

[3] - عبد المالك بطرس، جون الكسندر طمسن وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**. ط5، بيروت لبنان: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 2011م، ص 1084.

[4] - المرجع نفسه، ص 1084.

[5] - ألان أنترمان، **اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم**. ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004م، ص .

[6] - ج.جاير، **كيف ظهرت الديانات الكبرى**. ترجمة: يحي مرسي عيد بدر، ط1، الإسكندرية مصر: دار الوفاء، 2007م، ص 163.

يقول صاحب كتاب لمحات عن أديان العالم: اليهودية... هي في جوهرها اعتقاد ديني بالقداسة والصلاح ورحمة من الله[1] وهي ديانة أرادها الله أن تضع أساسا للنظام الإلاهي، وتحقق الغاية الربانية على الأرض ولتؤسس ملكوت السماء، ووسيلة تحقيقها هي إتباع القانون الوارد في التوراة[2].

يقول جاير عن اليهودية بأنها ديانة العديد من الرسل "ووفقا للتراث، فقد عمل إبراهيم وأحفاده على إرساء دعائم اليهودية قبل موسى، ولكن الوصايا العشر تعتبر الآن حجر الزاوية لليهودية"[3].

ومما يشير إلى كلام جاير من أن اليهودية قد أرسى مبادئها الأولى إبراهيم وأحفاده، هو ما اختصم فيه اليهود والنصارى بخصوص سيدنا إبراهيم فاليهود يدعون أن إبراهيم كان يهوديا والنصارى يدعون أنه كان نصرانيا، فأنزل الله عز وجل الآيات القرآنية التالية ترد عليهما: "**يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون، ها أنتم حاجبتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**"[4].

الآيتان تبينان أن التوراة التي هي أساس الديانة اليهودية لم تكن إلا بعد إبراهيم، وربما المقصود هو الشريعة الخاصة ببني إسرائيل والتي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام.

[1] - **لمحات عن أديان العالم**. ترجمة: صادق عبد علي الركابي، ط1، القاهرة مصر: مكتبة مدبولي، 2007م، ص 101.
[2] - المرجع نفسه، ص 107.
[3] - جاير، المرجع السابق، ص 149.
[4] - **سورة آل عمران** الآية 65-66.

يقول حسن ظاظا أن اليهودية هي: مجموعة من العقائد والشرائع والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق، تراكمت وتبلورت ونضجت على مدى آلاف السنين لم تنزل على رجل واحد...[1]

وهنا ربما يتحدث حسن ظاظا عن اعتقادات العلمانيين المعاصرين وبعض الذين لا يلتزمون بالنصوص المقدسة "الأسفار الموسوية" ممن يؤمنون بالنبوة المفتوحة[2].

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود التقليديين يرفضون اعتبار اليهودية ك "دين" وإنما هي عهد وميثاق من الله مع إسرائيل، فهي عندهم إن كانت دينا فهي متفرد لا نظير له، ولا يمكن إدراجه في تصنيف مع الأديان وهو ليس على نمط الدين المسيحي أو الدين الإسلامي[3].

من هذا الاعتقاد لهذا الفريق من اليهود التقليديين يتبين أن الدين يتطلب الخضوع والعمل وبذل الجهد في الطاعة والعبادة بينما العهد لا يتطلب إلا الوفاء به من الله تعالى ، وأن الوحي لم يكن إلا لليهودية أما المسيحية والإسلام فهما لا يتميزان بهذه الميزة.

لا يهم هذا الاعتقاد من بعض التقليديين ما داموا يعتبرون قانونية الأسفار الخمسة المقدسة التي تحمل رسالة الله، وكلمته المباشرة[4]، والتي من أسسها الوصايا العشر التي وردت في سفر الخروج وكررت في سفر التثنية، وهو ما يصنع الحوار بيننا إن كنا ننشد الخير والسلام للإنسانية.

---

[1] - حسن ظاظا، **الفكر الديني اليهودي**. ط4، دمشق سوريا: دار القلم، 1420هـ 1999م، ص 5.

[2] - المرجع نفسه، ص 5.

[3] - ألان أنترمان، المرجع السابق، ص 32.

[4] - ر.س.زينر، **موسوعة الأديان الحية**. ج1، ترجمة: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، ط1، القاهرة مصر: دار الكتب، 2010م، ص93.

الكتابات المعتمدة في اليهودية:

يعتقد الكثير من اليهود وحتى النصارى والمسلمون أن التناخ هو المصدر الأول لليهود، هو اختصار لثلاثة أنواع من الكتب يتكون منها الكتاب العبري المقدس وهي التوراة وكتب الأنبياء وكتب الحكمة[1]، كما يقول زكي شنودة: كان المصدر الأول للعقيدة اليهودية والشريعة اليهودية هو مجموعة الأسفار... التي أصطلح علماء الدين على تسميتها بالعهد القديم، أو التوراة بالمعنى الواسع لهذا اللفظ...، وأما المصدر الثاني فهو مجموعة الشروح والتفسيرات والتطبيقات للمصدر الأول، وهي المسماة بالتلمود[2].

فالتوراة بالمعنى الواسع هي العهد القديم ويشمل: 1- الأسفار التشريعية وهي أسفار موسى الخمسة وهي الحجر الأساسي في الشريعة اليهودية وتتكون من الأسفار التالية: التكوين، الخروج، اللاويين، والعدد، والتثنية.

2- الأسفار التاريخية: وتتضمن فصولا من تاريخ اليهود منذ استيلائهم على أرض كنعان بقيادة يشوع بن نون إلى عهد المكابيين، وهي تشمل على أربعة عشر سفرا.

3-الأسفار الشعرية: تتضمن قصصا وتراتيل وابتهالات وأمثال وأناشيد ومراث منظومة كلها بأسلوب شعري وهي تشتمل على ستة أسفار.

4-الأسفار النبوية: وتتضمن كلها نبوءات أنبياء اليهود...، كما تتضمن عبارات التوبيخ لليهود على ما ارتكبوه طوال تاريخهم من شرور وآثام، ومن تمرد عل الله وعصيان لأحكامه ووصاياه ويبلغ عدد هذه الأسفار سبعة عشر سفرا.

[1] Rabbi Joseph Telshkin ; Jewish Literacy ,the library of congress,3edition,2008,p4.

[2] - زكي شنودة، المرجع السابق، ص 285.

5-الأسفار التعليمية: وتتضمن مجموعة من المواعظ وآداب السلوك... وهي تنحصر في سفرين[1].

وإلى جانب الكتاب المقدس اليهودي، ظهرت بين اليهود على مدى عصورهم نصوص مقدسة أخرى أشهرها "الميشنا" و"الجمارا"، الأولى بالعبرية والثانية تفسيرا لها باللغة الآرامية، ومن كليهما معا يتألف الكتاب باسم "التلمود"[2] بمعنى "التعاليم" أو "كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم"، ويدعي رجال الدين اليهود (يسمون "الرّابيّين" جمع رابّي rabbi)، أن موسى في الوقت الذي تسلم فيه التوراة المكتوبة، تسلم من الله أيضا "التلمود" شفويا، والذي سلمه بدوره إلى الخاصة من الناس ممن يتحملون العلم بدء من هارون وألعازر، غير أن كتابة "التلمود" لم تتم إلا بعد ذلك بقرون، حينما أحس علماء اليهود في القرن الثاني بعد الميلاد بصعوبة الحفاظ عليه شفويا في الوقت الذي أصبح فيه الشعب اليهودي يعاني الشتات، فكانت المبادرة الأولى بجمع المحفوظ شفويا من أفواه الرّابيّين في كتاب باسم "الميشنا" ومعناها "التكرار" واعتمد اليهود هذا الكتاب كمرجع رسمي موثوق به، فأصبح علماؤهم يدرسون الشريعة من خلالها ويفسرونها لهم، ولكن عندما كثرت التفسيرات إلى درجة الإختلاف، وكذلك الفتاوى إلى درجة التناقض، وحينها تضاربت الأحكام الصادرة من المجامع والمدارس جاءت مبادرة جمع هذه الاجتهادات مكتوبة على فترة من الزمن فتشكل ما يعرف باسم "الجمارا" وتعني "التكملة" حيث بلغت نحو عشرين مجلدا ضخما، وعندها تكون ما يسمى بالتلمود[3]، حيث ظهرت نسخة في أواخر القرن السادس الميلادي بعد المسيحية[4].

إن الأب برانايتس الذي كتب كتابه "فضح التلمود" مستندا إلى مصادر التلمود الأصلية، أبرز فيه بالأدلة

[1] - المرجع نفسه، ص 286-295.

[2] - حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 65.

[3] - آي.بي.برانايتس، **فضح التلمود**. ترجمة:زهدي الفاتح، ط3، بيروت لبنان: دار النفائس، 1405هـ 1985م، ص 21-24؛ انظر زكي شنودة، المرجع السابق، ص 295-296.

[4] - أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 35.

والوثائق ما يحمله من أوصاف قبيحة في حق السيد المسيح عليه السلام، وفي حق أمه، وفي حق المسيحيين، والحكم بوجوب الإضرار بهم وبجواز الاحتيال عليهم... وكذلك ما كتبه زكي شنودة في موضوع التلمود كلها شهادات على التعصب والعنصرية، ليس ضد المسيحية فحسب بل وضد الأمم جميعا، وهو ما كتبه وحيد الدين خان في كتابه "التلمود" وأشار إليه أسعد السحمراني وغيرهم الكثير. ولذلك فإن خط هذا المصدر وخط البحث يسيران في اتجاهين معاكسين.

وعليه لا يكون تعاملنا في هذا الصدد إلا مع العهد القديم، والتعامل مع التلمود مادامه كتاب حي يكون في أفاق أخرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السابع: مفهوم المسيحية لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للمسيحية.

المسيحية اسم لديانة نسبة إلى السيد المسيح عليه السلام وهي اسم مشتق من الفعل الثلاثي المجرد مسح نقول: مسح الشيء أي أزال الأثر عنه...، ومسح حذاءه: أي طلاه بدهان الأحذية لتلميعه، ونقول: مسحه بالدهن: أي أمر يده عليه به[1]، فأصبح ممسوحا ومسيحا.

والمسيح أو الممسوح، جاءت من الطقس المستخدم قبل عيسى عليه السلام، حيث كان المسح بالزيت لعموم البدن شأنا دينيا يعبر عن الفرح والتبجيل، بعد المسح بالزيت كان المسح بالقدرة الرسولية من الله تعالى[2]، ولما مسح عيسى (يسوع) من الله عز وجل بالروح القدس والقدرة أضحت كلمة (المسيح) اسما مخصوصا بالمسيح عليه السلام دون غيره، ولذلك نسبت الديانة إليه بزيادة ياء النسبة المشددة مع كسر ما قبلها فالشخص المنسوب إلى المسيح يدعى مسيحي (مذكر) أو مسيحية (مؤنث)، والديانة المنسوبة إلى المسيح هي المسيحية.

وكذلك، إن لفظة المسيح تعني "مسيّا" باللغتين العبرية والآرامية وأما باللغة اليونانية فتعني "خريستوس" XPιστος.[3]

و"khristos " المشتقة من XPιϭν khriein أي المسح ومنها اشتق الاسم التاريخي للديانة christianity أي المسيحية[1].

---

[1] - مجاني الطلاب، المرجع السابق، ص 910. وانظر أحمد أبو حاقة، المرجع السابق، ص 1171.

[2] - أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 65-66.

[3] - غسان خلف، **الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية**. (د ط)، بيروت لبنان: دار المعمدانية، 1979، ص 872.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للمسيحية.

يقول ليون جركسيان: المسيحية هي العقيدة التوحيدية والديانة السماوية التي بشر بها السيد المسيح وهو اسمه كما جاء في الأناجيل ولقبه يسوع النصاري، وقد ورد اسمه في القرآن الكريم عيسى بن مريم عليه السلام، ولقبه المسيح[2].

وورد في قاموس الرائد التعريف بالمسيحية كما يلي: المسيحية ديانة تنسب إلى السيد المسيح، نشأت في فلسطين ونشرها الرسل تلاميذ المسيح (الحواريّون) في بلدان حوض البحر المتوسط، ومن أشهرهم "بطرس" و"بولس". وقد اضطهدت في بادئ أمرها ولكنها أصبحت ديانة الدولة في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول سنة 313م...[3]

ويقول عرفان عبد الحميد فتّاح: المسيحية عنوان للدين الذي بشر به عيسى المسيح... واسمه الأصلي "عما نوئيل"... في العهد القديم[4] "هاهي العذراء تحبل وتلد ابنها وتدعو اسمه عما نوئيل"[5].

ويتحدث داود علي الفاضي عن سبب اختياره كلمة المسيحية بدل النصرانية لأن "المسيحية نسبة إلى المسيح" وأما "النصرانية فإنها تنسب إلى أولئك الذين ادعوا نصرة المسيح، والأنصار هؤلاء مختلف في حقيقتهم، هل هم الأتباع جميعا أم أنهم تلك الجماعة التي صاحبت المسيح عليه السلام أثناء التبليغ"[6].

---

[1] - عرفان عبد الحميد فتّاح، **النصرانية**. ط2، كوالالمبور ماليزيا: دار التجديد، 1426هـ 2005م ص 39.

[2] - ليون جركسيان، **تاريخ أديان التوحيد في الهلال الخصيب**. ط1، دمشق سوريا: خطوات للنشر والتوزيع، 2011ن ص 175.

[3] - جبران مسعود، المرجع السابق، ص 1379.

[4] - **سفر أشعيا** 14:18.

[5] - عرفان عبد الحميد فتّاح، المرجع المذكور أعلاه، ص 39.

[6] - داود علي الفاضي، **أصول المسيحية**. الرباط المغرب: مكتبة المعارف، ص 17.

ويستبعد كون أصحاب المسيح يسمون "نصارى" لأنهم في القرآن الكريم سمّوا بالحواريين وبأنصار الله، ويرى إن المسيحية اسم أليق بالدين من النصرانية، لأن المسيحية نسبة مباشرة للسيد المسيح والنصرانية هي نسبة إلى النصارى الذين يدعون النسبة إلى المسيح ولكنها ديانة محرفة فادعت المسيح ابنا لله والمسيح هو الله[1].

وفي حقيقة الأمر إن حواريي عيسى عليه السلام هم أتباعه وأصحابه وأنصاره، ذكروا تحتال بعضهم قوة إيمانية تارة وضعف إيماني أو سوء تصرف تارة أخرى فنلاحظ هذا في الآية الكريمة "**وإذ أوحيت إلى الحواريّين أن آمنوا بي وبرسلي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون، وإذ قال الحواريّون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين**"[2].

والنصارى أيضا كما ذكروا في حالة الذم، مدحهم أو مدح بعضهم عندما قال الله تعالى: "... **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق...**"[3].

وقال سبحانه: "**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصّابين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**"[4]. والنصارى في الآية هم أتباع المسيح عليه السلام[5].

---

[1] - المرجع نفسه، ص 17-18.

[2] - **سورة المائدة** الآية 112

[3] - **سورة المائدة** الآية 83.

[4] - **سورة البقرة** الآية 62.

[5] - ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج1، (د ط)، بيروت لبنان: دار الفكر، 1429هـ 2008م، ص102.

ومن هنا يتبين لنا أن النصرانية والمسيحية هما عنوانان لدين واحد ينسب إلى السيد المسيح عليه السلام.

وفي هامش كتاب تاريخ أديان التوحيد ذكر أن تسمية النصارى أطلقت على اليهود الذين اتبعوا السيد المسيح وأخذوا بتعاليمه بينما المسيحيون هم الأقوام والأمم غير اليهودية التي اعتنقت الدعوة[1].

ويبدو تاريخيا أن اسم النصرانية متقدم على اسم المسيحية، واسم النصارى أطلق على الأتباع نسبة إلى "يسوع النصاري" فسميت الديانة بالنصرانية تبعا له، وعندما بدأ تلاميذ المسيح وتلاميذ تلامذته ينشرون دعوته لتشمل جميع الأمم، وإخراجها من دائرة (فراق بني إسرائيل) الضالة إلى العالم دعي الأتباع حينئذ بالمسيحيين[2].

والمسيحية بهذا هي مسيحيتان، المسيحية الأولى مرجعها إلى المؤسس الأول وهو السيد المسيح عيسى (يسوع الناصري) والمسيحية الثانية مرجعها القديس "بولس" واسمه الأصلي شاؤل*[3].

تختلف الثانية عن الأولى في كثير من النقاط منها:

- الأولى فيها التزام بشريعة التوراة والمتممة لها، وهي شريعة وبشارة خاصة باليهود، وهي تدعو إلى التوحيد الخالص[4]، فقال السيد المسيح في جوابه لمعلمي الشريعة: ما أعظم وصية في الشريعة؟ فأجاب: "الوصية الأولى هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلاهنا هو الرب الأحد...إن الله واحد ولا إله سواه"، بل ورفض حتى أن يدعى صالحا، فلا صالح إلا الله وحده وأنه مجرد ربّاي ومعلم... وأن المسيح بشر واحد من الأنبياء، وفي هذا يقول "ديرمت ألان" واحد من علماء المسيحية: "يظهر لنا عيسى، أولا وقبل كل شيء، إنسانا بين

[1] - ليون جركسيان، المرجع السابق، ص 175.
[2] - المرجع نفسه، ص 178-179.
[3] - بولس يهودي يحمل الجنسية الرومانية ولد عام 6م وتوفي عام 63م.
[4] - متى 22:34-40.

البشر...، عانى من الضعف والجوع والإحباط والعزلة ومحدودية علمه وغير ذلك من صفات البشر، ولهذا نظر المعاصرون إليه باعتباره ربّيا يهوديا، وكنبي في سلسلة الأنبياء الذين سبقوه"[1].

- أما المسيحية الثانية التي أسسها بولس أعلن أن رسالة الإنجيل موجهة للبشرية كلها[2] وهي أيضا محررة من قواعد الشرع الموسوي ومن جملة الأحكام الحلال والحرام التوراتية[3] وانقطاع المسيحية عن جذورها اليهودية، والقول بالتثليث والحلول، والصلب والفداء والخلاص وهذه الأصول عقدية للمسيحيين اليوم بجميع طوائفهم[4].

ونظرا للتأويل الذي بني عليه تفسير نصوص الكتاب المقدس عموما والأناجيل القانونية هو ما قاله القديس بولس عن نفسه وهو يشير بالإنجيل ويحاول أن يكسب كثيرا من الأتباع ولا يريد من وراء ذلك أجرا: (فما هو أجري؟ إذ وأنا أبشر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة، حتى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل، فإني إذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح، لأربح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كل شيء لأخلِّص على كل حال قوما، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل، لأكون شريكا فيه"[5].

[1] - عرفان عبد الحميد، المرجع السابق، ص 121-122.
[2] - المرجع نفسه، ص 123.
[3] - المرجع نفسه، ص 125.
[4] - المرجع نفسه، ص 127.
[5] - **كورنثوس الأولى** 9:18-23.

قال المفسر "جون ماك آرثر" عن بولس بخصوص كلامه هذا: "لم يكن أي بولس مقيدا بطقوس اليهودية وتقاليدها لقد أزيل كل إلزام ناموسي، لكن توافر التزام المحبة"، "إذ لم يكن بلا ناموس تجاه الله، كان ملتزما ناموس يسوع المسيح"، "ضمن كلمة حدود الله، ما كان ليعثر (بولس) اليهود أو الأمم أو ضعاف الفهم، فبغير تحوير للمكتوب المقدس أو مساومة بالحق، تنازل (بولس) راضيا بطرق يمكن أن تؤدي إلى خلاص الآخرين"[1].

سيكون اعتمادنا في البحث عن المصالح الإنسانية المشتركة على المسيحية الأولى أي على الأناجيل القانونية التي تحكي كرازة السيد المسيح إذ هي الأصل عندنا وعند القديس بولس، ولما فيها من تشابه كبير مع ما جاء في التوراة والقرآن، ولا نهمل استئناسنا بما جاء في الرسائل خصوصا فيما يتعلق بالشريعة الأدبية (الوصايا العشر).

كتاب المسيحية المقدس: هو الكتاب المقدس المعتمد مسيحيا، ويتكون من الأناجيل الأربعة التي أجمعت عليها الكنائس الشرقية والغربية، ولذلك وصفت بالقانونية... يضاف إليها الرسائل وعددها 23 رسالة، وبذلك يكون العهد الجديد مكونا من 27 سفرا، وكلمة "إنجيل" تعني "البشرى السارة"[2].

من قواعد الإيمان بالنسبة للمسلم، يجب أن يؤمن بكتب الله المنزلة على رسله منها "الإنجيل" الذي نزل على السيد المسيح عيسى عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: "**ثم قفينا على أثرهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل**..."[3] ، وأما المسيحيون كما يقول الأب "توماس": "...لا يدعون البتة أن يسوع حمل كتابا هو الإنجيل"[4].

---

[1] - جون ماك آرثر، **تفسير الكتاب المقدس**. ط2، لبنان: دار منهل الحياة، 2012م، ص 1965.

[2] - أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 78-79.

[3] - **سورة الحديد** الآية 27.

[4] - أسعد السحمراني، المرجع المذكور أعلاه، ص 82.

ويقول "فريز صموئيل": "من المهم أن ندرك أن المسيح لم يكتب كتابا، ولم ينزل عليه كتاب، فالوحي في المسيحية لا يعني أن هناك كتابا كان موجودا عند الله وأنزله، فالله ليس عنده لغات وحروف، ولكن روح الله يهيمن على الكاتب ويقوده، فيكتب لنا الرسالة التي يريد الله أن يرسلها لنا، ويعصمه فيما يكتب مستخدما أسلوب ولغة وثقافة الكاتب"[1].

يقول صاحب كتاب لمحات عن أديان العالم الذي ترجمه صادق الركابي عن السيد المسيح إن تعاليمه كانت شفهية[2]، وكتبت الأناجيل بعد حوالي 40-60 عاما من وفاة عيسى عليه السلام وهي تستند على الرواية الشفوية[3]، فالإنجيل المنزل على سيدنا عيسى –في اعتقادنا- لا وجود له الآن وإنما أطلق اسم الإنجيل على ما كتبه القديسون رسل المسيح بقيادة "الروح القدس" –كما يعتقد المسيحيون- ولذلك نجد في الكتاب المقدس العهد الجديد "الإنجيل" الحديث عن حياة المسيح، وتعاليمه ومعجزاته، وموته، وقيامه، ومجيئه الثاني[4]. وما يهمنا في بحثنا هي تعاليم المسيح التي تشكل لنا مصالح يمكن أن تستفيد منها الإنسانية، ويمكن أن تتعاون عليها الأديان لإقامتها.

[1] - فريز صموئيل، **تحريف الإنجيل حقيقة أم إفتراء**. (د ط)، (د بلد): أوتوبرنت، (د ت)، ص 3.

[2] - **لمحات عن أديان العالم**. المرجع السابق، ص 58.

[3] - **لمحات عن أديان العالم**.المرجع السابق، ص 58.

[4] - فريز صموئيل، المرجع السابق، ص 3-5.

المبحث الثامن: مفهوم الإسلام لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للإسلام.

الإسلام مشتق من الفعل الرباعي أسلم يسلم إسلاما بمعنى إنقاء، وتقول: أسلم أي دخل في السلم، وتقول: أسلم أمره إليه أي سلّمه، وأسلمه تعني أيضا خذله وأهمله، وأسلم الشيء إليه: دفعه إليه.

وإذا بني الفعل للمجهول فقلت: أُسلم الرجل أي لدغته الحية أي دفعت إليه سمها.

فإذا صغنا من الفعل أسلم اسم التفضيل أسلمُ أي سليم من الآفات[1].

وإذا أرجعنا الفعل أسلم إلى مادته الأولى المجردة فقلنا: سلم يسلم: سلاما وسلامةً، وبرئ وتخلص من العيب أو المرض.

وإذا ضعفنا لام (سلم) فقلنا سلّم تسليما أي حيّا بالسّلام، وسلّم أمره إلى الله تعالى أي فوّضه، وجعله إليه، وسلّمه من المرض أي وقاه منه، والسِّلم: هو السّلام والصلح[2].

في غالب هذه المرادفات تعطي معنى العبودية والاستسلام والاعتماد فإذا استعملت هذه المعاني متصلة بالله كانت الأفعال لائقة.

أما عبارة "أسلمه" إذا كانت من العبد لأخيه في موطن كان يجب عليه أن ينصره فيه فخذله فيكون المعنى سلبيا، لكن يستعمل في موطن آخر يكون معناه إيجابيا كمن يسلم الأشياء إلى أصحابها.

---

[1] - جبران مسعود، المرجع السابق، ص 136.

[2] - المرجع نفسه، ص 834.

أما أُسلم الرجل أي لدغته الحية فالمعنى مرتبط بقوة التأثير وسرعة التمكن وكذلك الإسلام إذا تمكن من قلب الإنسان.

ويقول عبد الفتاح طبارة في معنى الإسلام اللغوي: "فإذا تتبعنا مادة (سلم) في اللغة رأيناها تأتي بهذه المعاني:

أولا: معنى الخُلوص والتعري من الآفات الظاهرة أو الباطنة.

ثانيا: معنى الصّلح والأمان.

ثالثا: معنى الطاعة والإذعان.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للإسلام.

يقول محمود شلتوت الإسلام هو دين الله الذي أوصى بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم إليه، وقد تلقى فيه محمد عن ربه القرآن الكريم، فبلغه كما تلقّاه، وبين بأمر الله وإرشاده مجمله، وطبق بالعمل نصوصه، ثم تلقاه عنه الناس جيلا بعد جيل، كما تلقّاه هو عن ربه، حتى وصل إلينا –كما نزل– متواترا لا ريب فيه...[1]

ويقول أيضا: ومن القرآن عرف أن الإسلام له شعبتان أساسيتان، لا توجد حقيقته، ولا يتحقق معناه إلا إذا أخذت الشعبتان حظهما من التحقق والوجود، في عقل الإنسان وقلبه وحياته، وهاتان الشعبتان هما: العقيدة والشريعة[2].

[1] - محمود شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**. ط10، القاهرة مصر: دار الشروق، 1400هـ 1980م، ص 7.

[2] - المرجع نفسه، ص 9.

ويقول محمد الغزالي: "إن الدين يقوم على حقيقتين رئيسيتين: أولهما: معرفة الله والشعور بأن البدء منه والمصير إليه.

والأخرى: الالتزام بهديه والخضوع لأمره ونهيه والتقيد بمواثيق السمع والطاعة النازلة منه...ذلك معنى الإسلام، وهو دين الله من الأزل إلى الأبد، وهو الذي بلغ الرسل كلهم أصوله..."[1].

مصادر الإسلام:

في هذا المقام نكتفي بالمصدرين الأساسيين اللذين أوصى بهما النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع هما: كتاب الله (القرآن) وسنة رسوله[2].

أولا: القرآن: فهو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله محمد ابن عبد الله بلفظه ومعناه متعبد بتلاوته، مدون بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلا عن جيل محفوظا من أيّ تغيير أو تبديل...[3] ويشتمل على أحكام اعتقادية، وخلقية، وعملية، والأحكام العملية في القرآن تنتظم نوعين: أحكام العبادات وأحكام المعاملات كالعقود والتصرفات والعقوبات وغيرها...[4]

ثانيا: السنة: والسنة هي ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير (أي ما أقرّه

[1] - محمد الغزالي، **محاور الخمسة للقرآن الكريم**. (د ط)، الجزائر: دار الهدى، (د ت)، ص 116.

[2] - محمد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة النبوية**. ط11، دمشق سوريا: دار الفكر، 1412هـ 1991م، ص 324.

[3] - عبد الوهاب خلاف، المرجع السابق، ص 23.

[4] - المرجع نفسه، ص 32.

الرسول مما صدر عن أصحابه من أقوال أو أفعال بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه[1].

وحجّية وجوب العمل بها هي قول الله عز وجل في القرآن الكريم: "**قل أطيعوا الله والرسول**"، وقوله: "**من يطع الرسول فقد أطاع الله**"، وقوله تعالى: "**وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**" وغيرها من الآيات القرآنية.

ومهمة السنة إنها تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن وإعطائه للأمة المؤمنة منهج تطبيقه حتى يتسنى لها الإتباع، فهي إما مؤكدة لما جاء في القرآن أو مفصلة لمجمل أو مفسّرة أو مقيّدة لمطلق[2]، قال الله عز وجل: "**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم**".

والسنة فيها ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتواتر، والذي لم يثبت بهذا الطريق فدقق فيه العلماء فمنه الصحيح ومنه دون ذلك[3].

والسنة كانت متماشية مع نزول القرآن الكريم وتدوينه عقب النزول مباشرة، غير أن السنة بقيت تتناقل مشافهة حيث بدأ تدوينها على رأس المائة الثانية من الهجرة بأمر من خليفة المسلمين الإمام عمر بن عبد العزيز[4].

وهناك مصادر أخرى فرعية لا تخرج عن القرآن والسنة ولا عن مقاصدها وتستعمل هذه المصادر في ميدان المعاملات التي ليس فيها نص صريح من القرآن أو من السنة، أما العبادات والعقائد فلا تخرج عنهما مطلقا

وإلا حصل الابتداع في الدين.

---

[1] - عبد الوهاب خلاف، المرجع السابق، ص 36.

[2] - المرجع نفسه، ص 39.

[3] - المرجع نفسه، ص 41.

[4] - محمد الخضري بك، **تاريخ التشريع الإسلامي**.(د ط)، الجزائر: دار أشرفية، (د ت)، ص 149.

ونحن في بحثنا سنتعامل مع القرآن مباشرة ومع الشروح المبنية على السنة في حالة الغموض، لأن ذلك يكفينا في الاستدلال.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الأول:

مصلحة الدين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:
عوامل حفظ الدين

المبحث الأول: العقيدة.

.المبحث الثاني: تطبيق التعاليم ومقوماته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: عوامل حفظ الدين.

التمهيد:

إن للإنسانية مصلحة في الدين، لأن الإنسان مطبوع على حب الذات، والحسد والتنافس، وإذا كان يشعر بشيء من القوة تجده ينزع الى صفة الظلم، وبهذه الصفات التي يحملها كل إنسان في جوانحه لا يمكن أن تعيش الإنسانية في سعادة وسلام، بل تكون مهددة في كل حين بالفناء وهلاك الحرث والنسل، ومن هنا كان ولابد من وجود حكم محترم يحكم بين الناس بالعدل وينظم علاقاتهم ويحد لهم حدودا لحرياتهم حتى لا يحصل عدوان أو ظلم .. هذا الحكم يمتاز بالحيدة والعدل ولا تتأثر مواقفه بحالات الضعف الإنساني، ألا وهو الدين الذي مصدره خالق الإنسان القاهر فوق عباده، وهو الذي يمكنه أن يجمع الناس على كلمة سواء أما ما كان صادرا عن البشر من تعاليم أو قوانين لا يمكن أن يخلق في أمثالهم ضميرا يحرس تصرفاتهم ويمنعهم من الظلم عندما يسهل على النفس أسبابه .و الدين دستور فلكي يؤدي دوره في الإنسانية ينبغي أن يحمل في ذاته عوامل الحفظ والتنمية وذلك ما نصبو إليه من خلال بحثنا إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول: العقيدة.

المطلب الأول: الإيمان بالله.

الفرع الأول: في اليهودية.

إن أكبر شيء تتفق عليه الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام في مسألة العقيدة هو الإيمان بخالق الكون اسمه الله، بغض النظر عن الإختلاف في المفهوم والتصور، فإذا لاحظنا الترجمة العربية المسيحية واليهودية والإسلام كلها تشترك في اسم الجلالة الله، كل النصوص تتفق على أن خالق كل شيء هو الله ففي التوراة نقرأ ما يلي: (في البدء خلق الله السماوات والأرض... أمر الله ليكن نور، فكان نور... ثم أمر الله ليكن جلد "السماء "... ثم أمر الله لتتجمع المياه التي تحت السماء إلى موضع واحد، ولتظهر اليابسة،... وسمى الله اليابسة أرضا والمياه المجتمعة بحارا... وأمر الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا مبرزا، وشجرا مثمرا فيه بزره الذي ينتج ثمرا كجنسه في الأرض... ثم أمر الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفرق بين النهار والليل،... وخلق الله نورين عظيمين، النور الأكبر ليشرق في النهار والنور الأصغر ليضيء في الليل، كما خلق النجوم أيضا،... وهكذا خلق الله الحيوانات المائية الضخمة، والكائنات الحية... وأيضا الطيور... ثم أمر الله لتخرج الأرض كائنات حية، كلا حسب جنسها من بهائم وزواحف، ووحوش وفقا لأنواعها... ثم قال الله: لنضع الإنسان على صورتنا، كمثالنا،

فيتسلط على سمك البحر، وعلى طير السماء وعلى الأرض... ذكرا وأنثى خلقهم، وباركهم الله قائلا لهم: أثمروا وتكاثروا واملئوا الأرض وأخضعوها)[1].

ونقرأ عبارة أخرى من العهد القديم نفسه (السماوات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه، بذلك تتحادث الأيام أبلغ حديث، وتتخاطب به الليالي، لا يصدر عنها كلام، لكن صوتها يسمع جيدا)[2].

ويشهد سفر أشعياء بأنه لا إلاه إلا إلاه واحد في النص الآتي: (هذا ما يقوله الرب القدير ملك إسرائيل وفاديه : أنا هو الأول والآخر، ولا إلاه غيري، من مثلي؟... هل هناك إلاه غيري ؟ هل هناك صخرة أخرى لا علم لي بوجودها ؟ كل صانعي التماثيل لا جدوى منهم، ومشتهياتهم لا طائل منها، وهم شهود عليها أنها لا تبصر ولا تعلم... أنا هو الرب صانع كل الأشياء الذي نشر السماوات وحده، وبسط الأرض بنفسه من كان معي حينذاك ؟)[3]

هذه كلمات يمن بها الله الخالق على إسرائيل وبما أنعم عليه، ويصف فيها نفسه بأنه الرب، القدير، الأول ، والآخر، لا إلاه غيره، ليس كمثله شيء، البصير، العليم بكل شيء .

وفي نص ورد في سفر أشعياء: (هذا ما يقوله الرب لكورش مختاره الذي أخذت بيمينه حتى أخضع أمامه أمما وأكسر شوكة ملوك... لتعرف أني أنا هو الرب إله إسرائيل الذي دعاك باسمك لأجل عبدي يعقوب، وإسرائيل مختاري دعوتك باسمك، لقبتك من غير أن تعرفني، أنا هو الرب ولا إلاه غيري، ليس هناك آخر،

[1] - **التكوين :الإصحاح** 1:1-28 .
[2] - **المزامير**19:1-3.
[3] - **أشعياء** 44:6-24.

شددتك مع أنك لم تعرفني، حتى يدرك الناس من مشرق الشمس ومن مغربها أني أنا هو الرب وليس هناك آخر، أنا مبدع النور وخالق الظلمة،أنا صانع الخير وخالق الضر، أنا هو الرب فاعل كل هذه ...)[1].

الشاهد في هذا النص أن إلاه إسرائيل هو إلاه العالمين، وذلك في قوله: (.. حتى يدرك الناس من المشرق إلى المغرب أني أنا هو الرب وليس هناك آخر...).

وما يؤكد التوحيد وصية الله لموسى وأتباعه في سفر الخروج: (ثم نطق الله...: أنا هو الرب إلاهك... لا يكن لك آلهة أخرى سواي، ولا تنحت لك تمثالا، ولا تصنع صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت، وما في الماء من أسفل الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبد هن، لأني أنا الرب إلاهك إله غيور...)[2].

وفي النص نفسه وهو يتحدث عن مباركته للسبت قال: (...لأن الرب قد صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام...)[3].

ومن صفات الكمال لله عز وجل التي قررها سيدنا موسى في كلماته بحسب ما ورد في سفر التثنية: هو الله الخالق، العظيم، العدل، الأمين، الصديق، رب الناس، العلي، ليس معه إلاه، المحيي، والمميت، الساحق (ربما يعني: الغالب)، والشافي، ولا منقذ من يديه، الحي الذي لا يموت، المنتقم، العفو، الرؤوف، الديان (أنظر سفر التثنية

[1] - **أشعياء** 45:1-7.

[2] - **الخروج** 20:1-5. تكرر ما يشبه هذا النص في **سفر التثنية** 5:6-9.

[3] - **الخروج** 20:11،وتتمة الفقرة هي: (ثم استراح في اليوم السابع)، ربما هو "الاستواء" ظنته بنو إسرائيل "الاستراحة"، لأنه لا يوجد عندهم ما يسندوه إلى المحكم من النصوص المقدسة، وهو ما يقابل عندنا في القرآن الكريم قوله تعالى: "هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش" سورة الحديد الآية 4، المفسرون يقولون: استواء يليق بجلال الله، ولا يخوضون في أكثر من هذا، لأن في القرآن ما يرد إلى المحكم منه وهو قوله تعالى في سورة "ق" الآية 38: "**ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**"، وقوله تعالى في سورة الأحقاف الآية 33: "... **ولم يعي بخلقهن**...".

1:32-4)، عليم بذات الصدور (أنظر التثنية21:31) ليس له نظير أو شبيه (أنظر التثنية 26:33، والخروج 14:9)، المعين (أنظر التثنية 29:33)... ولنا أن نستأنس بما ورد في المزامير 5:33-12 و28:22، و8:9 وسفر أيوب14:37-15، و24:28، ونقرأ تسبيح داود عليه السلام بحسب ما ورد في

سفر أخبار الأيام الأول (في الإصحاح10:29-17) و(سفر أخبار الأيام الثاني 1:20-6).

وإن الطوائف اليهودية أجمعت بخصوص صياغة جملة من المبادئ العقيدية والمعروفة بثلاثة عشر بندا التي عدت بمثابة قانون الإيمان اليهودي منها :

1 – أؤمن إيمانا قاطعا بالإله الخالق تقدس اسمه خالق الكون ومدبر كل موجود على الخليقة، وهو الخالق غير المخلوق، كائن لم يكن.

2 – أؤمن إيمانا قاطعا بأن الله تقدس اسمه الخالق العظيم هو إله واحد أحد، ولم يتحد أو يندمج مع أي مخلوق آخر، وهو وحده الله كائن منذ الأزل، لم يكن له شريك أو مثيل أو قرين . وفي البند الخامس ورد الآتي: أؤمن إيمانا قاطعا بأن أي صلاة أو مظهر عبادي آخر لا تجوز مطلقا وبأي حال من الأحوال سوى للرب الإله تقدس اسمه[1].

الفرع الثاني: في المسيحية.

وإضافة إلى النصوص التوراتية – التي هي جزء من الكتاب المقدس للنصارى والتي تقرر أن الخالق هو الله ولا إلاه غيره –، ورد في الإنجيل النص الآتي على لسان السيد المسيح حينما سئل عن بعض الوصايا (اسمع يا إسرائيل

[1] - ليندسي جونز، جوناثان إسرائيل، إسرائيل شاحاك، **الديانة اليهودية**. ترجمة: علاء عبد الرزاق، ط1، سوريا: تموز للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م، ص 12- 13.

الرب إلا هنا رب واحد، فأحب إلهك بكل قلبك، وبكل فكرك وبكل قوتك، هذه هي الوصية الأولى، وهناك ثانية مثلها، وهي أن تحب قريبك كنفسك فما من وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: صحيح يا معلم، حسب الحق تكلمت، فإن الله واحد وليس آخر سواه ومحبته بكل القلب

و بكل الفهم وبكل القوة، ومحبة القريب كالنفس، أفضل من جميع المحرقات والذبائح)[1]

إن النص يبين لنا بوضوح أن الإله هو الله سبحانه وتعالى وأنه يتصف بالوحدانية وينفي ما يتخذه بعض الناس آلهة من دونه، فهو الوحيد المستحق لمطلق المحبة التي يشهد لها قوله :(... بكل قوة ...)، ومطلق المحبة لا يمكن أن تكون إلا عن طريق الفهم والذي يشهد له قوله: (وبكل الفهم)، والفهم بأن الله هو الخالق والمنعم يقتضي المحبة الخالصة، والمحبة تقتضي الطاعة والعبادة الخالصتين.

وفي كلام السيد المسيح عليه السلام في خطبة الجبل ما يؤكد ذلك فجاء في سفر متى النص التالي (لا يمكن لأحد أن يكون عبدا لسيدين، لأنه إما أن يبغض أحدهما فيحب الآخر، وإما أن يلزم أحدهما فيهجر الآخر لا يمكنكم أن تكونوا عبيدا لله والمال معا)[2].

هذه النصوص التي سقناها سواء من التوراة أو الإنجيل تبين أن الذي خلق الكون هو إلاه واحد، ولذلك عقلا لا يجوز أن يشكر الإنسان غير الذي أسدى إليه المعروف مدبر كل ما موجود على الخليقة .

[1] - **مرقس** 12:29-33.

[2] - **متى** 6:24.

ورد في كتاب أصول الدين للبطريرك إليا الثاني (ت 1131 م) – الذي حققه الأب جان جانتسا- قول إليا النصيبي : " إن النصارى يعتقدون في البارئ تعالى أنه إلاه واحد، رب واحد، معبود واحد، لا إلاه قبله، ولا بعده، ولا إلاه إلا هو، لا شريك في الأزلية، ولا مثيل في الذاتية، ولا نظير في الربوبية، ولا رب غيره ولا معبود سواه". وفي النسخة التي تم تصحيحها جملة مضافة هي:" ولا خالق إلا هو"[1].

وورد في موضع آخر من الكتاب ما نصه:" إنا لما رأينا مخلوقات كثيرة، عجيبة، ذات حكمة باهرة، مختلفة الطباع، متفقة في النظام، علمنا أن لها صانعا صنعها، وموجدا أوجدها، لما اختلفت في طباعها واتفقت في نظامها، استدلنا على وحدانية خالقها ومدبرها"[2].

الفرع الثالث: في الإسلام.

والقرآن يسير في الخط نفسه مع ما أوردناه من النصوص من مصدريها، ويوافق منطق الاستدلال أيضا الذي اتخذته تلك النصوص، في برهنتها على وجود الله ووحدانيته وأحقيته في أن يُعبَدَ بإخلاص ولا يشرك به. كما نلاحظ أن نصي إجماع الطوائف اليهودية والنصارى على لسان بعض علمائهم اللذين عرضناهما آنفا وكذلك النص الأخير في الاستدلال، يؤيّده القرآن الكريم أيضا.

قال الله تعالى في القرآن معللا أحقيته بالألوهية والربوبية والتوحيد بمخلوقاته وإنعامه عليها: "**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**"[1].

[1] - إليا الثاني ، **أصول الدين**. ج1 ، تحقيق: جان ماريا جانتسا ، ط1 ، لبنان : مركز التراث العربي المسيحي ، 2005م ، ص46

[2] - إليا الثاني، المرجع السابق، ص193.

وقال أيضا : "**إنّ ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين**"[2].

وقال أيضا : "**أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون**"[3].

وقال بعد أن ذكر خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان والحيوانات وتسخيرها للإنسان ، والماء الذي ينزل من السماء فيحيي به الأرض فتنبت بإذنه نباتات والثمرات مختلفة الألوان والأشكال والأذواق ، والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وكيف هي مسخرة بأمره لصالح الإنسان وكذلك البحر :"**أفمن يخلُقُ كمن لا يَخلُقُ أفلا تذكرون**"[4].

وقال : "**والذين تدعون من دون الله لا يَخلُقون شيئا وهم يُخلَقون**"[5].

وآيات قرآنية أخرى تدعو الناس إلى عبادة الله وحده وتصحب في دعوتها مبررات هذا الحق ، نسوق بعضها فيما يلي : "**الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ،**

[1] - **سورة فصلت** الآية 37.

[2] - **سورة الأعراف** الآية 54.

[3] - **سورة الأعراف** الآية 185.

[4] - **سورة النحل** الآية 17.

[5] - **سورة النحل** الآية 20.

ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، ذلكم الله ربكم خالق شيء ، لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ، كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ، الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين، قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين ، هو الذي خلقكم ..."[1].

والآية الآتية تساؤل المشركين كيف يعبدون من لا يخلق "**قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض**"[2].

وتساؤل إنكاري آخر "**قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض، وهو يُطعم ولا يُطعَم، قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم، ولا تكونن من المشركين**"[3]

وضرب الله تعالى في القرآن مثلا فطريا بأن النفس تميل الى التوحيد وترفض التعدد، وآيتان أخريتان تحاجج أصحاب العقول بناء على ما يسلّمون به : "**ضرب الله مثلا رجل فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**"[4].

[1] - **سورة غافر** الآية 67.

[2] - **سورة فاطر** الآية 67.

[3] - **سورة الأنعام** الآية 14.

[4] - **سورة الزمر** الآية 20.

وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام وهو يخاطب السجينين حينما كانا على الشرك وقد استفز فيهما الفطرة والعقل: "**أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهّار**..."[1].

وقال تعالى: "**قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون، فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون**"[2].

وتساؤلات أخرى نتأملها: "**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون**"[3].

فمقتضى الجواب، الشعور بمدى رحمة الله الذي مؤداه التوحيد بالشكر، فقال تعالى: "**و من رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**"[4].

وبعد عملية الإقناع العلمي ينهى الله تعالى عباده بأن يدعوا غيره لأن كل شيء فان إلاّ هو، فقال: "**و لا تدع مع الله إلاها آخر لا إله إلاّ هو كل شيء هالك إلاّ وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون**"[5]

[1] - **سورة يوسف** الآية 39.

[2] - **سورة يونس** الآية 31-32.

[3] - **سورة القصص** الآية 71-72.

[4] - **سورة القصص** الآية 73.

[5] - **سورة القصص** الآية 88.

وبعد أن أعلن الله في القرآن أنه هو الخالق، وأنه الوكيل على كل شيء، وله مقاليد كل شيء، نعى على الناس أن يشركوا به أو يأمروا بالشرك، وهو ما أوحى به إلى جميع الأنبياء على رأسهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وذلك في قوله تعالى :"**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**"[1]

ويُعلم اللهُ المشركين أنه سيحاججهم يوم القيامة قائلا: "**أين شركائي الذين كنتم تزعمون، ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون**"[2]

فهذا هو صريح العقل، ومنطوق النص للأديان السماوية الثلاثة فيما اتفقت عليه من أن الله هو الخالق، والخالق هو صاحب الحق في أن يعبد ولا يشرك به ؛ كما أنه يبدو لنا أن نصوص العهدين التي أوردناها هي التي احتكم إليها القرآن الكريم حينما أراد أن يضع أهل الكتاب في نقطة اتفاق عقيدية مقررة في التوراة والإنجيل والقرآن فقال : "**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**"[3]

النقطة الأولى: العقيدة الإسلامية والمصلحة الإنسانية: إن أكبر مسألة واجهها الإسلام بالعلاج هي الشرك فقد حرمه تحريما قاطعا، وجعله ظلما عظيما.

[1] - **سورة الزمر** الآية 65-66

[2] - **سورة القصص** الآية 74-75.

[3] - **سورة آل عمران** الآية 64.

"إن الشرك لظلم عظيم"[1].

وأنه من الممكن أن يغفر الله الذنوب جميعا إلا الشرك فلا يكتفي فيه بالاستغفار أو بفعل صالح قد يمحو فعلا سيئا ، بل ينبغي للمشرك أن يتوب توبة نصوحا وأن يقلع عن الشرك مع العزم على عدم الرجوع إليه أبدا، ونجده قد حارب أنواع الشرك كلها صغيرها وكبيرها ، جلّها ودقّها ووصف الرّياء للمؤمنين في سريانه في النفس _حتى يكون فيهم ملكة الانتباه_ كسريان النملة على صخرة صماء في ليلة ظلماء، كما نبه صلى الله عليه وسلم إلى مراجعة النية وتصحيحها في أي عمل عبادي، ففي الحديث المشهور" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى تجارة يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[2]

كما أن الإسلام أكد على حسن التوكل على الله في كل أمر، حرم التشاؤم ورضي عن التفاؤل، وحرم الذهاب إلى الكاهن أو العراف أو الساحر، وكل ما من شأنه أن يمس بالعقيدة من سوء أو بدعة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم :" وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"[3]، وقال : من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد "[4]

وحرم الله سبحانه وتعالى القول عليه بدون علم.

[1] - **سورة لقمان** الآية 12.

[2] - صحيح البخاري (1/ 6) 1 صحيح مسلم (3/ 1515) 155 - (1907)

[3] - صحيح مسلم (2/ 592) 43 - (867)

[4] - صحيح مسلم (3/ 1343) 17 - (1718)

قال الله تعالى: "**وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**"[1] _ أي احذروا أن تقولوا قولا لم يقله _

وقال أيضا : "**و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عنه مسؤولا**"[2]

وقال : "**و من أظلم ممن افترى على الله الكذب** ..."[3]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[4]

قد يكذب الكاذب وهو فيما يرى الراوي أنه يقدم خيرا ومع ذلك فهو فعل محرم وينقلب بصاحبه إلى النار في الإسلام هذه المبادئ العقيدية إنسانيا تبعث على الاطمئنان وتضمن نقاوة العقيدة وصفاءها من أي دخيل بشري من شأنه أن يضعف الثقة في الدين الذي يمثل الجانب الروحي في حياة الإنسان، والمصدر المجيب على الغيب في حياة الإنسان أيضا. هذه الموانع التي وضعتها الأديان السماوية هي عوامل حفظ للعقيدة والدين.

الفرع الرابع: خلاصة وأفاق المطلب.

إن النصوص التي عرضناها هي القاسم المشترك الواضح بين اليهودية والمسيحية والإسلام، إذ دلت على أن الله تعالى هو خالق كل شيء، ومدبره، وهو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء إله واحد أحد لا شريك له، ليس كمثله شيء، وهو على كل شيء قدير، حيث يتحلى بجميع صفات الكمال، ومنزه عن صفات النقص...

[1] - **سورة البقرة** الآية 80.

[2] - **سورة الإسراء** الآية 36.

[3] - **سورة الصف** الآية 7.

[4] - صحيح البخاري، 106-108.

لكن من خلال عملية الاستقراء للنصوص المقدسة عن لنا أن التوراة إلى جانب النصوص الكثيرة التي تثبت لنا صفات الخالق ووحدانيته، نصوص أخرى ظاهرها يخدش بقدر الله تعالى بداية؛ فإذا كان علماء اليهود يعتبرونها من متشابه القول فترد إلى محكمه فيحصل الإطمئنان، كما اقترح ذلك أحمد السقا في معرض رده لمسألة من مسائل التجسيد على النصوص التي تنفي المثلية عن الله عز وجل[1]، غير أن ثمة نصوصا من المتشابهات لا يوجد ما يقابلها من المحكمات، فيصعب عندها التأويل، ومن أمثلة ذلك ما ورد في التجسيد (أنظر سفر التكوين 3:8-11، 32:22-31)، والاستراحة من العمل (أنظر التكوين 2:1-3)، والندم ومراجعة الله لمواقفه –سبحانه- (أنظر التكوين18:20-21)، وفي نسبة الظلم إلى الله تعالى (أنظر التكوين28:10-19) وفي النسيان (أنظر الخروج 2:14) وغير ذلك مما يجرح صفات الكمال المقررة في أسفار الموسوية وباقي الأسفار (العهد القديم)[2].

وكذلك الأمر بالنسبة للأناجيل فمع وجود النصوص المحكمة، فالمتشابهات من النصوص فهي أكثر تعقيدا

و غموضا مما هو في التوراة بيدا أن الإشكالية محصورة في المصطلح المتعلق بالسيد المسيح عليه السلام وهو "ابن الله" ، "الرب يسوع" فتارة يمكننا أن نرد هذين المصطلحين إلى المحكم من نصوص الإنجيل وكذلك التوراة، حيث تجعلنا نفهم من مصطلح "ابن الله" أو "أبناء الله" معنى: عبد الله المخلص أو عباد الله المخلصين (أنظر مثلا متى 5:44-45)، وأيضا لقب الرب الذي يدعى به "يسوع" مقرونا به، لا يعني ربوبية الخلق، وإنما العناية والرحمة التي كان يوليها لأتباعه، والذي يشفع لذلك أن المسيح صرح بأنه ابن الإنسان مؤيد بروح الله –روح القدس- مرات عديدة (أنظر إنجيل متى 12:27-32، متى 17:9-12، متى 18:11)، وشهادة تبلغ درجة التواتر بأن السيد

[1] - أحمد حجازي السقا، **نقد التوراة**. ط1، بيروت لبنان: دار الجيل، 1416هـ 1995م، ص 75-77.

[2] - نقاد التوراة التي بين أيدينا قسموا مصادرها إلى الإلوهيمي واليهودي والتثنوي.

المسيح هو نبي (أنظر مثلا متى 1:21-11)، فلو كان عيسى (يسوع) ابن الله –بنوة الولادة– لما كرس كلمة "ابن الإنسان " على حساب "ابن الله". وكذلك لقب "الآب" الذي يطلق على الله مجازا والذي يدل على الرعاية والتربية[1].

ولكن في أحايين أخرى عندما تستخدم نصوص الإنجيل المصطلحات نفسها تجعلنا عاجزين على ردها إلى الأصل المتفق عليه، أنظر مثلا ما ورد في إنجيل متى: أن يسوع قال بأن داود يدعو المسيح ربا فيقول: (قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك؟ فإن كان داود يدعو ربه، فكيف يكون ابنه؟)[2]، ونقول إذا كان لقب "الرب" يعني الرعاية فكيف تكون رعاية السيد المسيح –يسوع– لداود الذي لم يلتق به قط؟. وورد في إنجيل لوقا أن مريم عليها السلام ولدت "ابن الله" وهي تقول: ها أنا عبدة الرب[3]،

فكيف تفسر لقب الرب للسيد المسيح وهو لم يرع أمه بعد؟.

المسيحية تدعي أن يسوع ابن الله[4] ، إلا أن من صفات "الابن" أنه لا يحيط بالساعة ولا الملائكة إلا الله سبحانه[5] ، ويصرح قائلا: بأن الخليقة خلقها الله تعالى[6].

[1] - كما جاء في الحديث: "الخلق عيال الله" فيطلق هذا مجازا ويرد إلى المحكم من القرآن مثلا "سورة الإخلاص" وكذلك الحديث الذي يشيد بحفظة القرآن الكريم فيقول فيهم "أهل الله وخاصته".

[2] - **متى** 44:22.

[3] - **لوقا** 38:1.

[4] - أنظر متى 54:27

[5] - أنظر مرقس 32:13

[6] - أنظر مرقس 19:13

إن الإشكالية القائمة في المسيحية اليوم هي أن من المسيحيين من يعتقد أن الله هو عيسى عليه السلام (يسوع)، كما نقل محمود مزروعة عن المسيحي يوسف بوست قوله: "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقاميم متساوية، الله الآب الله الابن الله الروح القدس..."[1] ، وهذا الصنف من المسيحيين هو الذي أنكر عليه القرآن الكريم قوله "...**إن الله هو المسيح**..."[2] –– وكثير من المسيحيين يعتقدون أن عيسى: "ابن الله"؛ ولكن الله هو رب العالمين بإجماع الطوائف المسيحية.

بينما اليهودية يتصور أتباعها أو كثير منهم أن الله هو رب اليهود وحدهم وأنهم شعبه المختار، أما الشعوب الأخرى فلهم آلهة أخرى وهي مغلوبة أمام إلاههم

و لكن الله عز وجل هو رب العالمين وهو كذلك بإجماع الطوائف اليهودية، والإسلام يتفق مع الديانتين في أن الله هو الخالق ولكن يختلف جذريا مع تلك التفاصيل، والغرض هو تنزيهه سبحانه وتعالى عن صفات الضعف والخلق، ويظهر من التفاصيل أنها عبارة عن أفكار دخيلة على الديانتين المسيحية واليهودية، ولا يمكن أن تكون لصالح الإنسانية أبدا، لأن الفكرتين المختلفتين أن عيسى هو الله وعيسى هو ابن الله لا يمكن أن تجتمع في اعتقاد واحد، ثم إن هذا الاعتقاد م يكن موجودا قبل، لأنه لا توجد أثارة من علم وأقرب اثارة

للإنجيل هي التوراة والتوراة لم تبشر بمجيء ابن الله أو بأن الله سينزل في صورة إنسان، ثم إن هذا الوقت الذي جاء فيه ابن الله – كما يعتقد النصارى– متأخر جدا ولم يكن في صالح الذين سبقوا من البشرية وكان يفترض أن

[1] - محمود مزروعة، المرجع السابق، ص 90.

[2] - المائدة الآية 17

يكون المجيء سابقا لهذا ليخلص البشرية من خطأ الوالدين، وبالتالي يعيش البشر كالملائكة على الأرض لا يعصون، أو يفعلون ما يشاؤون لأنهم يعتقدون أن إبن الله قد خلصهم من النار .

وكذلك الاعتقاد بأن الله هو إلاه خاص ببني إسرائيل وليس إلاها لكل البشرية فيظهر أنها فكرة دخيلة على التوراة لا يمكن أن تخدم الإنسانية بحال، ولا يمكن أن تعيش البشرية في سلام لأن إلاه إسرائيل لا يعترف بسيادة آلهة الشعوب الأخرى، بل يعتبر الشعوب الأخرى هي مسخرة لشعبه المختار، وبالتالي تغيب العدالة والمساواة، وتحل محلها الأحقاد، والحروب، وإضراب الظلم، ومن هنا نعتبر هذا الاعتقاد لا يحمل طابعا إنسانيا.

وعلى هذا الأساس لما كان اليهود يشعرون بالضعف، وكراهية الأغيار لهم في العالم بسبب الانفصالية والعزلة التي تطبع سلوكهم العام، فظهرت الحركة التنويرية اليهودية فعملت على تصحيح فكرة اختيار الله لشعب إسرائيل، بأنه اختيار يقوم على العدل لا على العنصرية، وأن رب إسرائيل هو إلاه الجميع ويريد الخير للإنسانية جمعاء، وأنه شتتهم في العالم من أجل نشر رسالة الخير إلى الناس وتحقيق الخلاص للعالم، وبذلك قد أوّل الإصلاحيون كل النصوص التي توهم أو تشير إلى العنصرية[1] .

إن أجمل شيء يجمع الأديان الثلاثة هو الاعتقاد بأن الله هو رب العالمين، ولا يمكن لهذا الاعتقاد أن يكون إنسانيا إلا إذا اتصف الإله بصفات الكمال منها العدل.

شهادة القرآن الكريم :و هناك شاهد من القرآن يبين أن عيسى ابن مريم عليه السلام رسول الله قد خلت من قبله الرسل ، يحتاج الى الطعام كما يحتاج بنو آدم ، فقال تعالى : "**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من**

[1] - انظر إلى البحث الذي قدمته رقية طه جابر العلواني مع مجموعة من الباحثين غير المسلمين المطبوع في كتاب : منى أبو الفضل ، نادية محمود مصطفى ، **مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية**. ط1، سوريا: دار الفكر، 2008 م، ص53 – 70.

قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون"[1].

وآية أخرى تظهر لنا أن عيسى مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى من غير أب كما كان الأمر مع آدم عليه السلام، فهي قوله تعالى: "**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين**"[2].

ويؤكد القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام عبد لله وهو قدوة لبني إسرائيل وذلك في قوله تعالى: "**إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل**"[3].

وفي الإسلام لا توجد أية عقدة في أن يصرح محمد رسول الله بأنه جاء بما جاء ت به الرسل من قبل ، قال تعالى : "**قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين**"[4].

كما أن محمدا رسول الله مستعد لأن يكون عابدا لعيسى بن مريم لو كان عيسى ابنا لله ، فليست له أية عقدة من ذلك بل يكون أول العابدين ، انظر إلى قوله تعالى : "**قل إن كان للرحمان ولد فأنا أول العابدين**"[5].

[1] - **سورة المائدة** الآية 75.
[2] - **سورة آل عمران** الآية 60.
[3] - **سورة الزخرف** الآية 59.
[4] - **سورة الأحقاف** الآية 9.
[5] - **سورة الزخرف** الآية 81.

فلو كان عيسى ابنَ الله لكان سهلا على الإسلام أن يتبنى هذه العقيدة ولكانت مسيحية بولس اليوم كلها مع محمد ما دام محمد يعبد عيسى بن الله . لكن الذي أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم هو أن عيسى عبد الله ورسوله واعتبر الله تعالى نسبة الولد إليه منقصة وقد كفّر كل من قال بذلك ، لاحظ قوله عز وجل : "**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**"[1].

شهادة القرآن على قول عيسى عليه السلام : إن القرآن الكريم يشهد بأن عيسى أمر الناس أن يعبدوا الله وحده وحذرهم من عاقبة الشرك وأنه ظلم لله تعالى : "**و قال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم**"[2].

وإنباء من الله تعالى على ما سيقوله عيسى عليه السلام في يوم الحساب، وشهادة على ما قاله في الدنيا لبني إسرائيل : "**و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلاهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم...**"[3].

[1] - **سورة المائدة** الآية 73.

[2] - **سورة المائدة** الآية 73-74.

[3] - **سورة المائدة** الآية 116-117.

وأعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله على حسب ما جاء في القرآن ، كما أعلن نبوته والكتاب الذي جاء به من عند الله تعالى : "**قال إني عبد الله ءاتني الكتاب وجعلني نبيئا**"[1].

شهادة القرآن لصالح من نزّه الله عز وجل عن الولد: الناس اختلفوا في طبيعة المسيح هل هو ابن الله أم لا؟ فوقف القرآن الكريم إلى جانب من قال بالتنزيه في الوقت الذي بين فيه القرآن الكريم أن محمدا ومن بعده من المسلمين مستعدون لعبادة المسيح لو ثبتت بنوته عن طريق الخبر الصادق ، وبالتالي سينضم إلى صفه جل أتباع المسيح ، فإذا كان بولس قد صرف أتباع المسيح إليه بعد أن كان عدوا لدودا مضطهدا للمسيح نفسه ، فمابالنا بمحمد الذي لم تسبق له عداوة ولا خلق سيّئ مع الناس ؟ لكن الله تعالى قال:" **ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**"[2].

إن الحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي يفتخر اليهود بالانتساب إليه يكثر الحديث عنه في سفر التكوين من التوراة فلا تجده يعبد إلاها آخر غير الله سبحانه وتعالى ، وخير بيان على ذلك امتحان الله لإبراهيم في مدى إخلاصه وتعبده لله وذلك عندما أمره بذبح ولده المحبوب (... ريثما أصعد أنا والصبي

إلى هناك لنتعبّد لله ثم نعود إليكما)[3].

وشهد القرآن أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قال: "**إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**"[1].

[1] - **سورة مريم** الآية 30.

[2] - **سورة مريم** الآية 34.

[3] - **التكوين** 1 :19.

إن النصوص التي توحد الله تعالى بوضوح من التوراة والإنجيل وأقوال بعض علماء المسيحية والقرآن والأحاديث النبوية والتي أوردناها تمثل إجماعا بين الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام يمكن أن تكون مشروعا يحقق المصلحة العامة للإنسانية جمعاء ، قال الله عز وجل :"**و قولوا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلاهنا وإلاهكم واحد ونحن له مسلمون**"[2]

من هنا يمكننا أن نقول بأن الدين يحفظ في ظل عقيدة واضحة معقولة، والنفس بطبيعتها تميل إلى المتفق عليه بين الأغيار وتطمئن إلى صحته، ولا تطمئن إلى رؤية الآحاد. والنفس تميل إلى تنزيه خالق الكون في صفاته وأسمائه كي يكون محل تقدير وتعظيم وهيبة، يهابه الخلق كله ويرجوه، والإله الذي يتصف بالعدل فلا يحابي أحدا والخلق كلهم عياله لا فضل عنده بين أسود وأبيض وبين أصفر وأحمر ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى لهي عقيدة جديرة بأن تكون إنسانية تحقق المصلحة العامة، وحري بها أن تحفظ الدين، ولكن يجب أن ننتبه إلى إمكانية وجود عقيدة سليمة واضحة وصريحة ولكن الدين غير محفوظ في الناس، ذلك بسبب أن هؤلاء في حقيقة الأمر لا يجددون عقيدتهم في أنفسهم بالتذكير والتصحيح وتنقيتها من الدخيل،

[1] - **سورة الأنعام** الآية 79.

[2] - **سورة العنكبوت** الآية 46.

فكلما كان الإيمان الواضح في النفوس حاضرا استحال الذهاب إلى المعاصي مع الإصرار على الظلم وقتل النفس بغير حق، وكل أنواع الإفساد في الأرض. ولما كانت الوصية ضربا من التذكير والتجديد قال الله تعالى: "**و لقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله**"[1].

يقول حلمي مرزوق مبينا قيمة الاجتماع على عقيدة واحدة أو مبدأ واحد : " الاحتكام الى الفكر والاعتقاد احتكام إلى أسمى الملكات في النفس البشرية ، والولاء الفكري ليس وراءه ارتقاء بالاجتماع البشري ، لأن ما عداه من الولاء الإقليمي أو العنصري طبائع بدائية .. "[2].

وتمتاز الآيات القرآنية بالحث على النظر وإعمال الفكر في ملكوت السموات والأرض، بينما التوراة تقص علينا قصة الخلق، وتذكر بني إسرائيل بنعمة التأييد الرباني لهم بالنصر، بينما نصوص الإنجيل التي تعتبر تتمة للعهد القديم ففي مجال العقيدة فلقد اعتمدت على ما جاء فيه، لأن السيد المسيح لم يكن مشتغلا بمعالجة مسألة الإلحاد ولا بمسألة الشرك إلا في إطار تكريس خلق "التوكل" و"الاعتماد" ومسألة "الرياء" وعدم الإخلاص، أما الشرك التعبدي فلم تكن قط مسألة في نصوص الإنجيل كما هو موجود في القرآن والتوراة.

ونلاحظ أن الإسلام يحرم الابتداع في العقيدة، واليهودية حاربت المسيح وأتباعه بسبب ما حكمت عليهم بالابتداع بينما المسيحية لا يتضح فيها هذا الأمر جليا.

العالم اليوم يعاني ظاهرة الإلحاد والشرك والابتداع بظهور الطوائف تلو الطوائف.

[1] - **سورة النساء** الآية 131.

[2] - حلمي علي مرزوق، **الإسلام والفكر المعاصر**. ط1 ، مصر: دار الوفاء، 2005 م ، ص25.

المطلب الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء (الآخرة).

الفرع الأول: في اليهودية.

في حقيقة الأمر لا يوجد حديث صريح عن الآخرة في التوراة وفي باقي الأسفار إلا ما يشير إلى ذلك عن طريق الاستنتاج وبيانه فيما يلي:

أ- جزاء بعد حساب.

ورد في سفر اللاويين نص تفصل فيه بعض المكفرات عن الخطايا والذنوب التي قد لا يتعدى ضررها الفرد – الذي اقترفها– مما يدل على أن ثمة عقابا ينتظره في الآخرة إن لم يغفر له ربه، وهذا ما يمكن أن نستخلصه مما ورد في السفر: " إذا أخطأ أحد لأنه صمت عندما استحلف، ولم يدل بشهادته حول جريمة رآها أو علم بها، فإنه يكون شريكا في الذنب، كل من يلمس شيئا نجسا، سواء أكان جثة حيوان محرم أكله، أم جثة وحش أو حشرة محرمة يكون مذنبا ونجسا... فكل من يكون مذنبا في أحد هذه الأمور، عليه الإقرار بما أخطأ به، ثم يحضر إلى الرب ذبيحة إثم عن خطيئته التي اقترفها... فغفر الرب له..."[1].

وإشارة أخرى إلى لقاء الله تعالى وجزائه في الآخرة، حين قال أيوب عليه السلام –بحسب رواية سفر أيوب– :"أبرمت عهدا مع عينيّ فكيف أرنو إلى عذراء؟ وماذا يكون نصيبي عند الله من فوق؟ وما هو إرثي من عند

[1] - **سفر اللاويين** 5:1-13.

القدير في الأعالي؟"[1] فحينما قال الكلمتين "من فوق" و"في الأعالي" قد تكون الآخرة هي المقصودة، ولكن مع هذه الإشارة توجد كلمات منسوبة لأيوب تبين أن الإنسان لا يقوم بعد أن يموت وهي: "... لأن

للشجرة أملا، إذا قطعت أن تفرخ من جديد ولا تفنى براعمها، حتى لو شاخت أصولها في الأرض ومات جذعها في التراب، فإنها حالما تستروح الماء تفرخ، وتنبت فروعا كالغرس، أما الإنسان فإنه يموت ويبلى، يلفظ آخر أنفاسه فأين هو؟ كما تنفذ المياه من البحيرة ويجف النهر هكذا يرقد الإنسان ولا يقوم ولا يستيقظ من نومه إلى أن تزول السموات"[2].

فبمقارنة أيوب لحياة الإنسان التي عندما تنتهي لا تعود مع مثال الشجرة التي تعود للحياة بعد أن مات جذعها في التراب، وهذا ما قاله علماء التفسير لهذا النص، توهم بألا قيام بعد الموت[3].

ولكن عبارته "هكذا يرقد الإنسان ولا يقوم، ولا يستيقظ من نومه إلى أن تزول السموات" أي بعد زوال السموات يستيقظ الإنسان بعد موته، ومن هنا يمكن القول بأن ثمة إشارة إلى الآخرة التي يحيا فيها الإنسان من جديد، ويحتمل أن هذا النص الذي ذكر على لسان أيوب يتحدث فقط عن عدم إمكانية رجوع الإنسان إلى الحياة مرة أخرى في الدنيا مقارنة بموت الشجرة وعودتها.

والذي يشجع على القول بهذه الإشارات ما ورد في المزمور 1 بأن هناك يوما يحاسب فيه الناس ويجازون فيه فلا يكون للأشرار مكان بين الأبرار فنلاحظ نصه: "طوبى للإنسان الذي لا يتبع مشورة الأشرار، ولا يقف في طريق

[1] - **سفر أيوب** 1:31-2.

[2] - **سفر أيوب** 7:14-12.

[3] - مجموعة من المفسرين، **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**. ط1، مصر: شركة ماستر ميديا، 1997م، ص 1095. وانظر دون فليمنج، **التفسير المعاصر للكتاب المقدس**. ط1، الناشر للطبعة العربية: الكنيسة الإنجليزية، قصر الدوبارة، 2004، ص 247.

الخاطئين، ولا يجالس المستهزئين، بل في شريعة الرب بهجته، يتأمل فيها نهارا وليلا، فيكون كالشجرة مغروسة عند مجاري المياه، تعطي ثمرها في حينه، وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه يفلح، ليس كذلك حال الأشرار، بل إنهم مثل ذرات التبن التي تبددها الريح، لذلك لا تقوم لهم قائمة في يوم القضاء ولا يكون للخطاة مكان بين جماعة الأبرار"[1].

مؤلفو التفسير التطبيقي لا يشيرون إلى يوم الحساب[2]، ولكن سياق النص يشير إلى يوم القضاء الذي فيه الحساب سواء للأشرار أو الأبرار.

ونص آخر من المزمور الخامس والسبعين ورد فيه: "يقول الله: أنا أختار ميعادي وبالإنصاف أنا أقضي، عندما تهتز الأرض وما فيها من أحياء، أنا من يوطد أركانها، أقول للمتغطرسين لا تتفاخروا فيما بعد... فالله هو الديان، يرفع واحدا ويخفض آخر"[3].

يقول المفسرون: دينونة الله لابد آتية على الأشرار، فسيصب الله جام سخطه على أعدائه[4] ولكن قوله: "يرفع واحدا ويخفض آخر" يدل على أن الدينونة والجزاء لا يكونان فقط مع الأشرار، فكذلك مع الأخيار.

وفي نص الجامعة الذي ينسب إلى سليمان عليه السلام[1] كلام يشير إلى الآخرة وإلى الحساب والجزاء. "... وليمتعك قلبك في أيام شبابك واتبع أهواء قلبك وكل ما تشهده عيناك، ولكن اعلم أنه بسبب هذه الأمور كلها، يأتي الله بك إلى كرسي القضاء..."، ماذا يفعل بالإنسان عند كرسي القضاء؟ أليس هو الحساب ثم

[1] - **المزمور** 1:1-5.

[2] - **التفسير التطبيقي**. المرجع السابق، ص1134.

[3] - **المزمور** 75:2-8.

[4] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق ص1212.

الجزاء[2].

ب- جزاء بدون حساب (قضاء)

الجزاء الذي يكون بلا حساب هو الجزاء الدنيوي، فالذي يتبع وصايا الأنبياء الحقيقيين، ويعمل بشريعة الله تعالى يعيش حياة طيبة، عزيزة، كريمة، بينما من يخالف الوصايا ويعصي الشريعة فيعيش حياة متعبة وذليلة، وهذا موجود بوضوح شديد في التوراة وفي أسفار الأنبياء.

ورد في سفر اللاويين في الإصحاح السادس والعشرين القول المنسوب إلى الرب: "فأنا الرب إن سلكتم فرائضي وأطعتم وصاياي وعملتم بها، فإني أسكب عليكم المطر في أوانه، وتعطي الأرض غلتها، وتثمر أشجار الحقل، فتستمر دراسة حنطتكم حتى موعد قطاف العنب، ويستمر قطاف العنب حتى موسم الزراعة، فتأكلون خبزكم حتى الشبع، وتسكنون في أرضكم آمنين، وأشيع سلاما في الأرض، فتنامون مطمئنين، وأبيد الوحوش البرية من الأرض ولا يجتاز سيف في دياركم، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف، خمسة منكم يطردون مئة، ومئة منكم يطردون عشرة آلاف، ويتساقط أعداؤكم أمامكم بحد السيف، وأرعاكم بعنايتي، وأنميكم وأكثركم، وأفي بميثاقي معكم، وتظلون تأكلون من الغلال القديمة حين تفرغونها من مخازنها لتوسعوا لغلات السنة الجديدة، وأقيم مسكني في وسطكم ولا أخذلكم، وأسير بينكم وأكون إلهكم، وأنتم تكونون لي شعبا، أنا الرب إلهكم أخرجتكم من مصر، وحطمت أغلال قيودكم ورفعت شأنكم، لكي لا تظلوا عبيدا للمصريين فيم بعد"[3].

[1] - المرجع نفسه ، ص1342.

[2] - **الجامعة** 9:11.

[3] - **سفر اللاويين** 26:3-13.

وفي سفر التثنية، الإصحاح الثامن، قال موسى لبني إسرائيل "فأطيعوا وصايا الرب إلهكم لتسلكوا في سبله واتقوه، لأن الرب إلهكم آت بكم إلى أرض خصيبة، تكثر فيها الأنهار والآبار، وعيون ماء تتدفق في الوديان والجبال، إلى أرض حنطة وشعير وكروم وتين ورمان وزيتون وعسل، إلى أرض لا تأكلون بالذل خبزكم ولا يعوزكم فيها شيء، هي أرض يتوافر في حجارتها الحديد، ومن جبالها تستخرجون النحاس[1].

فهذا التمكين والأمن والعزة والعيش الرغد كله نتيجة إطاعة الوصايا والقيام بفرائض الله تعالى، وهو تشجيع منه سبحانه للاستمرار في العمل الصالح والتقوى، وأما معصية الأوامر ومخالفة الشريعة يؤدي ذلك إلى غضب الله تعالى.

ولذلك حذر بني إسرائيل قائلا: "ولكن إن عصيتموني ولم تعملوا بكل هذه الوصايا، وتنكرتم لفرائضي، وكرهتم أحكامي، ولم تعملوا بكل وصاياي، بل نكثتم ميثاقي، فإني ابتليتكم بالرعب المفاجئ، وداء السل والحمى التي تفني العينين وتتلف النفس، وتزرعون على غير طائل، وينهب أعداؤكم زرعكم، وأنقلب عليكم فتنهزمون أمام أعدائكم، ويتحكم بكم مبغضوكم، وتهربون من غير طارد لكم، وإن أمعنتم في عصيانكم أزيد من عقابكم سبع مرات، وفقا لخطاياكم..."[2].

النص ينبه بني إسرائيل بأنواع العقوبات من أمراض وعمى وإتلاف الأنفس وانعدام الفائدة من زراعة الأرض وغلبة الأعداء، والخوف المفاجئ، والمقصود هو تسليطها عليهم –وليس عارضا عاديا– فيشعرون بالعقاب من الله تعالى عقب المعاصي التي يواقعها أصحابها على عناد؛ أما المعاصي التي يقع فيها أفراد الناس سهوا أو ضعفا

[1] - **سفر التثنية** 8:6-9.

[2] - **سفر اللاويين** 26:14-18.

فتلك التي تشملها أحكام العقوبات والكفرات[1]. كما بين لهم أنهم كلما زادوا في اقتراف المعاصي –بعد أن رأوا آيات العقاب– زاد الله في عقابهم أضعافا.

النّصّان اللذان عرضناهما وغيرهما من النصوص التي لم نعرض[2]. هي إعلام لبني إسرائيل بالجزاءات الطيبة والأليمة في الدنيا دون الآخرة، وذلك لغرض التربية أو الإفناء كما جاء في سفر التثنية "أما إن نسيتم الرب إلهكم، وغويتم وراء آلهة أخرى وعبدتموها، وسجدتم لها، فإنني أشهد عليكم أنكم لا محالة هالكون كالأمم التي يبيدها الرب من أمامكم هكذا أنتم أيضا تبيدون"[3].

وهناك نصوص أخرى تبين تنفيذ الله للعقوبة والثواب في الدنيا فأما العقوبة فورد أمرها في سفر التثنية "فتقول جميع الأمم، لماذا فعل الرب هذا كله بهذه الأرض؟ ولماذا احتدام هذا الغضب العظيم؟ فيكون الجواب، لأن هذا الشعب نقض عهد الرب إله آبائهم الذي قطعه معهم حين أخرجهم من ديار مصر، وغووا وعبدوا آلهة أخرى وسجدوا لها... فصبّ عليها كل اللعنات المدونة في هذا الكتاب واجتثهم من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم..."[4].

وأما الثواب فالنص في سفر التثنية يبين ذلك أيضا "وأما أنتم فتطيعون صوت الرب من جديد وتعملون بجميع وصاياه التي أنا أوصيكم بها الآن، فيفيض الرب عليكم خيرا في كل ما تنتجه أيديكم ويكثر ثمرة

[1] - **سفر التثنية** 25:1-12، **سفر اللاويين** 5:1-19.

[2] - انظر على سبيل المثال: **التثنية** 27:15-26؛ 28:1-68.

[3] - **التثنية** 8:19-20.

[4] - **التثنية** 29:24-28.

أحشائكم ونتاج بهائمكم، وغلات أرضكم..."[1].

ولكن العهد القديم يبين أيضا أن الآلام التي تلحق بالإنسان في الدنيا لا تدل دائما على أنها نتيجة حتمية عن المعاصي والآثام، فقد تكون مجرد ابتلاء، وامتحان، وترقية للإيمان، وهذا ما حصل مع سيدنا أيوب عليه السلام عندما ابتلاه الله تعالى عن طريق الشيطان –حسب رواية العهد القديم–[2] بالأوجاع العظيمة، والآلام المبرحة وكانت في ازدياد تدريجيا حتى أخطأ أصدقاؤه المقربون في تفسيرهم لمعاناة الإنسان على أساس أنها دائما نتيجة الخطايا....[3]

وكذلك إذا مس الإنسان الخير ليس دليلا مطّردا على صلاحه، ورضى الرب عنه، وهو ما يبينه سفر التثنية عندما قال موسى لبني إسرائيل، حين نبأه الله تعالى بنصرهم: "لا تقولوا لأنفسكم بعد أن ينفيهم الرب من أمامكم، –الأعداء– لقد أدخلنا الرب لامتلاك هذه الأرض بفضل صلاحنا، إنما من أجل كثرة إثمهم يطردهم الرب من أمامكم، إذ ليس بفضل صلاحكم واستقامتكم..."[4]

الفرع الثاني: في المسيحية.

جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أن الاستقرار النهائي للعدالة لا يتحقق في هذه الحياة، بل في الحياة الآتية[5].

[1] - **التثنية** 30:8-9.

[2] - **سفر أيوب** 1:1-7.

[3] - الدون فليمنج، المرجع السابق ، ص244.

[4] - **سفر التثنية** 9:4-5.

[5] - **التفسير التطبيقي**. المرجع السابق، ص 1103، في تفسير أيوب 21:29-32.

مم يدل أن العدالة الحقيقية لا تكون في الحياة الدنيوية لأنها دار للامتحان والابتلاء، ولكنها ستكون في الحياة التي تأتي بعدها، والسؤال المطروح هل بعد الحياة موت ثم قيام لحياة الأخرى؟.

أجاب معجم اللاهوت الكتابي بأن العالم عالمان، عالم حاضر وعالم آت، "إن العالم الحاضر هو الذي نحن فيه، قد دخله الموت بحسد إبليس وخطيئة الإنسان، والعالم الآتي هو الذي سيظهر عندما يحضر الله ليؤسس ملكه..."[1]. فالموت هو الفصل بين العالم الحاضر والعالم الآتي الذي لا يكون إلا بالحياة مرة أخرى، أي بقيامة الأموات.

ورد في المعجم أن الموت حقيقة لا بد منها ثم يبعث الإنسان بعدها حيا بنعمة الله[2]. وبالرغم من أن العهد القديم لم يتحدث كثيرا عن قيامة الأموات فإن المسيحيين يعتقدون أن الأموات سيقومون[3].

وانطلاقا من أن العدالة المطلقة لا تتحقق إلا في الحياة الآتية بعد الحياة الدنيا، ولا يكون ذلك إلا في يوم القضاء، حيث يقضى فيه بين الناس، منهم من يجازى خير الجزاء ومنهم من يعذب.

نبسط النصوص الإنجيلية التي تشير إشارات واضحة إلى يوم القيامة ويوم الحساب والجزاء وذلك في الأمثال التي ضربها "يسوع" لجموع الناس الذين كانوا يسمعون خطابه، فضرب مثل "القمح والزوان"[1] ، وفسره عندما طلب منه تلاميذه ذلك[2] وضرب مثل شبكة صيد التي ألقيت في البحر فجات بأنواع من الأسماك ثم فرزها الصيادون[3].

[1] - بولس باسيم، **معجم اللاهوت الكتابي**. ط6، بيروت لبنان: دار المشرق، 2008، ص515.

[2] - أنظر المرجع نفسه، ص643، كلمة: قيامة.

[3] - **التفسير التطبيقي**، المرجع المذكور أعلاه، ص 1095، في تفسير أيوب 7:14-22.

فملكوت السموات في هذا المثل يشرحه أصحاب التفسير التطبيقي بملكة روحية، فيها حياة الخلود، الملك فيها كله لله؛ وفيها يفصل بين الناس في مصائرهم، منهم الفائز ومنهم من يطرح في النار[4].

وهناك نص فيه حديث عن اختبار للمؤمنين على الاختيار، وذلك فيمن أراد أن يتبع السيد المسيح، وأن يتحمل العذاب والألم الدنيويين معه، فعليه أن يضحي بنفسه، فمن أراد تخليص نفسه –ربما من الجحيم والفوز بالجنة– عليه أن يخسرها ماديا في الدنيا، وفيه بيان أن الحساب يجري على كل واحد من الناس بمفرده، ويجازى بحسب ما كسبت يداه[5].

وفي التفسير المسيحي لهذا النص جاء في كتاب التفسير التطبيقي "... فإننا نتصرف وكأن الحياة الحاضرة هي كل شيء، بينما الحقيقة هي أن هذه الحياة ما هي إلا مقدمة للأبدية؛ وكيفية قضائنا لهذا الزمن القصير هنا، هي التي تقرر مصيرنا الأبدي، وما نكدسه على الأرض لا قيمة له في شراء الحياة الأبدية.... وفي وقت

الدينونة سينقذ الله الأبرار، ويدين الأشرار، فلا تحكم على خلاص الآخرين، فهذا عمل الله وحده[6].

وورد في إنجيل متى حوار بين "يسوع" وبعض الصدوقيين[7] فأظهر فيه أن قيامة الأموات حق، "... فالناس في القيامة لا يتزوجون ولا يزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء، أما عن قيامة الأموات، أفما قرأتم ما قيل

---

[1] - **متى** 13:24-30.

[2] - **متى** 13:36-43.

[3] - **متى** 13:47-50.

[4] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص 1917.

[5] - **متى** 16:24-27.

[6] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص 1927.

[7] - الصدوقيون: هي فرقة من الفرق اليهودية القديمة، لا تؤمن بقيامة الأموات من القبور ولا بالثواب والعقاب، أنظر أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 46.

لكم على لسان الله، أنا إله إبراهيم وإله إسحاق، وإله يعقوب؟ وليس الله بإله أموات بل إله أحياء"[1] . وفي إنجيل متى نص يشير إلى بعض علامات القيامة وأهوالها[2].

وتحدث السيد يسوع وهو يوبخ المنحرفين من الكتبة والفريسيين المرائين، ويهددهم بالوعيد الذي سينزل بهم وهذا بعض قوله: "لذلك ستنزل بكم دينونة أقسى، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، فإنكم تطوفون البر والبحر لتكسبوا متهودا واحدا، فإذا تهود جعلتموه أهلا لجهنم ضعف ما أنتم عليه"[3]. وقال لهم أيضا عندما عدد أعمالهم السيئة "...كيف تفلتون من عقاب جهنم؟..."[4].

كل النصوص التي سبق ذكرها تشير بوضوح إلى حياة الآخرة بما تشمل عليه من حساب وجزاء، وركزت على قيامة الأموات مرة أخرى حيث العدالة الحقيقية.

الفرع الثالث: في الإسلام.

في القرآن الكريم تأكيد على موت كل نفس، وذلك في قوله تعالى:"**كل نفس ذائقة الموت**"[5].

وقوله: "**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**"[6].

[1] - **متى** 22:30-33.
[2] - **متى** 24:1-14.
[3] - **متى** 23:14-15.
[4] - **متى** 23:33.
[5] - **سورة الأنبياء** الآية 35.
[6] - **سورة الرحمن** الآية 27.

كما بين الله تعالى في عدد من الآيات القرآنية فناء العالم الدنيوي، كما في قوله: "**وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون**"[1].

وفي القرآن وردت سور وآيات كثيرة تبين مظاهر نهاية الدنيا كما في سورة التكوير، والزلزلة، والانفطار، والانشقاق، والقارعة، والنبأ، والنازعات، وغيرها، وغالبا ما تذكر النهاية مع ذكر قيام الناس بعد موتهم وحسابهم ووقوفهم بين يدي الله سبحانه وتعالى، كما جاء في قوله تعالى: "**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون**"[2].

وما يشبه هذه الآيات كثير في القرآن وهو ما يعبر عنه بيوم القيامة والساعة كما في قوله تعالى: "**قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**"[3].

وقوله جلّ في علاه: "**ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة ءاتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**"[4].

[1] - **سورة الزمر** الآية 67.
[2] - **سورة الزمر** الآية 70.
[3] - **سورة الجاثية** الآية 26.
[4] - **سورة الحج** الآية 6-7.

كما أن القرآن الكريم يعطي أمثلة من الطبيعة كأدلة على إمكانية قيام الأموات وإخراجهم من القبور كما يحيي الله الأرض الميتة وكما يخرج الزرع من الأرض "**ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير**"[1].

وقال الله تعالى: "**ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج**"[2].

ويقول سبحانه:"**يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير**"[3].

وقال أيضا: "**وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون**" وكذلك أعطى القرآن الكريم بينات على قدرة الله تعالى في إعادة شتات الأبدان وأرواحها إليها، ونجد ذلك في مثل قول الله عز وجل وهو ينعى على من كذب بجمع العظام وإحياء الأجسام، "... **قال من يحيّ العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**"[4].

[1] - **سورة فصلت** الآية 39.

[2] - **سورة ق** الآية 11.

[3] - **سورة ق** الآية 43.

[4] - **سورة يس** الآية 78-79.

وورد في القرآن الكريم قوله عزّ وجل وهو يرد على الذين استبعدوا البعث وحياة الآخرة: "**وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون، قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم**"[1].

ومن مشاهد الآخرة الحشر والحساب والجزاء في مواضع كثيرة من سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وغيرها، ومما تمتاز به قصار سور القرآن الكريم حديثها عن الآخرة.

ونقتصر بعرض قليل من الآيات التي تدل على ذلك ففي سورة الحاقة قال الله تعالى: "**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية، فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابية، إني ظننت أني ملاق حسابية، فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية، وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابية، ولم أدر ما حسابيه، يا ليتها كانت القاضية، ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه، خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحض على طعام المسكين، فليس له اليوم هاهنا حميم، ولا طعام إلا من غسلين، لا يأكله إلا الخاطئون**"[2].

[1] - **سورة الواقعة** الآية 48- 50.

[2] - **سورة الحاقة** الآية 18-37.

قال أيضا: "**فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا، وينقلب إلى أهله مسرورا، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، فسوف يدعوا ثبورا، ويصلى سعير، إنه كان في أهله مسرورا، إنه ظن أن لن يحور، بل إن ربه كان به بصيرا**"[1].

في الآيتين السابقتين تصوير لحساب الناس في الآخرة، وتوزيعهم إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في النار، ومن الآيات ما تفصل لنا مشاهد حوارية بين أهل الجنة وأهل النار الذين تملأ صدورهم الحسرة والندامة علاوة على ما يلقونه من عذاب مادي أليم[2].

وهناك مشاهد لخصومة أهل النار فيما بينهم حين يتلاومون[3].كما أن القرآن يعرض علينا لقاء الفائزين في الجنة[4]. وأما تفاصيل نعيم الجنة والنار فالقرآن مليء بالحديث عنهما، فلا تكاد تقرأ سورة من القرآن الكريم إلا وتجد تذكيرا بها[5].

أ- الجزاء الدنيوي بغير حساب

إن الجزاء الدنيوي تحدث عنه القرآن الكريم كثيرا في عدد من السور، فمثل الجزاء الحسن قوله تعالى: "**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**"[6].

[1] - **سورة الانشقاق** الآية 6-15.

[2] - اقرأ على سبيل المثال الآيات من **سورة الأعراف** الآية 44-51، **سورة الزمر** الآية 68-75، **الحديد** الآية 13-14.

[3] - انظر على سبيل المثال **سورة الأعراف** الآية 38-39؛ و**سورة غافر** الآية 47-50.

[4] - انظر على سبيل المثال **سورة الواقعة** الآية 10-24.

[5] - اقرأ على سبيل المثال **سورة الرحمن** الآية 42 إلى آخر السورة، **سورة الواقعة** الآية 8-56 وغيرهما كثيرا.

[6] - **سورة الأنبياء** الآية 105.

ومثل قوله تعالى: "**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**"[1].

ومثل الجزاء السيئ قوله تعالى: "... **لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق**..."[2].

وقوله تعالى: "**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**..."[3].

وقوله تعالى: "**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير**"[4].

ثم إن القرآن الكريم ساق إلينا مصائب وحوادث أليمة وقعت على أقوام في التاريخ، وأخبرنا بأنها عقوبات بسبب المعاصي الكثيرة التي اخترقت بها حرمة الله تعالى، وذكرها وارد في القرآن بكثرة من أجل الاعتبار، فقوم نوح عليه السلام عاقبهم بالطوفان، وقوم هود بالريح العاصف، وقوم صالح عليه السلام بصيحة من السماء ورجفة من الأرض[5]، وقوم لوط عليه السلام بإسقاط الحجارة عليهم من السماء، وأقواما أخرى[6].

والدليل على أن هذه القصص التي أوردها القرآن هي للاعتبار قوله تعالى: "**أولم يهد الذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون**"[7].

---

[1] - **سورة النحل** الآية 41.

[2] - **سورة الرعد** الآية 33-34.

[3] - **سورة طه** الآية 124.

[4] - **سورة الشورى الآية 30**.

[5] - إبن كثير، المرجع السابق، ج2، ص743.

[6] - اقرأ على سبيل المثال **سورتي القمر والأعراف**.

[7] - **سورة الأعراف** الآية 106.

وقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام وهو يحذر قومه: "**ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد**"[1].

ب الجزاء والابتلاء:

يبين الله تعالى في القرآن الكريم، أنه ليس كل ما هو خير يصيبه الإنسان في الدنيا هو نتيجة عمل صالح وليس أيضا كل ما هو شر يصيب الإنسان في دنياه هو نتيجة عمل سوء، فقد يكون ذلك ابتلاء للعبد وتربية وتزكية للنفس، ودليله قول الله تعالى: "**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**"[2].

وقوله تعال أيضا: " **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**"[3].

وفي السنة النبوية الشريفة ما يبين هذا تفصيلا كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"[4]، وعن مصعب عن أبيه رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل

[1] - **سورة هود** الآية 189.

[2] - **سورة البقرة** الآية 155-157.

[3] - **سورة الأنبياء** الآية 35؛ واقرأ إن شئت من **سورة العنكبوت** الآية 2، و**سورة محمد** الآية 31.

[4] - أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى (2137/5)، رقم: (5318).

على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة" رواه ابن ماجة والترمذي[1].

الفرع الرابع: خلاصة وأفاق المطلب.

لا نكاد نجد في التوراة حديثا عن الآخرة وقيامة الأموات والنشور والحساب والجنة والنار إلا إشارة في سفر اللاويين أو خارج الأسفار الموسوية من العهد القديم بصورة تحتاج إلى التدبر؛ ولكن بالرغم من حرصها على الأمر بتنفيذ الوصايا والتحذير من المعاصي فإنها لا تغريهم بجزاء إلا الجزاء الدنيوي، ولا ترهبهم من عذاب إلا العذاب الدنيوي، ونجد لذلك نصوصا عريضة واضحة، والإشارات إلى الآخرة والنشور والحساب تجعلنا نقرر أن التوراة تشير إلى وجود الآخرة والنشور ويوم القضاء ولكن بأسلوب غامض.

إن تأكيد النصوص التوراتية على الجزاء الدنيوي سواء أكان خيرا أم شرا، وسيلة ترغب الإنسان في العمل الصالح والابتعاد عن المنكرات، ولكن الإنسان إذا وجد النتائج غير مطردة مع العمل أو أنها تأخرت عنه كثيرا في الزمن، فإن الأمر لا يبعث على الثبات إذا لم يكن ما يعوض من وعد صادق بحياة حقيقية أخرى وحساب عادل وجزاء مستحق، فشتان بين دار العمل ودار الجزاء وحياة ستفنى وحياة تبقى.

بينما الأناجيل والقرآن الكريم وما يتبعه من السنة كلاهما يؤكد حقيقة وقوع البعث والنشور والحساب والجزاء بشكل واضح.

[1] - محمود البرشة، وفاء أحمد كفتارو، **قصص المؤمنين**. ط1، دمشق سوريا: دار الفكر، 2001م، ص 153.

ولكن القرآن الكريم توسع وفصل في كل حيثيات الحياة الأخرى بداية من خروج روح الإنسان ومرورا بحياة البرزخ ثم القيامة وأهوالها ثم النشور والحساب واجتياز الصراط ثم المصير الآخرة الجنة أو النار.

واتفق الإسلام مع اليهودية في مسألة الجزاء الدنيوي حتى في نقطة عدم لزوم الاطراد بين العمل ونتيجته، فقد يكون الخير استدراجا لصاحبه إلى النار، أو نتيجة لعمل صالح؛ كما قد يكون الشر الذي يمس الإنسان أحيانا هو امتحان له، أو عقوبة لعصيان، لكن، في عادة الأحوال، النتيجة متجانسة مع نوع العمل.

أما المسيحية –من خلال أناجيلها– فلم تلتفت إلى مسألة الجزاء في الدنيا إطلاقا. وربما يرجع السبب إلى الحياة القاسية التي كانت تعيشها المسيحية أيام السيد المسيح وخلفائه الأولين من التلاميذ من بعده.

المبحث الثاني: تطبيق التعاليم ومقوماته.

المطلب الأول: تطبيق التعاليم.

الفرع الأول: في اليهودية.

إن الأسفار الخمسة للتوراة الموسوية كثيرا ما تأمر بني إسرائيل بتطبيق الوصايا وإقامة الشعائر التعبدية، وتحذر من مخالفتها. فيقول الرب لموسى: "أوص بني إسرائيل، أنا الرب إلاهكم لا ترتكبوا أعمال أهل مصر التي أقمتم فيها، ولا تعملوا صنيع أهل كنعان التي أنا مدخلكم إليها، ولا تمارسوا فرائضهم، إنما تطبقون أحكامي وتحفظون فرائضي لتسلكوا فيها، أنا الرب إلاهكم، احفظوا فرائضي وأحكامي التي إذا أطاعها الإنسان يحيا بها أنا الرب"[1]

وأمر موسى عليه السلام بني إسرائيل بالاستماع إلى شرائع الله وأحكامه ووصاهم بتطبيقها قائلا: "اسمعوا يا بني إسرائيل الشرائع والأحكام التي أتلوها عليكم في هذا اليوم، وتعلموها واحرصوا على ممارستها"[2]

وقال موسى لبني إسرائيل أيضا بأن الرب قال له: "... لقد سمعت حديث الشعب الذي كلموك به، وقد أحسنوا في كل ما قالوه، ياليت قلبهم يظل متعلقا بي حتى يتقوني ويطيعوا جميع وصاياي دائما، لكي يتمتعوا هم وأولادهم بالخير إلى الأبد"[3].

[1] - **اللاويين** 1:18-5.

[2] - **التثنية** 5:1.

[3] - **التثنية** 5:28-29.

وقال الرب لموسى: "... وأما أنت فامثل هنا أمامي، فأكلمك بجميع الوصايا والشرائع والأحكام لتعلمها لهم فيعملوا بها في الأرض التي وهبتها لهم ليمتلكوها، فاحرصوا على العمل بكل ما أمركم به الرب إلاهكم لا تحيدوا يمينا أو شمالا واسلكوا في كل الطريق التي أوصاكم بها الرب لتحيوا وتزدهروا وتمكثوا طويلا في الأرض التي ترثونها"[1].

وقال موسى عليه السلام: "وهذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرني الرب إلاهكم أن ألقنكم إياها، لتعملوا بها في الأرض التي أنتم ماضون إليها لترثوها، وبذلك تتقي الرب إلاهك وتمارس جميع فرائضه ووصاياه التي أنا أوصيك بها أنت وابنك وحفيدك كل أيام حياتك فتطول أيامك، فأنصتوا يا بني إسرائيل،واحرصوا على العمل بها فتزدهروا وتتكاثروا جدا في أرض تفيض لبنا وعسلا كما وعدكم الرب إله آبائكم"[2].

يجوز الإدعاء بأن الله تعالى وعد بني إسرائيل بميراث الأرض، ولكن ذلك كان متوقعا على شرط إتباع الوصايا لأن الله لا يحابي أحدا من خلقه.

وقال موسى مؤكدا كلامه في السياق نفسه: "... بل احفظوا وصايا الرب وشروطه وأحكامه التي أمركم بها، وضعوا ما هو صالح ومرضي لدى الرب..."[3].

وقال: "فاحفظوا جميع الوصايا التي أوصيكم بها اليوم لتمارسوها فتحيوا وتتكاثروا وتدخلوا لامتلاك الأرض...

لتسلكوا في سبله واتقوه"[4].

---

[1] - **التثنية** 5:31-33.

[2] - **التثنية** 6:1-3.

[3] - **التثنية** 6:17-18.

[4] - **التثنية** 8:1-6؛ وانظر **التثنية** 12:1. و**التثنية** 26:16-17.

هذه النصوص منقولة من الأسفار الخمسة الأولى للعهد القديم، تبين لنا تركيز موسى عليه السلام على مسألة العمل بالوصايا واستعمل في ذلك كلمة الحفظ والممارسة إلى جانب العمل، وكلها تعني تطبيق مشيئة الله تعالى، لكن كلمة الحفظ كانت أوسع معنى، إلى جانب التطبيق، فإنها تشير إلى الأمانة والتحذير من النسيان والخيانة، وبممارسة الوصايا يتم حفظ الوصايا أي حفظ الدين.

وأما في الأسفار الأخرى من العهد القديم، نجد من سار على منهج موسى عليه السلام كالنبي يشوع –يوشع بن نون– خليفة موسى ، الذي وصى بني إسرائيل بإقامة التعاليم وتنفيذها فورد في سفر يشوع قوله: "...إنما احرصوا جدا على ممارسة الوصية والشريعة التي أمركم بها موسى عبد الرب، وهي أن تحبوا الرب إلاهكم وتسلكوا في كل سبله، وتطيعوا وصاياه، وتتمسكوا به وتعبدوه من كل قلوبكم ونفوسكم..."[1].

وعندما شاخ يشوع وأحس باقتراب أجله وصى بني إسرائيل قائلا: "...واحرصوا على طاعة كل ما هو مكتوب في سفر شريعة موسى والعمل به لئلا تحيدوا عنها شمالا أو يمينا"[2].

يلاحظ كيف إن يشوع كيف يوصي للمرة الثانية بتطبيق ما هو مكتوب في سفر شريعة موسى وليس ما هو مكتوب سفره هو.

وورد في إحدى أسفار الحكمة من العهد القديم هذه التوصية: "...اتق الله، وأحفظ وصاياه لأن هذا هو كل واجب الإنسان، لأن الله سيدين كل عمل مهما كان خفيا، سواء كان خيرا أم شرا"[3].

[1] - **يشوع** 5:22.
[2] - **يشوع** 6:33.
[3] - **الجامعة** 12:13-14.

إن تطبيق الوصايا وأحكام الشريعة من مبادئ أخلاقية وشعائر تعبدية بمثابة السياج الحديدي الذي يحفظ الدين، وإلا فإن قطع السياج أو إضاعته بالكلية سيجعل الدين عرضة للإتلاف على أيدي لصوص التحريف.

لكن لا يكون هذا الإشكال بالدين لتفريط بعض أفراد المجتمع، إنما المقصود المجتمع أو غالبية أفراده الذين يرفضون الاستماع والتطبيق، وعليه فإن التدين هو سبيل لحفظ الدين.

الفرع الثاني: في المسيحية.

إن أهم مسألة جاء من أجلها السيد المسيح عليه السلام هي تنظيف الجانب الروحي في الإنسان، ففي صفحات الإنجيل تكريس لعملية تطهير الباطن وهو شطر من التعاليم التي جاء بها موسى عليه السلام، فلا ننسى أن أكبر قضية مرضية عالجها في بني إسرائيل هي العقيدة، واهتم بالجانب التعبدي والسلوكي ليساعد في تزكية الإيمان وتطهير النفس كالصدقة والصوم ولكن هذه العملية شهدت بعد موت موسى انتكاسات في مرات عديدة في حياة بني إسرائيل، وفي قليل من الأحيان يتحسن الوضع الإيماني كما في حياة يوشع بن نون وصموئيل وغيرها حتى جاء السيد المسيح بعد إعدام يوحنا المعمدان، أي في زمان شهد قتلا للأنبياء من قبل قومهم، وتعلقا كبيرا بالدنيا وملذاتها، وتحايلا على الله بإظهار بعض الطقوس وإبطان الكفر.

لذلك كافح السيد المسيح الرياء والكذب على التعاليم الأصلية بالنقصان والزيادة وتعقيدها على الناس حتى يصعب الإيمان بها والسلوك عليها، كما حارب الذين يدعون العلم والفهم —من الكتبة والفريسيين- لأنهم

كانوا يبلغون الناس العلم ولا يعملون به هم أنفسهم... وغيرها من الآفات، ولكن هذا لا يعني أبدا إهمال السيد المسيح العمل بالتعاليم فهو شطر آخر من الواجب في المسيحية —هذا بحسب استقرار الأناجيل- ولكن لا يتم الخلاص ودخول الملكوت إلا بالإخلاص ونقاء السريرة، فيرى "دون فليمنج" أن حفظ الوصايا عن طريق الأعمال

الشكلية والطقوس لا يكفي لبلوغ غاية الخلاص، وإنما لا بد من الإيمان والتوبة اللذين ينموان من خلال الحب الحقيقي ليسوع والخضوع التام ليسوع[1]،وإن المحبة تقتضي الطاعة يقول "دون": "كل وصايا الله تختصر تحت كلمة "حب" وعلى الشخص مسؤوليات أولها حب الله، وثانيها حب كل البشر، في الحقيقة أن الناس قد أوصاهم الرب بالحب، ويعني ذلك أن الحب بشكل أساسي فعل يحدث، ليس مجرد شعور، وهو سلوك الطاعة المخلصة التي تحكم عقل الإنسان وإرادته وعواطفه[2].

وعندما تحدث القس "يعقوب عماري" عن الوصايا العشر بين أنها تطبق تلقائيا عن طريق محبة الإنسان لله وعن طريق محبته للبشر فهي مغروسة في ضمير المحب فلا تحتاج إلى تذكير أو تعليم، وهذا اعتمادا على المناسبة التي جاء فيها رجل يسأل السيد المسيح عن أعظم وصية فقال السيد المسيح: "تحب الرب إلاهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها، تحب قريبك كنفسك، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء[3].

يقول القس: "الحقيقة هنا أن المسيح أصاب الهدف بدقة متناهية، إذ أن محبة الله من كل القلب والنفس والفكر، ومحبة الآخر الذي نتعامل معه، تشملان كل ما يمكن أن تنادي به أو تنهى عنه الوصايا العشر"[4].

وقال أيضا: "من عرف هوية المسيح على حقيقتها ودخل معه في علاقة حبية باختبار شخصي، حتى انطبعت في قلبه وصايا الله ونواهيه، لا يقدر إلا أن يسلك طوعا لها"[1].

[1] - دون فليمنج، المرجع السابق، ص586-587.
[2] - المرجع نفسه، 623.
[3] - **متى** 22:34-41.
[4] - يعقوب عماري، **الوصايا العشر**. الأردن: دائرة المكتبة الوطنية، ط1، 2015، ص132.

ربما نحب شخصا ونريد أن نلبي مطالبه لكن قد لا نصيب كل مطالبه فليس من حل إلا يأمرنا أو ينهانا، وهكذا الحال مع الوصايا فعلا، وهو الظاهر في الأناجيل ويتبين ذلك فيما يلي: في الأيام الأخيرة من حياة المسيح قبل صلبه قال لتلاميذه: "... وعلموهم أن يعملوا بكل ما أوصيتكم به"[2].

وقال السيد المسيح: "... بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها"[3].

ورد في إنجيل متى أن يسوع خاطب جمعا من الناس، منهم تلاميذه، قائلا: "اعتلى الكتبة والفريسيون كرسي موسى، فافعلوا كل ما يقولونه لكم وأعملوا به، ولكن لا تعملوا مثل ما يعملون"[4].

في هذا النص دلالة على أن ما جاء به موسى عليه السلام مأمور به المسيحيون أيضا، وأن العلم إن لم ينهض به عمل لا فائدة منه.

مفسرو الكتاب المقدس يعتقدون بأن المأمور به الشريعة الأدبية مثل الوصايا العشر ويلزم بطاعتها كاملة، وأما الشريعة الطقوسية أو المدنية فالمطلوب فيها هي المبادئ التي من ورائها، لأنهما شريعتان خاضعتان لتغير الزمان والمكان والظروف والأشخاص[5].

---

[1] - المرجع نفسه.، ص133.

[2] - **متى** 20:28؛ [النص الكامل هو: فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم بإسم الأب والإبن والروح القدس، وعلموهم أن يعملوا بكل ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انتهاء الزمان. لم نورد هذا النص هكذا كاملا في مطلبنا لأنه لو أوردناه لوجب التعليق عليه، وذلك ليس ضمن بحثنا، فاكتفينا بالشاهد فقط].

[3] - **لوقا** 28:11.

[4] - **متى** 23:2-3.

[5] - **التفسير التطبيقي**. المرجع السابق، ص1883.

الفرع الثالث: في الإسلام.

لقد تعهد الله عز وجل بحفظ القرآن الكريم كتابه الذي أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، وحفظ القرآن بحروفه وعباراته يعني حفظ المادة الأساسية للدين، قال الله عز وجل: "**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**"[1].

ولكن، من حيث الفهم وتفصيل السنة للقرآن اللذان يشكلان مع القرآن الكريم الدين؛ كان لزاما على المؤمنين أن يعملوا بهذا القرآن وينزلوه إلى أرض الواقع تطبيقا تبعا لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم "**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**"[2].

لقد أمر الله عز وجل على سبيل الإلزام المؤمنين أن يطيعوه ويطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد تكرر هذا الأمر في جنبات القرآن حتى تقرر وهذه الآيات نعرضها تبين ذلك فيما يلي:

قال الله تعالى: "**قل أطيعوا الله والرسول**"[3].

وقال أيضا: "**وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**"[4].

وقال: "**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون**"[5].

[1] - **سورة الحجر** الآية 9.
[2] - **سورة النحل** الآية 44.
[3] - **سورة آل عمران** الآية 32.
[4] - **سورة الأنفال** الآية 1.
[5] - **سورة الأنفال** الآية 20.

وقال: "**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**"[1].

وقال جل جلاله: "**استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله**"[2].

يقول محمد الأمين الموريتاني: "الاستجابة إنما تكون بالاعتصام بالكتاب والسنة وإتباع الهدى الذي أنزله الله على خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم"[3].

وقال سبحانه وتعالى: "**وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**"[4].

وبعد أن ذكر الله تعالى للمؤمنين ما حرمه عليهم من سلوكات وأوجب عليهم من واجبات، بين أن ذلك صراط مستقيم يجب الالتزام به فقال: "... **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه... ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**"[5].

وبين الله للمؤمنين أن طاعة الرسول هي من طاعة الله لأن الرسول مهمته التبليغ والتبيين: "**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[6].

---

[1] - **سورة النساء** الآية 80.

[2] - **سورة الشورى** الآية 47.

[3] - محمد الأمين بن الشيخ بن مزيد الموريتاني، **توحيد الإتباع**. بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 2011، ص15.

[4] - **سورة الحشر** الآية 7.

[5] - **سورة الأنعام** الآية 153.

[6] - رواه ابن أبي عاصم في " السنة " (رقم 15) انظر ابن رجب الحنبلي البغدادي، **جامع العلوم والحكم**. بيروت لبنان: المكتبة العصرية، د ط، 1423هـ 2003م، ص375.

وقال الله عز وجل: "**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**"[1].

وقال سبحانه: "**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون**"[2].

الفرع الرابع: خلاصة وأفاق المطلب.

إن كلا من التوراة والإنجيل والقرآن أمر بإطاعة الأوامر، وتطبيق الوصايا، وهو العامل الذي يحفظ الدين كنصوص فلا تكون عرضة لخطر الإخفاء والتزوير، ويحفظه من التشويه والابتداع من الناحية العملية.

تنفيذ الوصايا يساعد على انتقال الدين عبر الأجيال سليما، وإلا بعد طول الزمن فسيحصل النسيان وتقسو القلوب، وتسوء الأعمال كما قال الله تعالى محذرا المؤمنين أن يسيروا سيرة من قبلهم: "... **ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**"[3].

وإن مسألة الأمر بالطاعة، والتطبيق ربطتها الكتب السماوية بمقومات منها الجزاء والقدوة... أما الجزاء فلقد تناولناه في المبحث الأول، أما عنصر القدوة الحسنة فإن النصوص فتوافقت على الناحية الممتازة في حياة الأنبياء وسيرتهم؛ فالقرآن الكريم نوه بشمائلهم الحميدة، وجعلها قدوة في مواجهة وساوس الشيطان، والشهوات، والظلم، وأسوة في تحقيق العدالة وبث الخير بين الناس، أما التوراة فلقد كرمت بعض الأنبياء فلا تكاد تجد لها مثلبا، كإبراهيم وإسحاق وموسى ويوسف وإسماعيل –وإن لم يكن من أنبيائهم–، أما يعقوب ونوح وغيرهما فإلى جانب

[1] - **سورة النساء** الآية 64.

[2] - **سورة النور** الآية 51.

[3] - سورة الحديد الآية 16

ماذكرته في حقهم من مواقف زكية، حكت عنهم مالا يليق برجل كريم كالخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا والظلم... وكان هذا في حق كل من لوط وداود وسليمان وغيرهم... أما الأناجيل فإذا عزلناها عن جملة الكتاب المقدس، فما تناولته عن الأنبياء ذكرته بطيب القول كالنبي زكريا ويحي والسيد المسيح وموسى –عليهم الصلاة والسلام– وذكرت أمثلة من النساء الصالحات كمريم وأليصابات.

وإن السيد المسيح كان كثيرا ما يركز على مسألة القدوة الحقيقية المؤثرة بعيدا عن الرياء والنفاق، ولم يكن ليرضى إطلاقا عن المعلمين الدينيين مساوئهم، وطالما حذر من المتنبئين الكذبة؛ ولكن العجب العاجب، هو هذا التراث الجميل الذي تحمله جنبات الإنجيل، يتركه بعض علماء المسيحية، فيسكتون عما ورد في التوراة من نيل سيء لأعراض شريحة كبيرة من الأنبياء، فعوض أن يعملوا على تنقية صحائفهم، قالوا: إن الأنبياء مثل البشر في إمكانية وقوعهم في كبائر الآثام، وعلى الأتباع أن يعتبروا، ويقتدوا بندمهم، وتوبتهم، والسؤال المطروح: أين ذكرت توبة لوط عليه السلام، وكيف يكون الاعتبار، وأين ذكرت توبة يعقوب؟ وأين وجه العبرة؟

وسهل على النفس أن تأمر صاحبها بالإقتداء بأحد الأنبياء في ارتكاب السوء ثم الإقتداء به حين يتوب؛ أليس هذا من مسوغات الأمر بالفحشاء والمنكر والبغي؟

لا نذكر هذا شماتة بالمسيحية أو اليهودية ولكننا ندعوا إلى الاجتماع لتنقية التوراة مما علق بها من تشويهات واتهامات بذيئة في حق الأنبياء اعتمادا أولا على ما قررته نصوص التوراة نفسها من الصفات الراقية التي لا يمكن أن تناقض بحال مثل ما ورد في حق نوح عليه السلام في سفر التكوين: (أما نوح فقد حظي برضى الرب... كان نوح صالحا كاملا في زمانه، وسار نوح مع الله) فكيف من يكون صالحا وكاملا ويسير في معية الله تعالى مرتكبا لمساوئي الأعمال؟ ضدان لا يجتمعان.

ونلاحظ أن القرآن الكريم لم يدافع عن أي واحد من الأنبياء وإنما اكتفى بإيراد طهارتهم وحسن سيرتهم مباشرة، إلا ما جاء في تبرئة مريم عليها السلام، أو المسيح في مسألة تبرئته من الدعوة إلى الشرك بالله تعالى.

ولم يدافع القرآن الكريم عن باقي الأنبياء ربما لأن اللّغط في حقهم ورد متأخرا عن نزول القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مقومات التطبيق.

الفرع الأول: في اليهودية.

إلى جانب التوصية بممارسة الوصايا والأحكام فإن نصوص التوراة وباقي أسفار العهد القديم تحمل مجتمع بني إسرائيل على أداء هذا الواجب بمقومات ذاتية نستشفها من النصوص ذاتها ويلاحظ ذلك فيما يلي:

أولا: القدوة الحسنة:

إن أول أهل للقدوة الحسنة هم الأنبياء الذين كلفوا بحمل الرسالات إلى البشرية، والنبوة هي ميزة يمتاز بها الأنبياء عن بني جنسهم من حيث صلتهم بالله عز وجل في مهمة التبليغ، ليس بالقول فقط وإنما بالعمل أيضا، فالناس لا يتأثرون بالقول دون الفعل، لأن الفعل يدل على أن القول صحيح، وصالح للتطبيق، ولذلك كان الأنبياء بشرا، ومن صفوتهم لأخلاقهم السامية ورجاحة عقلهم أما مركزهم الاجتماعي أو الاقتصادي لم يكن محسوبا، فإن منهم الفقير واليتيم.

الأنبياء هم الحملة الأولون للدين وحماته، فإذا كان الدين عبارة عن عقيدة وتعاليم لا يتمثلها حملتها بالتطبيق والممارسة ، وإنما يخالفونها في مواقف إنسانية شتى ، فإن نتيجة ذلك تكمن في كثرة الصد والعصيان، ويضعف الدين في نفوس المعتنقين مما يؤدي حتما إلى إهمال التدين في المجتمع .

إن التكليف ثقيل على النفس، والانتهاء عما تشتهيه النفس من شهوات ولذات محرمة أمر وعر وصعب اجتنابه، ذلك لأن النفس نزاعة للهوى، وملهمة الفجور، وأمارة بالسوء، فاحتاجت هذه المعادلة إلى مثال حي من البشر من يقوم بدور مطلق للتعاليم النظرية في معالجة نوازع النفس أولا، والمجتمع ثانيا، ولقد لاحظنا من الناحية الواقعية في بلادنا أن الناس يفرون من الإمام المسلم –وقس عليه غير المسلم– وينبذونه بمجرد خطأ يلم به، ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، وإنما نجد شريحة من الناس من يجعل زلة الإمام ذريعة لارتكاب المعاصي خصوصا إذا اشتهر أمره بين الناس، وعلى هذا الأساس نقول بأن القدوة الحسنة في تطبيق التعاليم النظرية عامل مهم في المحافظة على الدين نظريا وواقعيا.

غير أن اليهودية والمسيحية أكثر، يريا أن الأنبياء هم مثل البشر في وقوعهم في أكبر الآثام، وعلى الأتباع أن يعتبروا من أخطائهم حتى لا يقعوا في أمثالها، وإذا وقعوا اقتدوا بندمهم وتوبتهم وتطهيرهم... [1] ولهذا فإن حياة الأنبياء تتميز بجانب سلبي وآخر إيجابي[2].

والآن نتعرض إلى النصوص المقدسة اليهودية أولا –والأخرى في مجالها الخاص– فيما يشير إلى مواطن القدوة لنرى مدى أهميتها في حفظ الدين الذي به تصلح الإنسانية عقيدة وسلوكا.

[1] - انظر على سبيل المثال الدراسة التي قام بها موسى معيرش لنماذج الحاكمين في اليهودية كداود وسليمان وبعض الأنبياء القضاة.

[2] - موسى معيرش، **نظام الحكم في اليهودية**. القاهر مصر: دار الكتاب الحديث، ط1، 1436هـ 2015م، ص180-182 و213-214 و228-231.

وردت في التوراة قصة الطوفان التي غيرت خارطة العالم وذكرت فيها شخصية غاية في الإيمان تتعلق بنوح عليه السلام حيث أنها حظيت برضى الرب لأنه كان من الأخيار ولم يكن من الأشرار ولا من أصحاب الزيغ ، وكان الله ينعى على أهل الشر الذين عملوا على تفشيه في الأرض "... أما نوح فقد حظي برضى الرب ... كان نوح صالحا كاملا في زمانه، وسار نوح مع الله)[1].

اتصف نوح بالصلاح والكمال الإنساني والسير على الطريق الذي أراده الله فكانت النتيجة أن رضي الله عنه، وفي نص تال إشارة إلى أن نوحا كان مقاوما للظلم وعاملا على نشر العدل[2].

وكان نوح أيضا متعلقا بعبادة الله، وشكر نعمه، فلم تلهه نشوة النجاة من الطوفان هو وأهله، أو هول ما حدث من حوله من حدث عظيم، وإنما بمجرد نزوله من الفلك (بنى نوح مذبحا للرب ثم اختار بعضا من جميع البهائم والطيور الطاهرة وقرّبها مَحْرُقات على المذبح، فتقبلها الرّبُ برضى)[3].

إنّ الثبات على المكارم والتماسك عند تغير الأحوال ليس سهلا على البسيط من الناس ، وإنما هما صفتا أولي العزم، إلى هذا الحد تتفق اليهودية والمسيحية مع ما جاء في الإسلام عن نوح عليه السلام على أنه شخصية مهمة تحمل صفات تجعله جديرا بالإقتداء وعاملا من عوامل حفظ الدين[4].

[1] - **التكوين** 6:8-10.

[2] - **التكوين** 6:13.

[3] - **التكوين** 8:20.

[4] - [في هذا المطلب نحن لسنا بصدد ذكر السلبي للاعتبار، وإنما نقصد الجانب الإيجابي للإقتداء، ولأننا لا نتفق مع الفلسفة اليهودية والمسيحية خصوصا وذلك لعدم قناعتنا، والبحث لا يتجه نحو النقد بقدر ما هو عرض للمتفق عليه لإظهار أن الديانات السماوية لها نقاط اتفاق لخير البشرية].

وبعد نوح يذكر الكتاب المقدس أبرام – إبراهيم – كأعظم شخصية مؤيدة من الله بالوحي، وجعل منه أمة كبيرة، وباركه، وأعظم اسمه، ولصلاحه جعله مؤثرا ببركته في جميع الأمم، وفي مقابل ذلك كان إبراهيم مؤتمرا بأمر الله، ومنتهيا عما نهاه، عابدا بإخلاص، شاكرا لأنعمه، داعيا إليه، ومجاهدا، وكان لا ينزل منزلا إلاّ بنى لله مذابح القربان، ورد في سفر التكوين ما نصه:(فقال الرب : أأكتم عن إبراهيم ما أنا فاعله ؟ وإبراهيم لابد أن يصبح أمة كبيرة وقوية، وبه تتبارك شعوب الأرض جميعا، لأنني قد اخترته ليوصي بنيه

وأهل بيته من بعده كي يحفظوا طريق الرّب، عاملين البرّ والعدل، حتى ينجز الرب ما وعد به إبراهيم)[1].

الملاحظ في هذا النص أن له طابعا إنسانيا، وأنّ إبراهيم شخصية محورية مختارة لهداية الناس، وأن الله لا يحابي أحدا دون أحد ما لم تنفذ وصاياه، منها إفشاء الخير، وإقامة العدل. كما أنّ إبراهيم أعطى مثلا في اليقين بالله، والإيمان، والتضحية، والتوكل على الله، يتبين ذلك فيما نص عليه الكتاب المقدس حين ذكر قصة ابتلاء الله لإبراهيم حين أمره بذبح ابنه إسحاق –على رواية التوراة– فكان غاية في الامتثال والطّاعة[2] ومما يشهد على هذا، النصُّ الذي ورد في التوراة وذلك بعد وفاة إبراهيم: (... لأن إبراهيم أطاع قولي، وحفظ أوامري ووصاياي وفرائضي وشرائعي...)، وهذه الشهادة يشهد بها القرآن الكريم[3] مما يجعل سيدنا إبراهيم أسوة حسنة للإنسانية، قال الله تعالى: "**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**..."[4]

[1] - **التكوين** 18:17-18.

[2] - **سفر التكوين** 22:1-18.

[3] - أنظر على سبيل المثال **سورة الأنبياء** الآية 51-70.

[4] - **سورة الممتحنة** الآية 4.

ومن الأمور الجميلة في شخصيات متعلقة بالنبي إبراهيم عبده الوفي، الأمين، العفيف، قوي الصلة بالله عز وجل، حيث ظهرت في سعيه لخطبة فتاة من بنات عشيرة سيده لابنه إسحاق مما يدل على حسن الاختيار، وحسن التربية[1].

و هذا إسحاق شخصية مباركة، له ثقة كبيرة في الله، سار على منهج أبيه إبراهيم، أعطى درسا في المسالمة لحاسديه حين طردوه من الأرض التي هاجر إليها بسبب المجاعة التي ألمت بها، (وقال أبيمالك لإسحاق: ارحل عنا لأنك أصبحت أكثر قوة منا، فانصرف إسحاق من هناك...)[2] ، كما أنه لم ينس كلما مكنه الله تعالى في الأرض أن ينشئ مذبحا شكرا، وقربى، وتعبدا (... فشيد إسحاق هناك مذبحا ودعا باسم الرب)[3].

وهذا يوسف بن يعقوب عليهما السلام، كان رجلا تقيا، نقيا في سيرته، لم يرتكب حراما، وكان أمينا[4]، فضل أن يدخل السجن على أن يرتكب المعصية التي تعرضت له ولم يتعرض لها، فكان عفيفا، مخلصا وناسبا النعمة إلى الله تعالى[5]، ويوسف النبي لم يذكر فيه عيب، كبيرا كان أم صغيرا. ولذلك أثر بأخلاقه الكريمة والتزامه طاعة الله تعالى في قوم غير قومه.

وموسى عليه السلام كان قدوة يحظى باحترام الناس له فوردت في سفر العدد هذه الشهادة: (كما أن الرجل موسى كان عظيما في مصر في عيون حاشية فرعون والشعب)[6].

[1] - **سفر التكوين** 24:1-67.
[2] - **التكوين** 17:16.
[3] - **التكوين** 25:26.
[4] - **التكوين** 16:41.
[5] - **التكوين** 16:41.
[6] - **الخروج** 3:11.

وفي بقية الأسفار الخمسة يتبين من شخصية موسى أنه كان ذا خصال عظيمة من الصبر في إصلاح مجتمعه، وكان دائم الصلة مع الله تعالى عاملا بالوصايا[1].

وهناك قدوات أخرى مناقبها نقية ذكرت خارج الأسفار الخمسة منها يشوع بن نون، فلقد كان قائدا عسكريا فريدا كما كان له تأثير روحي قوي، لكن مفتاح نجاح يشوع ارتكز على خضوعه لله، فعندما تكلم الله إليه، وجد عنده الاستعداد للسمع والطاعة، وقد قدم يشوع بطاعته قدوة صالحة مكنت الشعب من الاستمرار أمينا للرب[2].

ومن الأدلة التي تبين أنه كان شخصية قدوة فعندما نصره الله على الأعداء نصرا دخل به إلى أرض كنعان فلم تفتنه نشوة النصر لينسبه لنفسه وإنما ذكر بني إسرائيل وكرر عليهم مرات بأن النصر كان من عند الله تعالى[3].

ومما يدل على أن يشوع شخصية لائقة بالقدوة الحسنة عند وصيته الأخيرة قال لقومه: "والآن اتقوا الرب واعبدوه بكل أمانة... أما أنا وبيتي فنعبد الرب"[4].

ومن القدوات أيضا النبي صموئيل –أول أنبياء العبرانيين بعد موسى وآخر قضاة بني إسرائيل[5] يمتاز بسيرة نقية منذ صباه إلى أن صار شيخا، فكان حريصا على طاعة الله، وكان قائدا روحيا نموذجا لبني إسرائيل حتى وفاه الأجل[1].

---

[1] - **سفر الخروج** 22:5-23. [ومع صفاء سيرة موسى في غالبها، فهناك مواطن فيها خدش بهذه السيرة كسوء الأدب الذي ينسب إلى موسى في مناجاته لله تعالى وحشاه أن يفعل]

[2] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص418.

[3] - **يشوع** 3:23. و5 و9-10.

[4] - **يشوع** 15:24.

[5] - عبد المالك بطرس، جون الكسندر طمسن وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**.المرجع السابق، ص552.

وذكرت في العهد القديم نماذج نسوية كن للنساء خير قدوة مثل القديسة "حنة" المتواضعة –أم صاموئيل– كانت مثالا في التوكل على الله والوفاء والصلاة والتواضع[2].

ومثال آخر من النماذج الحسنة للنساء "نعمي" التي أثرت بأخلاقها الفضيلة في كنتها المؤابية الأرملة الصغيرة "راعوث"[3].

يقول أصحاب التفسير التطبيقي أن هاتين المرأتين "نعمي" و"راعوث" كانتا ملتزمتين بطاعة الله تعالى، وذكره في الوقت الذي كان فيه الفساد الأخلاقي والانحطاط الروحي متفشيا في المجتمع الإسرائيلي[4].

ثانيا الجزاء:

إن المقوم الثاني للتطبيق هو الإغراء بالجزاء عليه، والتحذير من مغبة إهماله، والكتاب المقدس اليهودي مكتنز بهذا الأسلوب وهو يوصي بتنفيذ التعاليم كقول موسى لقومه: "فإن استمعتم إلى هذه الأحكام وأطعتموها وعملتم بها، فإن الرب إلاهكم يحافظ لكم على العهد والإحسان كما حلف لآبائكم، ويحبكم ويباركم

ويكثركم، ويبارك ثمرة أحشائكم وغلة أرضكم... ويزيد من إنتاج بقركم ونعاجكم... وتكونون مباركين أكثر من جميع الشعوب... ويقيكم الرب من كل علة..."[5].

وقال موسى لقومه: "وإذا أطعنا جميع هذه الوصايا بحرص لنمارسها أمام الرب إلاهنا كما أمرنا، يكون لنا البر"[1].

---

[1] - **قاموس الكتاب المقدس**. المرجع السابق، ص 552؛ انظر **التفسير التطبيقي**. المرجع السابق، ص 617.

[2] - جون ماك آرثر،المرجع السابق، ص 464.

[3] - **التفسير التطبيقي**. المرجع المذكور أعلاه، ص 538. [راعوث أصبحت بعد زواجها الثاني الجدة الكبيرة لداود ثم المسيح عليهما السلام].

[4] - المرجع نفسه، ص 540.

[5] - **التثنية** 7:12-15.

وقال الرب: "... حتى يتقوني ويطيعوا جميع وصاياي دائما، لكي يتمتعوا هم وأولادهم بالخير إلى الأبد"[2].

وقال موسى: "...واسلكوا في كل الطريق التي أوصاكم بها الرب لتحيوا وتزدهروا وتمكثوا طويلا في الأرض التي ترثونها"[3].

وقال أيضا: "... واحرصوا على العمل بها فتزدهروا وتتكاثروا جدا..."[4].

وفي ثنايا ماكان يوصي به موسى من تطبيق للوصايا كان يحذر قومه من إضاعتها فهذا خطابه: "إياكم نسيان الرب إلاهكم، وإهمال وصاياه وأحكامه وفرائضه التي أوصيكم اليوم بها... فإنني أشهد عليكم أنكم لا محالة هالكون... لأنكم لم تطيعوا أمر الرب إلاهكم"[5].

وكان كثيرا ما يركز في تحذيره على مسألة توحيد الله وتنزيه عبادته: "... وأعلن لكم بهذه الوصايا العشر التي نقشها على لوحي حجر... فاحذروا لأنفسكم جدا... إياكم أن تنسوا عهد الرب إلاهكم الذي قطعه معكم وتنحتوا لأنفسكم تمثالا..."[6].

ويخير موسى قومه في خاتمة خطابه بين البركة واللعنة: "البركة لكم إن أطعتم وصايا الرب إلاهكم... واللعنة إن عصيتم وصايا الرب إلاهكم"[7].

---

[1] - **التثنية** 25:6.

[2] - **التثنية** 29:5.

[3] - **التثنية** 33:5.

[4] - **التثنية** 3:6.

[5] - **التثنية** 8:11-20.

[6] - **التثنية** 4:13-23.

[7] - **التثنية** 11:26-27.[عواقب الخير والشر المتعلقة بالتطبيق مبثوثة في الإصحاحات من 27 إلى 32 من سفر التثنية]

يلاحظ في مسألة الجزاء والعواقب متعلقة بالدنيا ولا ذكر للآخرة فيها.

الفرع الثاني: في المسيحية.

نعم، إن نصوص الأناجيل كانت تحمل مقومين ذاتيين تدفع إلى التطبيق هما الجزاء والقدوة فإليك بيانهما:

أولا: الجزاء:

إن الجزاء الذي ركز عليه السيد المسيح، جزاء روحي وغيبي، فقال السيد المسيح لجمع من الناس بأن من يتبع أوامر الله وينتهي عما ينهى عنه هو واحد من أهله (من يعمل بإرادة الله هو أخي وأختي وأمي)[1].

هذا نظير ما جاء في القرآن الكريم في قصة نوح عليه السلام عندما رد عليه الله عز وجل في شأن إبنه العاصي "**قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**"[2].

وقال السيد المسيح: "...بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها"[3].

وضرب مثلا حكيما فيمن يستمع إلى الحق ويعمل به فقال عليه السلام: "فأي من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل حكيم بنى بيته على الصخر، فنزلت الأمطار وجرت السيول، وهبت العواصف، فضربت ذلك البيت، فلم يسقط لأنه مؤسس على الصخر، وأي من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها، يشبه برجل غبي بنى بيته

[1] - **مرقس** 35:3.

[2] - **سورة هود** الآية 46.

[3] - **لوقا** 28:11.

على الرمل، فنزلت الأمطار، وجرت السيول، وهبت العواصف، فضربت ذلك البيت، فسقط وكان سقوطه عظيما"[1].

لقد شبه السيد المسيح الأقوال بالبناء، لأن الأقوال بمثابة لبنات تصف في العقول لتشييد العلم، كما تصف اللبنات لتشييد البيت، والإنسان الذي يعمل بهذا العلم هو الأساس القوي الذي يحفظ هذا العلم من الزوال والسقوط، والإنسان الذي لا يعمل بالعلم فالعلم مهدد بالضياع والنسيان، كالبيت الذي يبنى على أساس كالرمل، ومن بنى بيته على أساس قوي عاش فيه سعيدا[2].

وخاطب السيد المسيح الناس يوما فقال: "...أنا نور العلم، من يتبعني فلا يتخبط في الظلام بل يكون له نور الحياة"[3].

جاء في التفسير التطبيقي هذا التعليق المهم: "ما معنى أن نتبع المسيح؟ كما يتبع الجندي قائده كذلك ينبغي أن نتبع المسيح قائدنا، وكما يتبع العبد سيده، كذلك ينبغي أن نتبع المسيح ربنا سيدنا، وكما نتبع مشورة ناصح حكيم موثوق به، كذلك ينبغي أن نتبع وصايا الله لنا في الأسفار المقدسة، وكما نتبع قوانين وشرائع بلادنا كذلك ينبغي أن نتبع شرائع المسيح كمواطنين من سكان السماء"[4].

[1] - **متى** 7:24-29. وأنظر **لوقا** 6:46-49.

[2] - [هذا الفهم هو من القراءة المجردة عن التفسير، قد تختلف في بعض مفرداته مع ما جاء في التفاسير كقلب المشبه إلى المشبه به، ولكن يتفق في نقطة هامة تتمثل في وجوب العمل بالعلم]، فانظر جون ماك آرثر، المرجع السابق، ص1684. انظر **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص2088. ودون فليمنج، المرجع السابق، ص590.

[3] - **يوحنا** 8:12.

[4] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص2200.

وقال أيضا: "الحق الحق أقول لكم: إن من يطيع كلامي لن يرى الموت أبدا"[1].

في تعليق التفسير التطبيقي وردت العبارة التالية: "الطاعة عملية مستمرة، ولذلك يجب على الدوام أن نطلب مغفرة الله عندما نخطئ وعندما يقول الرب يسوع: إن من يطيع كلامه لن يرى الموت أبدا فهو إنما يتحدث عن الموت الروحي لا عن الموت الجسدي، فإن من يطيعه له الوعد بالحياة الأبدية"[2].

ويقول مفسرو الكتاب المقدس: "لا يستطيع بعض الناس أن ينالوا حريتهم الجسدية ولكنهم يستطيعون أن يتحرروا من الموت الروحي بإتباع شرائع الله للحياة"[3].

وقال أيضا: "إن كنتم تحبونني فاعملوا بوصاياي"[4].

وقال: "من يحبني يعمل بكلمتي، ويحبه أبي، وإليه نأتي وعنده نجعل لنا منزلا، والذي لا يحبني لا يعمل بكلامي، وليس هذا الكلام الذي يسمعونه من عندي بل من الأب الذي أرسلني"[5].

وفي إنجيل متى قال السيد المسيح وهو يعلن للناس أنه ما جاء ليلغي أو يعطل الشريعة التي أتى بها موسى عليه السلام أو ما جاء به الأنبياء من مبادئ –لأنها من مصدر واحد هو الله عز وجل– وإنما جاء ليكملها ويشرح

[1] - **يوحنا** 51:8.

[2] - **التفسير التطبيقي**، المرجع المذكور أعلاه، ص2202. وانظر جون ماك آرثر، المرجع السابق، ص1780.

[3] - **التفسير التطبيقي**، المرجع نفسه، ص175.

[4] - **يوحنا** 15:14.

[5] - **يوحنا** 24-23:14.

أبعادها من أجل صلاحية إنزالها على الواقع المعاش: "...فأي من خالف واحدة من هذه الوصايا الصغرى...يدعى الأصغر في ملكوت السموات، وأما من عمل بها، فيدعى عظيما في ملكوت السماوات"[1].

نلاحظ هذه المقومات للتطبيق كانت ذاتية تحملها النصوص ذاتها من ترغيب أو ترهيب فذكرت ملكوت الله والحياة الأبدية ومحبة الله، والمنزل عند الله، من أهل المسيح، نور الحياة هذا لمن عمل بوصايا المسيح، أما من عصى فيعيش في الظلام، ولا ينال محبة الله وله الويل، والسقوط العظيم، فهذه الجزاءات المتنوعة هي تدفع العاقل للعمل قبل فوات الأوان.

ثانيا: القدوة.

المقوم الذاتي الثاني هو عنصر القدوة الذي يحمل الإنسان على التطبيق.قال أصحاب المعجم اللاهوتي: "إن كانت الكلمة تنير، فالقدوة تجذب، ولذلك فالله يعطي الإنسان كمرب حكيم، أمثلة ليتبعها، ونماذج ليقتدي بها"[2].

ويقول أصحاب المعجم أيضا مستدلين بالكتاب المقدس: "إن يسوع لم يكتف بأن يقول ما يجب عمله فهو كمرب كامل، قد أعطى المثال، فهكذا أعطانا مثالا عن الفقر، فلم يكن له حجر يسند إليه رأسه... وعن الأمانة نحو الرسالة، فتؤدي به إلى الوقوف في مواجهة اليهود ورؤسائهم، فيطرد مثلا الباعة من الهيكل، وستجلب هذه الغيرة عليه الموت... وعن المحبة الأخوية فيغسل هو نفسه أرجل تلاميذه، وهو المعلم... وبما أن هذه المثل يذهب

[1] - **متى** 19:5.

[2] - بولس باسيم. المرجع السابق، ص618.

إلى أبعد من ذالك، يجعل يسوع نفسه واحد مع من ينبغي أن يربيهم عندما يتحمل بنفسه "التأديب والعقاب"... وهو الذي تعلم الطاعة... وبذبيحته أكمل يسوع تربية إسرائيل"[1].

فأعظم قدوة حسنة في المسيحية تتمثل في المعلم المسيح نفسه الذي أحب ربه فأطاعه، فهو يعيش في جو من الصلاة والشكر... وهو في حالة من الإصغاء الدائم إلى الله... الأمر الذي يضمن له استجابة منه... وبالنسبة إلى البشر، يعطي يسوع حياته كلها، ليس فقط لبعض أحبائه... بل للجميع... وهو يمضي من مكان إلى آخر يعمل الخير...[2]

ومن النماذج الشاهدة على المسيح أنه كان محفزا على الإقتداء به عن طريق السلوك العملي ما ورد في إنجيل متى كمثال على قوة الإيمان وصدق الثقة بالله تعالى، وذلك عندما مر مع أصحابه بشجرة التين التي لم يكن بها ثمار لعنها فيبست في الحال فاندهش تلاميذه لما رأوه بأم أعينهم... فقال لهم: "...الحق أقول لكم، إن

كان لكم إيمان ولا تشكون، فإنكم تعملون لا مثل ما عملت بالتينة وحسب، بل إن كنتم لهذا الجبل، انقلع وإنطرح في البحر فإن ذلك يحدث، وكل ما تطلبونه في الصلاة بإيمان تنالونه"[3].

ذلك الفعل ليس من خلق النبي، ولكن لغيب أطلعه الله عليه من باب الحديث عن الشجرة الخبيثة التي ذكرها الله في القرآن الكريم.

[1] - المرجع نفسه، ص199.
[2] - المرجع نفسه، ص714.
[3] - متى 21:21.

وكان السيد المسيح يربي تلاميذه على أن يكونوا نماذج حسنة للناس فقال في إحدى أمثاله: "... هل يقدر الأعمى أن يقود أعمى؟ ألا يسقطان معا في حفرة؟"[1].

ويقول أيضا: "فإنه ما من شجرة جيدة تنتج ثمرا رديئا، ولا شجرة رديئة تنتج ثمرا جيدا... فلا يجنى من الشوك تين، ولا يقطف من العليق عنب..."[2].

فبهذا فإن السيد المسيح يريد من النموذج القدوة أن يكون حسنا فيصلح نفسه أولا ويعمل بما يعمل أو يقول، ولا يكتفي بإطاعة أوامر الله ظاهريا.

وإن الكتاب المقدس بعهديه –القديم والجديد– يبرز لنا قدوات حسنة من الأنبياء والصالحين –رجالا ونساء– كما يحذرنا من القدوات السيئة لئلا نتأثر بهم فنكون مثلهم.

قلنا الكتاب المقدس بعهديه، لأن المسيحية معنية كذلك بالعهد القديم في غالبه باتفاق جميع الطوائف[3].

فأما عن القدوات الحسنة فلا نعيد ذكر ما أوردناه في الفرع الأول من المبحث نفسه، ولكن إصحاحات الأناجيل ذكرت نماذج طيبة جدير الاقتداء بها، منها ذكر زكريا وزوجه "اليصابات" إنهما كانا معروفين بتقواهما وبرهما، وتعبدهما، وسلوكهما وفقا للوصايا وأحكام الشريعة[4].

وذكر أيضا "يوحنا" ابنهما النبي الذي اشتهر بقول كلمة الحق والتواضع[1]، ولقد سجنه هيرودس –الحاكم الروماني الإقليمي– بسبب معارضته لاقتراف الحرام فقتله فمات شهيدا[2].

[1] - **لوقا** 39:6.

[2] - **لوقا** 43:6-44.

[3] - يعقوب عماري، المرجع السابق، ص47-50.

[4] - **إنجيل لوقا** 25:1 و27-80.

وذكرت القديسة العذراء مريم عليها السلام أم السيد المسيح كانت مثالا في الطهر الروحي والجسدي، وفي ثقتها بالله تعالى[3].

ولقد حذر السيد المسيح –يسوع– من المعلمين الدينيين الذين يحبون أن يظهروا بأنهم أتقياء، ليحظوا بإكرام الناس لهم بينما هم في الحقيقة زائفون متظاهرون[4].

الفرع الثالث: في الإسلام.

أولا الجزاء:

استعمل القرآن الكريم أسلوبي الترغيب الترهيب معا في حمل المسلم على التطبيق، وأشار إلى ثمرة التطبيق في الدنيا والآخرة وإليك ما يدل على ذلك:

قال الله تعالى: "...**فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**"[5].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ "الآية"[6].

---

[1] - **أنجيل لوقا** 3:15-18.

[2] - **إنجيل لوقا** 3:19-20.

[3] - نصر الله زكريا، **شخصيات لها بصمات**. دون مكان نشر، دون دار نشر، د ط، دون تاريخ النشر، ص59. أنظر **إنجيل لوقا** 1:26-38.

[4] - **مرقس** 12:38. أنظر **التفسير التطبيقي**، ص2029. و**المعجم اللاهوتي**، ص219.

[5] - **سورة طه** الآية 123.

[6] - محمد الأمين الموريتاني، المرجع السابق، ص15.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "فأعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله وسنة رسوله"[1].

قال سبحانه: "**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**"[2].

أي أن الذي يسير وفق تعاليم القرآن –لأن الهداية من ملزمات السير والطريق– يضمن السلامة في شؤون الدنيا بأقوم الطرق وأوضح السبل، ويبشر بالجنة لأنه عمل الصالحات على مقتضاها[3].

وقال سبحانه وهو يبشر المؤمنين بالرحمة إن هم طبقوا تعاليم القرآن: "**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**"[4].

قال ابن كثير: "فيه الدعوة إلى إتباع القرآن فيرغب سبحانه عباده في كتابه، ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه، ووصفه بالبركة لمن تبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين"[5].

وقال الله تعالى: "**ومن يطع الله ورسوله، ويخش الله ويتقه فأولائك هم الفائزون**"[6].

---

[1] - أخرجه الحاكم في "المستدرك" (ج1/ص93).

[2] - **سورة الإسراء** الآية 9.

[3] - محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**. تونس: دار سحنون، د ط، 1997، ص40؛ وانظر ابن كثير، المرجع السابق، ج3، ص1080.

[4] - **سورة الأنعام** الآية 155.

[5] - ابن كثير، المرجع السابق، ج2، ص711.

[6] - **سورة النور** الآية 52.

قال ابن كثير: "قال قتادة: من يطع الله ورسوله فيما أمره به ويترك ما نهاه عنه، ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل، سيفوز بكل خير، ويأمن من كل شر في الدنيا والآخرة"[1].

وقال الله تعالى مبشرا من أطاع الله تعالى ورسوله أن يحشر مع الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين[2].

"**ومن يطع الله والرسول فأولائك الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا**"[3].

مع ملاحظة أن هذه الصفوة من الناس لم ينعم عليهم فقط في الجنة فذلك جزء من المعنى الذي يدل عليه بشكل دقيق قوله تعالى: "**وحسن أولائك رفيقا**"، فكذلك هم معهم في الجزاء الدنيوي من النعمة المشابهة كنعمة النصر مثلا كما جاء في قوله تعالى: "**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**"[4].

وأما من جهة العصيان فقد حذر الله من مغبة ذلك فقال: "...**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**"[5].

[1] - ابن كثير، المرجع المذكور أعلاه، ج3، ص1319.
[2] - المرجع نفسه، ج1، ص473-474.
[3] - **سورة النساء** الآية 69.
[4] - **سورة غافر** الآية 51.
[5] - **سورة طه** الآية 126.

الإعراض عن ذكر الله هو مخالفة أوامر الله وما أنزله على رسوله والسير على غير سبيله فعقوبته الدنيوية أن يعيش حياة لا طمأنينة فيها وهو في قلق نفسي وخيرة مهما تنعم في الظاهر من متاع لكنه متاع مشوب بالقلق أثناءه وبعده، قال ابن عباس: هو الشقاء[1]، ويستمر هذا العيش الضنك بحال لا متاع فيه بداية من عذاب القبر، ويوم القيامة يعاقب بالعمى[2].

وقال عز وجل في الذين يخالفون أمره: "**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابا أليم**"[3].

وقال: "...**ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**"[4].

الذين يعرفون تعاليم الله تعالى ثم يعرضون عنها فلا يمارسونها في واقعهم هؤلاء متشبهون بالمنافقين الذين يصدون عن أوامر الله "**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا**"[5]، يقول ابن كثير الآية عامة شاملة لكل من عدل عن الكتاب والسنة.

ومن يعرف ما أنزل الله من التعاليم وما بينه النبي صلى الله عليه وسلم ثم يعمل على الإعراض عن تطبيقها يخشى أن يكون مصيره مشابها لمصير الكافرين يوم القيامة حيث قال الله تعالى في أمرهم: "**إن الله لعن**

[1] - ابن كثير، المرجع السابق، ج3، ص1205.
[2] - ابن كثير،المرجع السابق، ص1205.
[3] - **سورة النور** الآية 287.
[4] - **سورة الأحزاب** الآية 36.
[5] - **سورة النساء** الآية 61.

الكافرين وأعد لهم سعيرا، خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا، يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا..."[1].

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[2].

ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم قوله: "ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل"[3].

ثانيا القدوة.

المقوم الثاني الذي يدفع الإنسان إلى العمل بالتعاليم الإلاهية هو القدوة الحسنة، النموذج الإنساني المثالي، وكان يتمثل أولا في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أول من امتثل لأوامر الله عز وجل، روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي قالت: "إن خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن"[4].

قال الله عز وجل آمرا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعمل بالقرآن الكريم: "**اتبع ما أوحي إليك من ربك**"[5].

قال سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للذين يحاجونه عن تصرفه: "...**إن أتبع إلا ما**

[1] - **سورة الأحزاب** الآية 64-65.

[2] - أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (1986/4)، رقم: (2564).

[3] - محمد علي الصابوني، **من كنوز السنة**. دون دار نشر، د ط، د ت، ص189.

[4] - سنن الدارمي 1448/1475. انظر يوسف القرضاوي، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**. مصر: دار الشروق، ط9، 2013، ص141.

[5] - **سورة الأنعام** الآية 106.

يوحى إليّ"[1].

وحث الله تبارك وتعالى المؤمنين أن يتأسوا برسول الله في أقواله وأفعاله وأحواله[2].

مما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قصص الأنبياء والمرسلين وحتى الصالحين من أتباعهم رجالا ونساء، فعلى سبيل المثال نذكر قوله تبارك وتعالى: "**وتلك حجتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم، ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحي وعيسى وإلياس كل من الصالحين، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين، ومن ءابائهم وذريتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، أولائك الذين ءاتيناهم الكتاب والحكم والنبوءة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها كافرين، أولائك الذين هدى الله فبهداهم أقتده، قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين**"[3].

وقال سبحانه: "**أولائك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم، وممن حملنا مع نوح، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا، إذ تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا**

[1] - **سورة الأحقاف** الآية 9.

[2] - ابن كثير ، المرجع السابق، ج3، ص1473.

[3] - **سورة الأنعام** الآية 83-90.

وبكيا"[1].

وقال أيضا: "**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**"[2].

هذه الآيات ذكرت لنا أسماء مرموقة من الأنبياء والصالحين على سبيل العموم، ولكن آيات أخرى ذكرت جوانب من حياتهم مفصلة لما فيها من أوجه الإقتداء والعبر من أقوامهم، فكما كانت مؤثرة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، "فبهداهم اقتده" فكذلك كان أتباع محمد متأثرين بتلك النماذج الشامخة، والسر في تعدد النماذج يعطي للنفس الإطمئنان بأن الهداية ليست طفرة ينفرد بها واحد من الناس، ومن ذلك يستحيل على المريدين أن يصلوا إلى الكمال الإنساني الذي به تصلح الإنسانية، ولذلك لم يربطنا القرآن الكريم بمحمد صلى الله عليه وسلم فقط وإنما ربطنا أيضا بإخوانه من الأنبياء والصالحين ممن سبقوه، ويدل على ذلك قول الله عز وجل: "**قد كانت لكم إسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تومنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، لقد كان لكم فيهم إسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد**"[3].

[1] - **سورة مريم** الآية 58.

[2] - **سورة آل عمران** الآية 33.

[3] - **سورة الممتحنة** الآية 4-6

وأوجه القدوة الجاذبة للاقتداء تبدو في القصص المفصلة لتلك النماذج البشرية النقية التي تقاوم الفساد ولا تتأثر به سلبا لأن الإنسان يحتاج النموذج الذي يعلمه كيف يتغلب على وساوس الشيطان ونوازع النفس وكيف يتعامل مع بني جلدته من البشر ومن مكونات الكون المسخرة بين يديه.

فالنماذج التي أتى بها القرآن تتميز بصفاء السيرة، وهي في غالبها شخصيات ذكرت في الكتاب المقدس وخير نموذج علمنا كيف نقتدي بهؤلاء الذين ذكرهم القرآن الكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم حيث جمع كل ما هو أقوم "**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**"[1].

[1] - **سورة الأحزاب** الآية 21.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:
عوامل تنمية الدين

المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني: إنشاء دور العبادة.

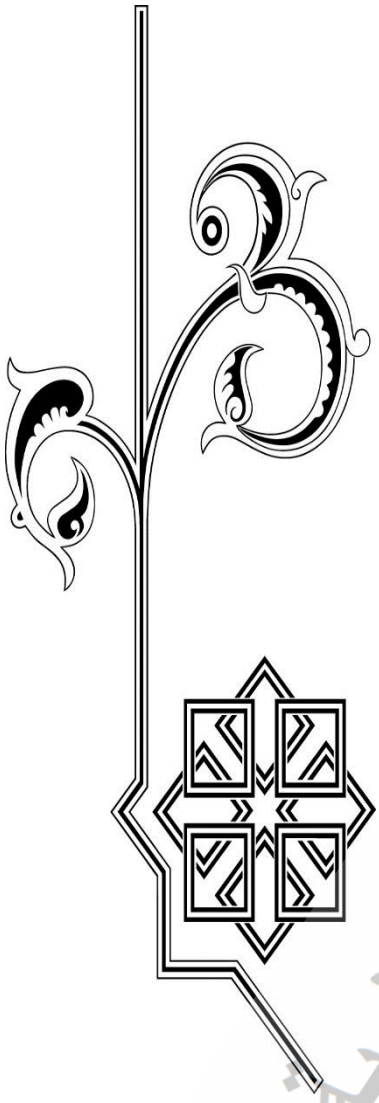

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: عوامل التنمية في الدين

المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تمهيد:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصطلح إسلامي لكن فحواه موجود في اليهودية والمسيحية أيضا، ودعوة الأقوام إلى الدين ما هي إلا أمرهم بأن يعتنقوا ما هو خير لهم في دنياهم ونهيهم عما كانوا عليه من سوء في المعتقد والسلوك ومن هنا أخذنا هذا المصطلح –الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- بشموليته.

المطلب الأول: في اليهودية.

لا يوجد في التوراة نصوص تأمر بإتباع موسى عليه السلام بالدعوة إلى الدين أو الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، وإنما كانت هذه الوظيفة لشخصيات محورية في التوراة وفي أسفار الأنبياء من غير الكتابات.

فكان موسى عليه السلام يدعو إلى الدين عن طريق القدوة الحسنة لعلاقته الكبيرة برب العالمين. فكان يدافع بقوة عن المظلومين، ويساعد الضعفاء[1].

وربما السر في عدم وجود هذه النصوص بحسب ما هو وارد – أن موسى عليه السلام – أو الأنبياء الذين جاؤوا من بعده لم يتمكنوا في دعوتهم لأقوامهم من إيجاد عناصر بشرية يعول عليها في حمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بها بين الناس. فنشاهد النبي مشغولا وحده بتقوية إيمان أتباعه من التلاميذ والعامة كلما انطفأت جذوة الإيمان في صدورهم فعنصر الإيمان لم يكن مستقرا وهذا يتبين لنا في

[1] - **الخروج** 2:11-15.

عدة مواضع من التوراة وحتى في أسفار الأنبياء[1].

ومع ذلك لا يوجد ما يشير إلى أن شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– من غير الأشخاص المحوريين– كان يقوم بها بعض الناس المحترمين كالحمو الذي قدم نصيحته لموسى بخصوص قضائه للناس حين كان موسى يمارس القضاء لوحده مع الجموع الكثيرة وذلك عندما قال له:"... ولكن اختر من بين الشعب رجالا مقتدرين خائفين الله، أمناء يبغضون الرشوة، نقيمهم عليهم رؤساء لفئات الألوف والمئات والخماسين والعشرات، فيقضون للشعب في الدعاوى الصغيرة في كل حين، أما القضايا المستعصية فيرفعونها إليك..." فاستمع موسى إلى نصيحة حموه، ونفذ كل ما قاله له فكان موسى قدوة في الاستماع إلى النصيحة[2].

غير أن القرآن الكريم يبين لنا أن شريعة النصيحة – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- كان فرضا على أفراد مجتمع بني إسرائيل ودليله قول الله تعالى: "**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**"[3]

ومما تجدر الإشارة إليه أن بني إسرائيل من اليهود، قد بيّن الإنجيل – في عدة مواضع- كيف كانوا يستنكرون بعض تصرفات السيد المسيح التي كانت تخالف ما فهموه من الشريعة، وهذا يعتبر نهيا عن المنكر في تصوّرهم

[1] - انظر على سبيل المثال قصة تذمرات بني إسرائيل المتكررة على سيدنا موسى عند خروجهم من مصر بمعجزة عظيمة رأوها بأعينهم؛ وانظر **الخروج** 10:14-31، **الخروج** 1:16-16، **الخروج** 1:17-7.

[2] - **الخروج** 18:21-24.

[3] - **سورة المائدة** الآية 78-79.

لا يهمنا في بحثنا هذا باعث القوم في الاستنكار وهل هو صواب أم خطأ فذلك مجال آخر، وإنما يهمنا أن الاستنكار على ما يتصور باطلا كان موجودا ندر أم كثر في واقع بني إسرائيل.

فلقد أنكروا عليه تبشيره للمريض بأن ذنوبه قد غفرت وقالوا بأن الذي يغفر الذنوب لا يغفرها إلا الله تعالى، ولا يمكن أن يغفرها ابن الإنسان بحال. وأنكروا عليه جلوسه وأكله مع المجرمين وأنكروا عليه وعلى تلاميذه عدم الصيام، وإنكارهم على السيد المسيح لما سمح لهم بقطف السنابل في يوم السبت، لقد أجاب السيد المسيح الجماعات الدينية من أتباع موسى عليه السلام، وأخبرهم عن حكمة تصرفاته بقوله: "ولكني قلت ذلك لتعلموا أن لابن الإنسان على الأرض سلطة غفران الخطايا" فتوضحه النتيجة القائلة:" فذهلوا جميعا وعظموا الله"[1].

المطلب الثاني: في المسيحية.

في المسيحية نصوص يكلف فيها السيد المسيح تلاميذه بأن ينشروا رسالته في العالم وذلك في مناجاته عليه السلام ربه قائلا:" وكما أرسلتني أنت إلى العالم، أرسلتهم أنا أيضا إليه..."[2].

وفي الإصحاح العاشر من إنجيل متّى يكلف المسيح تلاميذه بالقضاء على الشر وينشروا الخير في بني إسرائيل:" هؤلاء الإثنا عشر رسولا، أرسلهم يسوع وفد أوصاهم قائلا:" لا تسلكوا طريقا إلى الأمم، ولا تدخلوا مدينة سامرية، بل اذهبوا بالأحرى إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل وفيما أنتم ذاهبون، بشروا

[1] - ولمعرفة تفاصيل الحوار انظر **إنجيل مرقس** 2:1-20.

[2] - **يوحنا** 18:17؛ وانظر **إنجيل مرقس** 10:13 و**مرقس** 15:16.

قائلين، قد اقترب ملكوت السماوات..... وعندما تدخلون بيتا، ألقوا السلام عليه، فإذا كان ذلك البيت مستحقا فعلا. فليحل سلامكم عليه، وإن لم يكن مستحقا، فليرجع سلامكم لكم، وإن كان أحد لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم في بيت أو مدينة، فاخرجوا من هناك..."[1]

بغض النظر عما يظهر من تناقض بين النصين السابقين من متى ويوحنا في الإطار المكاني للدعوة أو التبشير فإن للمسيحيين تأويلهم، لكن الشاهد المشترك هو مجرد الدعوة.

وفي الإصحاح العاشر أيضا وردنا ما يبين أن السيد المسيح وهو يعمل على تقوية إيمان الدعاة ينصحهم بأن يتوكلوا على الله تعالى، ويأمرهم بالشجاعة أمام المعتدين، وأن يقولوا ويجهروا بالدعوة ولا يخافوا "... ما لأقوله لكم في الظلام، قولوه في النور، وما تسمعونه همسا نادوا به في السطوح، لا تخافوا الذين يقتلون الجسد..."[2].

و مما يدل أيضا على أن السيد المسيح أمر أتباعه القادرين بأن يأخذوا بطريقته في الدعوة هو ما ورد في إنجيل مرقس: " وفيما كان يسوع يمشي على شاطئ بحيرة الجليل، رأى سمعان وأخاه أندراوس يلقيان الشبكة في البحيرة، فقد كانا صيادين، فقال لهما يسوع: "هيا اتّبعاني، فأجعلكما صيادين للناس ! فتركا شباكهما وتبعاه..."[3].

كما ورد في إنجيل مرقس أن تلاميذ السيد المسيح كانوا مكلفين بدعوة الناس إلى التوبة من ذنوبهم ومعاصيهم "... فانطلقوا يبشرون داعين إلى التوبة، وطردوا شياطين كثيرة..."[4].

[1] - متى 10:5-14.
[2] - متى 10:27-28.
[3] - مرقس 1:16-18.
[4] - مرقس 6:12-13.

كان السيد المسيح عندما يسيح في الأرض لينشر كلمة الله آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر يصحب معه تلاميذه وبعض محبيه –وتلاميذه مكلفون بالدعوة أيضا كما أكدناه آنفا– وبينما هو كذلك حين اجتمعت جموع الناس ليسمعوه، خاطبهم بمثل الزارع الذي يخرج إلى حقله ليزرع البذور ما يقع في غير موضعه فلا ينبت، وما نبت منه تلاشى[1].

إن مفسري الكتاب المقدس علقوا على تفسير السيد المسيح للمثل بعد أن سأله تلاميذه، ليبينوا مدى تجاوب الناس عندما يسمعون كلمة الله من حيث التأثير، فمنهم من يسمع ويتأثر ويعمل ومنهم من يسمع ويتأثر ولا يعمل، ومنهم من لا يسمع إطلاقا[2].

وبما أن التلاميذ قد سألوا معلمهم عن المغزى من المثل فقال: " لكم قد أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله"، والتلاميذ معنيون أيضا بالعمل الذي يقوم به السيد المسيح فيستنتج في المقابل أن الكلمة الخيرة يجب أن تقال ولابد أن تذاع فلا تدري أين يكون نفعها والذي يؤكد هذا قول السيد المسيح: "ولا أحد يشعل مصباحا ثم يغطيه بوعاء أو يضعه تحت السرير، بل يرفعه على منارة ليرى الداخلون النور"[3]

فلا يمكن لصاحب علم يمكن أن ينفع به الإنسانية فيخفيه ويكتمه، فإذا أراد أن ينفع نفسه ومجتمعه والعالم فعليه أن ينشرها خصوصا إذا كان معروفا أو إنكار منكر"[4].

[1] - **لوقا** 8:4-15.

[2] - **التفسير التطبيقي** المرجع السابق، ص 2093.

[3] - **لوقا** 8:16.

[4] - دون فليمنج، المرجع السابق، ص594، الفقرة 5.

هذا، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في المسيحية موجود في إطار البشارة بالإنجيل والدعوة إلى كلمة الله عموما، وكلمة الله لا يمكن إلا أن تكون أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، والدين بغير نصيحة ولا دعوة يضيع بعد مرور الزمن.

المطلب الثالث: في الإسلام.

المعروف مفهومه يشمل كل أنواع البرّ والخير، تعارف عليه الناس فصار معروفا، والمنكر هو كل ما تنكره الفطرة السليمة من سوء قول أو عمل، والإسلام ركز على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسنة الشريفة.

فمن القرآن قال الله تعالى: "**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**..."[1].

ذكرت هذه الآية ولاية المؤمنين بعضهم لبعض، أي أنهم يتصفون بصفة التناصر والتعاضد وهذا لا يكون إلا بتحقيق الأخوة والمحبة ويفسر هذه الآية ما ورد في الصحيح: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسّهر"[2].

وإذا لاحظنا مشتقات الولاية ومعانيها[3]، نجدها تجتمع في معنى روحي عام وهو الشعور المسلم بمسؤوليته على أخيه المسلم، وكأن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا يفعل ذلك إلا انطلاقا من الشعور بالمسؤولية.

[1] - **سورة التوبة** الآية71.

[2] - ابن كثير، المرجع السابق، ج2، ص864.

[3] - محمد بن أبو بكر الرازي، **مختار الصحاح**. المرجع السابق، (مادة: ولي) ص463.

ولفظة الأمر هل تعني الإلزام بالقوة أم هي مجرد دعوة وعرض، من شاء اِلتزمها ومن شاء رفضها؟.

الأمر بالمعروف يمكن أن يكون إلزاما أحيانا، ويكون مجرد عرض ودعوة، فإذا كان إلزاما، فهو مقبول عقلا لأن اللفظة "يأمرون" تدل عليه، لكن الغموض يكون في معنى مجرد العرض دون إكراه وفي الوقت ذاته هو أمر.

إن الأمر بالمعروف في الإسلام عندما يكون على سبيل العرض فقط لا يعني أكثر من حرص المسلم على أخيه أن ينقذه من الضلالة، وإدخاله في رحاب السعادة الأبدية، كما يحرص الوالد على ولده فيأمره وينهاه، حيث لا يتصور أن يضن الوالد على ولده بشيء من الخير، بل يؤثره على نفسه فيقدّمه إلى الحياة، وإن مات، ويقدمه إلى المتعة وإن حرمها، لذلك كان المعروف بالأمر كأحسن وسيلة تعبير عن الحرص والإيثار، وحب الخير للآخرين، وإلا فإن الإسلام يقوم على قاعدة: "لا إكراه في الدين".

قال الله تعالى: "**كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**..."[1].

لما توفّرت روح الأخوة والمودة والرحمة نجح مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أضحى صفة لأتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فلو فرضنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تمّ من مبعث الشقاق والكراهية والقسوة لما كان معروف وحلّ مكانه المنكر والشر، واستحال للمبدأ أن يكون صفة للفاعل إلاّ إذا توالى الفعل ودام، ولا يتسنّى ذلك في وسط عنيف، فمن لوازم حياة مبدأ الأمر والنهي أن يكون بالدفع الحسن، والحكمة والموعظة الحسنة.

[1] - **سورة آل عمران** الآية 110.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس خاصا بالمؤمنين فيما بينهم، فهو واجب أيضا على المسلمين اتجاه إخوانهم في الإنسانية[1].

فالدّعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده هي أمر بمعروف، والتنديد بالإلحاد والشرك هو نهي عن المنكر، ومطلوب من المسلم أيضا أن يشجع غير المسلم على الخير أو أن يدفعه إليه كنصرة المظلوم، أو إطعام الجائع، أو إجراء لحفظ البيئة وغير ذلك، وأن يندد بأي منكر يضرّ بالإنسانية.

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام أوجب على المسلمين العمل به، ولكي لا يهمل من قبل عمومهم، أمر بأن تخصّص فرقة منهم من أصحاب الدراية والعلم للقيام بهذا الواجب وفي السياسة الشرعية يصطلح عليها بأهل الحل والعقد "يمثلون الأمّة وينوبون عنها ويراقبون سياستها ونظم حكمها"[2].

والإسلام أشار من خلال ما رواه البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "الدّين النّصيحة"[3].

أنه إذا غابت النصيحة التّي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاب الدين، فالدين لا يكون له أثر في دنيا النّاس إلا عن طريق التناصح والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر يقول عبد المجيد النجار: "...يقوم الأفراد والمجموعات في نطاق الأمّة مقام الحارس الاجتماعي الذي يرصد السيرورة الحضارية للمجتمع، فإذا ما رأى مبدأ

[1] - ابن كثير، المرجع السابق، ج1، ص354.

[2] - عبد الفتاح عفيف طبارة، **روح الدين الإسلامي**. بيروت لبنان: دار العلم للملايين، ط27، 1988م، ص 304.

[3] - ابن رجب الحنبلي البغدادي، المرجع السابق، ص78.

ممّا تعارف عليه الناس قد أهمل بغفلة أو فتور نبّه إليه، وحشد من أجل عودته في الأفهام والأعمال، وكذلك إذا ما رأى مظهرا من المنكرات الخارجة عن المألوف الذي أقره المجتمع بعد التشاور نبه إليه، وحشد من أجل إزالته..."[1].

ويقول أبو حامد الغزالي: "... إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدّين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمّت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتّسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلاّ يوم التناد"[2].

الدين يشتدّ عوده، ويقوى نماؤه بالأثر الذي يخلفه القيام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى مبينا عوامل استمرار التمكين في الأرض: "**ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**"[3].

المعروف والمنكر أمران معروفان في الأديان السماوية، فالمعروف الذي أمرت به التوراة هو المعروف الذي أمر به الإنجيل والقرآن، والمنكر الذي نهت عنه التوراة هو الذي نهى عنه الإنجيل والقرآن، على ذلك دلت الآية الكريمة: "**الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث**"[4].

---

[1] - عبد المجيد عمر النجار، **فقه التحضر الإسلامي**. بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م، ص 62

[2] - أحمد الشرباصي، **موسوعة أخلاق القرآن**. بيروت لبنان: دار رائد العربي، ط1، ج3، 1401هـ 1981م، ص 211.

[3] - **سورة الحج** الآية 40-41.

[4] - **سورة الأعراف** الآية 157.

لم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا عند المسلمين فقط وإنما كان واجبا في الديانتين السابقتين أيضا، ولذلك عاقب المولى عز وجل مجموعة من بني إسرائيل بسبب إهمالهم وتقصيرهم قال سبحانه: "... **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**"[1].

نشير إلى أن الإسلام دين يقوم على العدل والإنصاف فهو لا يتهم كل بني إسرائيل بالتقصير وإنما بعضهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي بعثه الله في أمّة قبلي إلا كان له من أمته حواريّون وأصحاب يأخذون بسنّته ويقتدون بأمره"[2].

ولخطورة إهمال هذا المبدأ على الدين والمجتمع روى الترمذي لحذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفسي لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[3].

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حق الطريق ففي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إيّاكم والجلوس في الطرقات، فقالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بدّ، نتحدّث فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، فقالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر".

[1] - **سورة المائدة** الآية 78-79.
[2] - أخرجه مسلم في الصحيح (69/1)وأحمد في المسند (461/1)والبخاري في التاريخ (1/368)
[3] - صبحي الصالح، **منهل الواردين**. المرجع السابق، ص 180.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: "يا أيّها النّاس، إنّكم تقرؤون هذه الآية: "يا أيّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم". وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه"[1].

وعلى وجوبية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حذر الإسلام "الآمر الناهي" من مخالفة أفعالهم لأقوالهم فقال تعالى: "**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**"[2].

يقول ابن كثير: "والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالم... فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف... قال سعيد بن جبير: "لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر"[3].

وعرض النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا من مشاهد يوم القيامة فقال: "يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه"[4].

[1] - المرجع نفسه، ص 183.
[2] - **سورة البقرة** الآية 44.
[3] - ابن كثير، ج1، المرجع السابق، ص86.
[4] - صبحي الصالح، المرجع السابق، ص184.

بناء على هذا الحديث وما سبقه من تفسير الآية يتبين المقصود بالذم هو من يأمر وينهى رياءً وإظهارا للمكانة العلمية بأحكام الشريعة تفاخرا وتكابرا أمام الناس. فهذا الرجل ليس غرضه الغيرة على الدين لعله يريد أن ينقذ من الناس ما يمكن أن ينقذه، فلا يريد لابنه أو أخيه أن يكون مثله وإنما خير منه، فرب مستمع أوعى من مبلغ.

ومرض الرياء والتباهي بالعلم هو الذي كرّس السيد المسيح حياته في الإنكار عليه حينما كان يحاور علماء الشريعة من الكتبة والفرّيسيين —وفي واقعنا المعيش كم من المسلمين حينما يجتمعون للحديث عن الدين كلهم يحسنون القول وهم له مخالفون–.

يقول محمد الغزالي: "وواضح أن جهاز الدعوة والأمر والنهي، وهو الخاصة الأولى للرسالة الخاتمة، ولعله سر خلودها إلى آخر الدهر، فهو يجدد كيانها ويصون حقائقها، ويغني عن رسالات أخرى تحلّ محلها"[1].

المطلب الرابع: خلاصة وأفاق.

التوراة لا يوجد فيها نصوص تأمر الأتباع بأن يأمر بعضهم بعضا بالمعروف وينهون عن المنكر ولكن يوجد ما يشير ولكنه نادر، ويشير الإنجيل بقوة إلى مسألة انكار المنكر بقوة، ولكن القرآن الكريم يبين بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على بني إسرائيل وأن بعضهم لعن بسبب ترك هذه الفريضة، والدين في حقيقة الأمر لا تقوم له قائمة إذا غاب عن المجتمع هذه الشعيرة. بدءا بالأسرة بين الزوجين ثم بين الزوجين وأولادهما، ثم بين الجيران ثم بين أفراد المجتمع، أليست زكاة العلم انفاقه؟ فإذا لم ينفق نقص وتلاشى.

[1] - محمد الغزالي، **علل وأدوية**. الجزائر: دار المعرفة، د ط، د ت، ص 174-175.

والدين تذهب نصوصه وتنسى ثم تحرف ويبدأ ذلك بالترك والإهمال؛ والترك والإهمال –بحكم طبيعة الإنسان ذات النوازع الشديدة نحو إشباع الذات بالشهوات التي لا يحد منها إلا المرض والموت وغيرهما، والميل إلى الكسل والدعة– يكرسه السكوت عن المعروف أمرا والمنكر نهيا "**فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت السموات والأرض**"[1].

والمسيحية نصوصها تعطي دلالة على أن المسيح كلف تلاميذه بتعليم الناس وأن يقتفوا أثره؛ ونلاحظ في الإسلام كلف جميع المؤمنين بأن يفشوا بينهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحتى يصير خصيصة من خصائص المجتمع، وكلف المؤمنين بأن يدعوا غيرهم من الأمم إلى عقيدة التوحيد ومكافحة الشرك والكفر إذ هي على رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبأن يتعاونوا مع غيرهم في قضايا الفضول.

ونلاحظ أيضا أن القرآن والسنة ربطتا مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجزاء الدنيوي والأخروي، والإسلام قد مد ذلك بشروط وآداب، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن بعض المنظمات الحقوقية قد تعترض على الأديان في ضبطها لبعض الحريات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلتان من وسائل الضبط.

[1] - سورة الحج الآية 40

المبحث الثاني: إنشاء دور العبادة.

المطلب الأول: في اليهودية.

إن التوراة عندما تحدثنا عن تاريخ بني إسرائيل مد كانت نواة في صلب سيدنا إبراهيم عليه السلام اليهود يعتبرون إبراهيم عليه السلام أبا اليهودية وبالتالي في نظرهم هو أول مؤسس لها ومن تعاليمه انه لا تجوز عبادة الأصنام[1] لم تعرف استقرار في حياتها مثل ما عرفته فقط في زمن داود وسليمان عليهما السلام ولذلك نجد في مسالة بناء المعابد إنها أخذت أشكالا مختلفة وتطورت حسب ظروف الحل والترحال فسيدنا إبراهيم عندما غادر ارض تولده في أور الكلادينين (بالعراق الحالية)الى حاران (في الحدود بين تركيا وسوريا) ثم دخل الى ارض كنعان (فلسطين) وهنالك اهتم سيدنا إبراهيم ببناء المذابح لله للصلاة والعبادة وليتذكر وعد الله بان يباركه فهو لم يكن يستطيع أن يحيا روحيا بدون التجديد الدائم لمحبته وولائه لله تعالى وساعدت فرص بناء المذابح إبراهيم (كان اسمه إبرام ومعناه الأب الرفيع ثم أصبح اسمه إبراهيم ومعناه أب لجمهور[2] على أن يذكر إن الله هو محور حياته وبدون العبادة من الصعب أن نذكر ما يريده الله ومن الصعب أن نطيعه[3].

إن كلام المفسرين يبين لنا دور المذابح التي ما هي إلا عبارة عن معابد أو جزء منها في تنمية الدين والتدين ففيها يتجدد الإيمان عن طريق التذكير والعبادة وذلك ما يحفز على الطاعات أكثر.

---

[1] - ج . جابر، المرجع السابق، ص 100.

[2] - **سفر التكوين** 5:17 و**التفسير التطبيقي** ص 44.

[3] - **التفسير التطبيقي** ص 34.

ورد في سفر التكوين القول: (...و ظهر الرب لإبرام وقال له : سأعطي هذه الأرض لذريتك . فبنى إبرام هناك مذبحا للرب الذي ظهر له وانتقل من هناك الى الجبل شرقي بيت إيل غربا وعاي شرقا وشيد هناك مذبحا للرب ودعا باسمه ثم تابع إبرام ارتحاله نحو الجنوب)[1].

وهكذا تتحدث التوراة عن سيدنا إسحاق عليه السلام انه بنى لله مذبحا في بئر سبع (في فلسطين)، (فشيد إسحاق هناك مذبحا ودعا باسم الرب)[2].

وتتحدث التوراة أيضا عن سيدنا يعقوب عليه السلام بأنه شيد مذبحا في مدينة شكيم (وهي نابلس الحالية في فلسطين)، (... وشيد هناك مذبحا دعاه إيل ومعناه إلاه إسرائيل)[3].

ويتحدث سفر الخروج أيضا عن موسى عليه السلام انه بنى مذبحا خالصا لله تعالى: (وشيد موسى مذبحا للرب) دعاه يهوه نسي (ومعناه الرب رايتي أو علي)[4] وعلى جبل سيناء شيد مذبحا أخر[5].

وأمر الرب مرة أخرى موسي ليأمر أتباعه بدورهم أن يقيموا بيتا لله (مسكن خيمة اجتماع) فيه مرافق تعبدية كثيرة[6] وهكذا صارت مسالة بناء المعابد حتى لو اختلفت أشكالها ومسمياتها أمرا متوارثا بين

المؤمنين والغرض منها يشير الى ذكر الله والاجتماع عليه وهذا ما يستشف من بعض النصوص كما ورد في سفر يشوع (... وسمى بنو راوبين وبنو جاد المذبح الشاهد لأنهم قالوا إنه شاهد بيننا إن الرب هو إلاهنا)[1].

[1] - **التكوين** 12:7-9.
[2] - **التكوين** 26:25.
[3] - **التكوين** 33:20.
[4] - **الخروج** 17:15.
[5] - **الخروج** 24:4.
[6] - انظر **الخروج من الإصحاح** 25 الى أخر السطر.

جاء في معجم اللاهوت: المذبح هو في جميع الديانات مركز العبادات المتعلقة بالأضاحي ... وهو علامة الحضور الإلاهي[2].

يقول بالمعجم أيضا بان المذبح قبل أن يكون موضعا لتقدمة الأضاحي كان نصبا تذكاريا لتسجيل أنعام الله ... أما بالنسبة الى الأجيال التي أعقبت الآباء فان موضع العبادة أصبح هو الغالب ... فكان كثيرا ما يصبح مزارا للحجاج[3].

ومن خلال ما ذكره المعجم يفهم أن النصب التذكاري كان لغاية التعبد ثم عندما أطلق عليه اسم المذبح كان ذلك بسبب تقديم الأضاحي وهو لغاية التعبد أيضا ثم عندما أطلق عليه المعبد ربما لكثرة الدعاء والسجود والركوع والذي يدفع الى هذا التحليل هو ما ذكره القران الكريم بخصوص الكعبة الشريفة التي سماها البيت الحرام "**و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم** "[4].

و في هاتين الآيتين بيان بان العبادة كانت الغاية من البيت بداية فيطاف حوله ويصلى اتجاهه[5].

وبالنسبة للذبائح والأضاحي قال الله عز وجل : "**و البدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوافه فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك**

[1] - **يشوع** 34:22.

[2] - بولس باسيم، المرجع السابق، ص 721.

[3] - المرجع نفسه، ص 721.

[4] - **سورة البقرة** الآية125.

[5] - محمود البرشة وفاء كفتارو، المرجع السابق، ص39.

سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرنا لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين"[1].

وفي هذه الآية توضيح من الله عز وجل أن الأضاحي هي إحدى المناسك المتعلقة ببيت عبادة لله تعالى، ومن هنا يمكن القول أن المعابد لم تكن نتيجة تطور وإن التطور كان في التسميات بحسب ما يركز عليه في العبادة فيطلق الجزء الأول على الكل وبإضافة بعض المرافق كما حصل في تشييد خيمة الاجتماع وفيما بعد مع الهيكل والغرض من بناء سليمان عليه السلام للهيكل هو العبادة والذي يدل عليه هو ما ورد في صلاته عليه السلام حينما قال : (... والآن أيها الرب اله إسرائيل ليتحقق وعدك هذا الذي قطعته لعبدك داود لأنه هل يسكن الله حقا مع الإنسان على الأرض ؟ إن كانت السماوات بل السماوات العلى لا تسعك فكم بالأحرى هذا الهيكل الذي بنيت فأصغ إلى ابتهال عبدك وإلى تضرعه أيها الرب إلاهي... هذا الموضع الذي قلت عنه أنك تضع اسمك فيه لتستمع إلى الصلاة التي يتضرع بها عبدك في هذا الموضع...)[2].

يقول المفسرون: كان الهيكل مكانا يستطيع الشعب أن يعبد الله فيه ولم يكن الله في حاجة الى هيكل ليسكن فيه[3].

يمكن القول أن الإنسان بإمكانه أن يعبد الله في أي مكان ولو اعتزل الناس جميعا لكن الله أمر عباده بإنشاء المعابد ليجتمع فيها المؤمنون لتنمية إيمانهم وما يتبعه من التعلم[1].

[1] - **سورة الحج** الآية 36 – 37.

[2] - **أخبار الأيام الثاني** 6/17-21.

[3] - **التفسير التطبيقي**. الرجع السابق، ص ،922 في **تفسير** 6:18.

المطلب الثاني: في المسيحية.

المسيحية هي حلقة متصلة بشريعة موسى عليه السلام، ولذلك ليس غريبا أن تجد قلب السيد المسيح (عيسى عليه السلام) معلقا بالمعبد بغية التعبد والاستفادة من علماء الشريعة الذين يفقهون التوراة، قال الله تعالى: " **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل**"[2].

وذلك منذ كان صبيا، ويبدو أنه لم يكن على عادة الصبيان يلعب ويلهو كما يلعبون ويلهون، ولقد بين إنجيل لوقا عن السيد المسيح بما قصه علينا: " وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم كالعادة في العيد، وبعد انتهاء أيام العيد، رجعا وبقي الصبي يسوع في أورشليم وهما لا يعلمان ولكنهما إذ ظناه بين الرفاق، سارا مسيرة يوم واحد ثم أخذا يبحثان عنه بين الأقارب والمعارف، ولما لم يجداه، رجعا إلى أورشليم يبحثان عنه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل، جالسا وسط المعلمين يستمع إليهم، ويطرح عليهم الأسئلة..."[3].

وأفضل ما يبين أن المسيحيين كانوا متعلقين بالمعابد –سواء الأوائل منهم الذين عاصروا المسيح أو الذين جاؤوا من بعده– هو اتخاذهم لها –من أجل العبادة الجماعية– في صور مختلفة كالمقابر، ومنازل الإخوان، لأنهم كانوا مضطهدين من قبل السلطان الروماني وبعض الجماعات اليهودية، ولكن ما إن أصبحت المسيحية دين الإمبراطورية في القرن الرابع، سارعت في تشييد الكنائس والأديرة إلى اليوم[4].

---

[1] - المرجع نفسه، ص 910. (في الموضوعات الرئيسية: الهيكل)

[2] - **سورة آل عمران** الآية 48.

[3] - **لوقا** 46:3.

[4] - انظر ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**. ج6، ط1، بيروت لبنان: مؤسسة التاريخ العربي، 1422هـ 2001م، ص 2893.

ومحلات العبادة في المسيحية يسود بعضها شيء من الظلام وينتشر فيها الهدوء والسكينة، مما يساعد على الشعور بالانفصال عن الحياة المادية، وهي أيضا ملتقى المؤمنين[1].

وتتمثل وظائف الكنيسة في العبادة والوعظ والتعليم؛ ورجال الدين هم الذين يقومون بقيادة المسيحيين وخدمتهم في ممارسة الطقوس وغيرها[2].

المطلب الثالث: في الإسلام.

للمسجد في الإسلام قيمة كبيرة، وذلك لأهمية دوره الذي يحتاجه الإنسان في حياته الروحية ليقيم بها حياته المادية ويكملها على أساس الدين.

المسجد هو محطة مادية بما تشمل عليه من جدران وسقف وأبواب ومرافق تنتقل برائدها ليناجي ربه بعيدا عن شغل الدنيا ولهوها فيعود منها طاهر العقل والقلب والروح فإذا به كالغيث أينما وقع نفع، فإذا كان في الأسرة نفعها بدينه وإذا كان في معمل أو متجر نفع بدينه وفي أي شأن كان نفع، والدين بهذا يكون فاعلا، وهو المقصود بمساهمة المسجد في تنمية الدين وذلك بالأثر الديني الذي يبذره المسجد في المجتمع.

هذا هو الدور الذي مارسته أماكن العبادة من قبل، ومن أجل ذلك طلب الإسلام من أتباعه أن يحافظوا على أماكن العبادة لغيرهم من أصحاب الديانات، ونهاهم عن الاعتداء عليها أو تحويلها إلى مسجد للمسلمين،

[1] - انظر حسن مرضى حسن، ومجلس من الأكاديميين، **موسوعة أوكسفورد العربية**. ط1، بيروت لبنان: دار الفكر، 1419هـ 1999م، ص 196-197.

[2] - انظر **الموسوعة العربية العالمية**. مج20، ط2، الرياض السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة، 1419هـ 1999م، ص119-120.

وهدمها من علامات الفساد في الأرض قال الله عز وجل: "...**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا...**"[1].

والسعي في بناء المساجد كان شأن الأنبياء من قبل، ولأهمية ذلك، فأول خطوة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم عندما وصل المدينة هي بناء المسجد، فورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمر وبنو عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة... قال أنس: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم ثم إنه أمر بالمسجد..."[2].

وشجع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على المساهمة في بناء المساجد فقال في أحاديثه: "من بنى مسجدا لله تعالى يبتغي به وجه الله بنى الله له بيت في الجنة"[3].

واشترط الله سبحانه وتعالى فيمن يساهم في عمارة المساجد أن يكونوا المؤمنون وأصحاب الخشية، فقال تعالى: "**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولائك أن يكونوا من المهتدين**"[4].

في الآية إشارة إلى معنيين في العمارة، عمارة حسية ، وهي بناء المساجد وإصلاحها يؤديه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من بنى مسجدا لله..."، وعمارة معنوية وهي زيارتها واعتيادها والصلاة فيها والقيام بالذكر فيها

[1] - **سورة الحج** الآية 40.

[2] - **صحيح مسلم**. ج3، (د ط)، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، (د ت)، ص 214.

[3] - صحيح مسلم « كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ « بَاب فَضْلِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ . رقم الحديث 833.

[4] - **سورة التوبة** الآية 18.

ويشهد عليه قوله تعالى: "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه". قال أبو حيان: "أمر المؤمنين بعمارة المساجد يتناول عمارتها، ورم ما تهدم منها، وتنظيفها، وتعظيمها، واعتيادها للعبادة والذكر —ومن الذكر دراسة العلم– وصونها عما لم تبن له من الخوض في أحوال الدنيا"[1].

قال الله عز وجل: "**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال**"[2]. ذكر الله عز وجل أن بيوت الله منها الصوامع والبيع كلها جعلت للتعاون فيها على ذكر الله وتسبيحه.

قال صاحب التفسير الكبير: "بعض المفسرين ذكروا بأن البيوت التي أذن الله أن ترفع هي عامة تحكي عن جميع الأنبياء الذين خلوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم منها مساجد المسلمين وهو قول أبي مسلم[3].

إلى جانب العمارة المادية للمسجد بأن يرفع، والعمارة المعنوية التي من أجلها تبنى المساجد وهي ذكر الله ومنه تلاوة القرآن، وتسبيحه ومنه الصلاة في كل وقت يتاح، ينضم إلى هذا قول الله تعالى: "... **لمسجد أسّس على التقوى من أول يوم أحقّ أن تقوم فيه، فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحب المطّهرين**"[4].

هنا إشارة إلى أن المساجد يجب أن تبنى لله خالصة، وإشارة أخرى إلى الهدف المقصود من عمارتها وهو التطهر المعنوي بتخلية النفس من الذنوب وسوء الأخلاق، وتحليتها بالإيمان والعلم الدافع إلى العمل الصالح، وهذا عكس

[1] - محمد علي الصابوني، **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**. ج1، ط3، دمشق سوريا: مكتبة الغزالي، 1400هـ 1980م، ص572-573.
[2] - **سورة النور** الآية 36.
[3] - محمد بن أبي بكر الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج24، مج12، ط3، لبنان: دار الفكر، 1405هـ 1985م، ص 2.
[4] - سورة التوبة الآية 108.

ما تم تأسيسه على غير تقوى وإنما بقصد الفتنة والتفريق بين المسلمين إذ لا يمكن أن تحصل في مثل هذه المساجد الطاهرة المعنوية أبدا.[جاز أن يكون المقصود من عبارة "يحبون أن يتطهروا" مجرد الوصف لرواد المسجد][1].

ومن أجل أن يفد المسلمون على المساجد ويقبلوا عليها بتنافس ذكر الإسلام لذلك فضائل كثيرة، فكتب السنة والفقه زاخرة بها، فأكد على فضل صلاة الجماعة في المسجد، والإقبال على المسجد متوضئا وفضل من جلس ليستمع لموعظة أو ذكر وفضل من بكر لصلاة الجمعة ومن ظفر بالصف الأول خلف الإمام، بالإضافة إلى من ساهم في بنائها وتنظيفها وإزاحة المكاره عنها، والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها مثلين فقط:

ففي فضل الجماعة والسعي إليها على وضوء قال النبي صلى الله عليه وسلم: "صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخطو خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه ما لم يحدث تقول: اللهم صلي عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة" متفق عليه[2].

فصلاة الجماعة في المسجد يزيل الفوارق الاجتماعية من غني وفقير ومن جاهل وعالم فالمسلم يقف إلى جنب أخيه المسلم في تواضع والإدامة عليها وعلى المكث في المسجد يحقق التعارف والتعاون والإخاء والمحبة والتناصر هذه ثمرة الإقبال على المسجد.

[1] - ابن كثير، المرجع السابق، ج3، ص881-882.

[2] - صحيح البخاري 4375 /**4717** صحيح مسلم **650/1042**

وفي فضل من اغتسل يوم الجمعة وأتى للصلاة وسماع الخطبة قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم: "من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام"[1].

كما أن الإسلام أوجب صيانة المسجد من كل ما ينفر من الأقذار والروائح الكريهة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي –الذي بال في المسجد– من أجل أن يعلمه: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله وقراءة القرآن" وقال صلى الله عليه وسلم: "من أكل البصل والثوم والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"[2].

ونهى أيضا عن رفع الأصوات في المسجد وكل ما يحدث ذلك من شراء أو بيع أو نشدان ضالة وغير ذلك[3].

بهذه الضوابط والإرشادات التي تخص المسجد، تجعل منه مكانا مقدسا طاهرا ومهابا، تنزل فيه السكينة والهدوء مما يوفر للمسلم حالة الخشوع والطمأنينة وتزكية النفس وشحن القلب بالإيمان وإرادة العمل الصالح إذا التقى بالصالحين والعارفين.

وجه التنمية في الدين: المسجد له أدوار فصلها تركي رابح، من دور تربوي واجتماعي وثقافي وتعليمي وسياسي واقتصادي، ودوره يكمن في التوجيه الديني لتلك المجالات مما يعني تفعيل الدين فتفعيل الدين في كل مناحي الحياة هو النماء للدين نفسه[1].

[1] - السيد سابق، **فقه السنة**. ج1، (د ط)، بيروت لبنان: دار الفكر، (د ت)، ص254.
[2] - صحيح البخاري 853 وصحيح مسلم561.
[3] - انظر ابن كثير، المرجع السابق، ج3، ص 1314.

المطلب الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق.

المساجد والمعابد هي من عوامل تنمية الدين، ونجد الأديان السماوية الكبرى تحدثت عنها إما عن بنائها أو عمارتها بالوظيفة التي يجب أن يقوم بها المؤمنون، من صلاة وتعليم.

ويلاحظ من خلال النصوص المقدسة، أن مراكز العبادة أمر معهود به منذ الخليقة الأولى في بني آدم، بل لا نكاد نجد دينا من الأديان على الأرض، استغنى أتباعه عن مراكز العبادة، مما يدل على أصالة الأمر وأهميته وإن اختلفت الأشكال؛ بيد أن نقطة الاشتراك هي العبادة.

بخصوص الأديان السماوية، فإن المعابد أو بيوت الله هي رمز مادي يتوجه فيه إلى الله وليس إليه، وهذا من أجل تقريب المادة إلى الروح أو تقريب العالم المشاهد المحسوس إلى العالم الروحاني الذي لا يفصله عنه إلا حجاب الموت فقط، فإذا جاء الموت حل العالم الروحاني بمكان العالم الحسي فأضحى ماديا محسوسا —عين اليقين-.

البيت المخصص للعبادة، هو مكان يقوى فيه تركيز الذهن والقلب لاستحضار عظمة الله سبحانه وتعالى وذلك بعد أن يخصص البيت بالنية لله عز وجل، ويطهر من كل القاذورات، ومن كل ما يشغل البال، كما يجب أن تتوفر في جنباته الهدوء، واجتناب الصخب ورفع الأصوات، فكلما توفرت هذه المزايا، صفت النفس، وشفت الروح، وحصل الخشوع، وحسن الدعاء، وقوي التأمل والتدبّر.

لما خلق الله الإنسان من عجل، تعلقت نفسه بالمادة، لأن المادة تقع في العاجلة، وأما ما وراء المادة فمتعلق بالآجلة، والمادة يلتفت إليها الإنسان بسرعة، فلا تحتاج إلى تصور، فصورتها بين يديه، أما العالم اللامرئي —

[1] - تركي رابح، **دراسات في التربية الإسلامية**. ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م، ص 104-118؛ وانظر محمد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة النبوية**. المرجع السابق، ص 143-144.

الآخرة- فالاتجاه إليه بطيء يحتاج إلى الهدوء، والخلاء مع النفس والاستعداد... وبيوت العبادة هي الأماكن التي تتوفر فيها أجواء السّكينة .

وإن المعابد تذكر بالأماكن الهادئة، البعيدة عن الضوضاء التي كان يختلي فيها الأنبياء والمؤسسون الدينيون —في بداية مشوارهم الروحاني- للتأمل.

وربما هذا هو السر في أنّ الإسلام منع المسلمين —في حالة الحرب- أن يؤذوا عابدا في صومعته، لأن العابد متأملٌ في الأصل، فترجى له الهداية لأنه قريب منها في نظر الإسلام. بل الإسلام يطالب المسلمين بحماية بيوت العبادة حمايتَهم لمساجدهم.

الباب الثاني

مصلحة النفس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: حرمة قتل النفس ومقومه (القصاص) .

المبحث الثاني: النسل ومقومه (العرض).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: عوامل حفظ النفس.

المبحث الأول: حرمة قتل النفس ومقومه (القصاص).

المطلب الأول: حرمة قتل النفس.

الفرع الأول: في اليهودية.

إن التوراة تبين أن القتل جريمة يستحق مرتكبها من الله اللعنة التي أمر بها الأرضَ التي تقلُّ القاتل على ظهرها فلا يعيش مطمئنا أبد الدهر، وذلك من خلال قصة ابني آدم، حين قتل قابين أخاه هابيل ظلما بسبب الحسد فكانت النتيجة أن قال الرب له: "ماذا فعلت؟ إن صوت دم أخيك يصرخ إلي من الأرض، فمنذ الآن، تحل عليك لعنة الأرض التي فتحت فاها وابتلعت دم أخيك الذي سفكته يدك..."[1]

ومن جملة الوصايا التي تلاها سيدنا موسى عليه السلام على بني إسرائيل قوله: "لا تقتل"[2]، وورد أيضا في بعض تعاليمه قول الرب: "... ولا تقتل البريء والصالح لأنني لا أبريء المذنب..."[3]

والمذنب هنا الذي يستحق القتل وهذا لا يكون إلا بشروط دقيقة قائمة على الأخلاق منها العدل والتثبت والفطنة[4].

وهنا يشير إلى إنسانية التوراة أحيانا قول الله تعالى لموسى عليه السلام تعليما لبني إسرائيل "... ومن قتل إنسانا يُقتل ، حكمٌ واحد يطبق عليكم. الغريب كالإسرائيلي، أني أنا الرب إلهكم"[1].

---

[1] - **سفر التكوين** 4:10-11.

[2] - **سفر الخروج** 20:13.

[3] - **سفر الخروج** 23:7.

[4] - **سفر الخروج** 23:1-9.

هذه التعليمة تعطي دلالة أن النفس الإنسانية حرام قتلها ؛ وسوّت بين الغريب والإسرائيلي في درجة القيمة ؛ لأن الرب إله الجميع.

وعندما أعاد موسى عليه السلام تلاوة الوصايا على بني إسرائيل —التي هي عبارة عن أحكام– قال: "لا تقتل"[2].

ونصوص أخرى تشير إلى حرمة النفس البريئة حينما كان موسى عليه السلام يطرح الوصايا على بني إسرائيل مثل قوله: "فلا يسفك دم بريء في وسط أرضكم التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثا، فتكون ملطخة بالدم"[3].

فيما يبدو من النص ، إشارة إلى وجوب تطهر الأرض التي يورثها الله عز وجل لبني إسرائيل من قتل البريء، أما غير البريء فلا بد أن يأخذ جزاءه، وهذا تكريس للعلاقات السلمية للمجتمع حينما يستقر ويتخلص من العدو ، فلا يستسهل الدم بعدما ألفه في قتل الأعداء، ولا يعني النص أبدا أن الأغيار الأبرياء يجب قتلهم لأن أمر الله تعالى بني إسرائيل لمقاتلتهم إلا بعد أن كانوا أعداء لله وللناس. الدليل قوله:"إذا ذهبتم لمحاربة عدوكم"[4]

وقوله: "... لكي لا يعلموكم رجاستهم التي مارسوها في عبادة آلهتهم، فتغووا وراءهم وتخطئوا إلى الرب إلهكم"[5].

وقال موسى أيضا تكريسا لقيمة النفس: "إذا بنيت بيتا جديدا، فابني سياجا حول بيتك، لئلا يسقط منه أحد فتتحمل ذنب دمه"[6]، والدم هنا سواء أكان جرحا أو دما.

---

[1] - **اللاويين** 21:24.

[2] - **سفر التثنية** 17:5.

[3] - **سفر التثنية** 10:19.

[4] - **سفر التثنية** 1:20.

[5] - **سفر التثنية** 18:20.

[6] - **سفر التثنية** 8.

وقال في حرمة قتل النفس أيضا: "ملعون كل من يقتل صاحبه في الخفاء، فيقول جميع الشعب: آمين. ملعون كل من يأخذ رشوة ليقتل نفسا بريئة..."[1]

في هذا النص إشارة إلى الذنب الذي هو أشد من ذنب القتل وهو اغتيال النفس بطريقة الغدر، أو عن طريق إعطاء رشوة لقاتل النفس. ولكن في النهاية يعتبر قتل النفس في اليهودية بناء على الكتاب المقدس جريمة كبيرة.

هذه النصوص التي وردت في الأسفار الخمسة الأولى التي تسمى الناموس[2].

وإليك بعض النصوص التي وردت في القسم الثالث من العهد القديم وهو قسم المكتوبات المقدسة[3].

هناك دعاء ينسب إلى سيدنا داوود عليه السلام[4]، وارد في المزامير: "... أنقذني من سفك الدماء يا الله..."[5] ، في هذا النص دلالة على أن الأصل في النفس الحرمة وقتلها جريمة عظيمة.

نحن كمسلمين نعتقد لو أن سيدنا داوود قتل نفسا أو أنفسا لم يقتلها ظلما وعدوانا ، وإنما قتلها بمقتضى العدل، ولكن مع ذلك تتمنى النفس المؤمنة ألا تكون نافذة لهذا القتل العادل، وهذه هي طبيعة الفطرة النقية وإليها أشار الله تعالى في القرآن الكريم : "كُتب عليكم القتال وهو كُره لكم".

وورد في الأمثال نصيحة أبوية منسوبة لسيدنا سليمان يرشد فيها الشباب بعدم السير في خطى المنحرفين والمجرمين ، والانتباه إلى طرق غوايتهم حين يزينون الإجرام في أعين الغافلين منها جريمة القتل للظفر بالغنى، فقال

---

[1] - **سفر التثنية** 27:24-25.

[2] - محمود محمد مزروعة، المرجع السابق، ص 143.

[3] - محمود محمد مزروعة، المرجع السابق. ص145.

[4] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق. ص51.

[5] - **المزمور** 51:14.

عليه السلام محذرا : "يا ابني إن استغواك الخطاة فلا تقبل، إن قالوا تعالى معنا لنتربص بالناس حتى نسفك دماء... فنغنم كل نفيس... اربط مصيرك بمصيرنا..."[1]

وجاء في السفر نفسه ما نصه: "ستة أمور يمقتها الرب، وسبعة مكروهة لديه منها – ويدان تسفكان دما بريئا– ..."[2]

ويشير نص آخر إلى الحياة الضنك التي يعيشها القاتل[3]، من هو مثقل بارتكاب سفك دم يظل طريدا حتى وفاته[4].

من خلال هذه النصوص التي عرضناها ؛ كلُّها تركز على حرمة النفس البريئة فلا يجوز قتلها، ومهما كانت هذه النفس مادامت بريئة، فلا يوجد في هذه النصوص الكثيرة التي عرضناها ما يوحي إلى أن الحرمة خاصة بالنفس الإسرائيلية، وإنما هذه الحرمة شاملة لكل نفس، وهذا مبدأ إنساني يكرس السلام في الأرض، والتوراة بينت حرمة النفس أنها مبدأ مغروس في الإنسانية بالفطرة والدليل هو الحياة التي يعيشها الإنسان بعدما يرتكب هذا الفعل الشنيع في حق الأبرياء، تبين ذلك في قصة قابين، وفي دعاء داوود عليه السلام.

هذه النصوص المحرمة لقتل النفس من رب العالمين، الذي يجب أن نخافه ونخشى غضبه وعقابه هي عامل كبير في حفظ النفس، والحذر من إلحاق الأذى بها.

الفرع الثاني: في المسيحية.

[1] - **الأمثال** 1:10-15.

[2] - **الأمثال** 6:17.

[3] - جون ماك آثر، المرجع السابق، ص 1032.

[4] - **الأمثال** 28:17.

وبناء على الفقرة المقدسة من إنجيل متى : "لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لألغي، بل لأكمل..."[1].فإن المسيحية هي مكرسة لمبدأ حرمة النفس الإنسانية، ويشهد على ذلك تفسير علماء اللاهوت المسيحيين لنصوص التوراة[2] ماكانوا لينقضوا ما جاء في العهد القديم بخصوص مبدأ الحرمة

بل اعتمدوها في الاستدلال.

لم ترد في الأناجيل نصوص كثيرة مباشرة تحرم جريمة القتل لأن معتمدها ما جاء في العهد القديم، ولكن سيدنا المسيح أكمل المبدأ بقوله: "سمعتم انه قيل للأقدمين، لا تقتل ومن قتل يستحق المحاكمة، أما أنا فأقول لكم، كل من هو غاضب على أخيه يستحق المحاكمة، ومن يقول لأخيه يا تافه يستحق المثول أمام المجلس الأعلى، ومن يقول يا أحمق يستحق نار جهنم، فإذا جئت بتقدمتك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك تقدمتك أمام المذبح واذهب أولا وصالح أخاك ثم ارجع وقدم تقدمتك..."[3].

يقول مفسرو التفسير التطبيقي: "القتل خطيئة شنيعة، ولكن الغضب خطيئة كبيرة... والغضب هنا يشير إلى حالة الغليان والشعور بالمرارة ضد أحد الناس... يهدد بالخروج عن اللياقة وضبط النفس، مما يؤدي إلى العنف... وغير ذلك من النتائج المدمرة..."[4].

ومن جهة أخرى يبين النص أنه لا يجوز للإنسان أن يستفز أخاه الإنسان فيغضبه أو يتغاضبان بسبب لفظة بذيئة تخرج من فيه أحدهما، وهو ما سيؤدي في الأخير إلى أعمال العنف منها القتل[5].

---

[1] - **متى** 5:17.

[2] - راجع على سبيل المثال **التفسير التطبيقي سفر التكوين** 4:8-10.

[3] - **متى** 5:21-24.

[4] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق. ص 1884.

[5] - جون ماك آرثر، المرجع السابق، ص 1525. –تفسير 5:22.

وهذا يبين أن السيد المسيح قطع الطريق الموصلة إلى جريمة القتل وجعل دونها مسافة بعيدة[1].

يقول المفسرون عن الوصايا العشرة التي من بينها حرمة القتل[2]، هي أمر مباشر من الله يلزم طاعته طاعة كاملة ...فقد أطاع يسوع الشريعة الأدبية تماما، فهي تعلن طبيعة الله ومشيئته وهي ملزمة حتى اليوم[3].

الفرع الثالث: في الإسلام.

الإسلام ابتداء حرم قتل النفس بشكل واضح في عدد من آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الله تعال: "**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**"[4]، وحرم الانتحار لقوله تعالى: "**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا**"[5] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترهيبا وتنفيرا من هذه الكبيرة: "من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن نزل من جبل فقتل نفسه، فهو ينزل في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا"[6].

وقال الله تعالى مانعا قتل الأولاد خشية الفقر: "**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**"[7]

وقال أيضا: "**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم**"[8].

---

[1] - المرجع نفسه، ص1525.

[2] - **سفر الخروج**، 13:20.و**سفر التثنية**، 17:5.

[3] - **التفسير التطبيقي**، ص1883. في **تفسير متى** 5:17-20.

[4] - **سورة الإسراء**، الآية 33.

[5] - **سورة النساء**، الآية 29-30.

[6] - صحيح مسلم 109.

[7] - **سورة الأنعام**، الآية 151.

[8] - **سورة الإسراء**، الآية 31.

وقال تعالى مشنعا على الذين يقتلون البنات لأسباب اجتماعية "**وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت**"[1].

هذه البيانات الإلاهية موجهة لبني آدم كلهم، وتذكير لهم، بأن هذه الحرمة كانت قبل خلق أبيهم آدم عليه السلام فجاء على لسان الملائكة متساءلة عن كنه الخليفة الذي أخبرهم عنه الله تعالى: "**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**..."[2].

ومما يؤيد هذا أيضا قوله تعالى في سورة المائدة وهو يتحدث عن أول جريمة حدثت في الأرض من أبناء آدم عليه السلام "**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض مسرفون**"[3].

يقول ابن عاشور: "هذا بيان أن قتل النفس بغير حق جرم فظيع كفظاعة قتل الناس كلهم... ذلك التشبيه تهويل لجريمة القتل..."[4]، وكذلك من استنقذها من الموت ودافع عنها فكأنما أحيا الناس جميعا[5].

ومن هنا لا يستساغ عقلا أن يجعل الله قتل النفس محرما على جميع الأمم، ثم يدفع بتعاليمه جماعة لتقتل جماعة أخرى لولا الاعتداء من الثانية، ولذلك قال الله تعالى: "**كتب عليكم القتال وهو كره لكم**..."[6] وإلا فإن

---

[1] - **سورة التكوير**، الآية 8؛ وانظر محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**.ط1، بيروت لبنان: دار القرآن الكريم، 1401هـ 1981م، ص 23.

[2] - **سورة البقرة**، الآية 30.

[3] - **سورة المائدة**، الآية 32.

[4] - محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص 177-178.

[5] - المرجع نفسه، ص 178.

[6] - **سورة البقرة**، الآية 216.

الأصل في الأمر بالقتال هو رد الاعتداء وهذا لا تخالف فيه الفطرة السليمة، قال الله تعالى: "**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**"[1].

والمخالفة فيه ليست مسوغا للقتال في الإسلام مطلقا لقوله تعالى باستحالة الإكراه على القلب في الاعتقاد: "**لا إكراه في الدين**"[2].

والأصل في العلاقات بين الناس قول الله عز وجل: "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**..."[3].

الفرع الرابع: خلاصة وأفاق المطلب.

في التوراة وجدنا نصوصا تبين بوضوح أن القتل جريمة محرمة؛ فأول ما يستحق مرتكبها من عقوبة اللعنة؛ والنصوص دلت بإطلاقها أن التحريم ليس خاصا ببني إسرائيل، فأية نفس بريئة لا تجيز التوراة التعدي عليها، وإن اغتيال النفس عن طريق الغدر هو أشد من القتل الذي يحصل نتيجة الشجار.

وفي دعاء أيوب عليه السلام بأن ينقذه الله من إراقة الدماء إشارة إلى الفطرة السليمة لكره العنف والقتل، والقرآن الكريم يؤيد ذلك.

[1] - **سورة البقرة**، الآية 190.

[2] - **سورة البقرة**، الآية 256.

[3] - **سورة الحجرات**، الآية 13.

وأما المسيحية اعتمدت على نصوص العهد القديم في تحريم القتل، بل شددت في هذه الحرمة إلى درجة تحريم الغضب والشتم، فيستحقان المحاكمة والعقوبة الشديدة، وإصلاح الإنسان أمره مع أخيه أفضل من أن يقدم لله قربانا.

نلاحظ بعد هذا العرض أن السيد المسيح أراد بهذه التعاليم أن يبعد الإنسان عن دواعي ارتكاب جريمة القتل، فغالبا ما تحصل بسبب الغضب الذي يؤدي إلى الشتم ومنه إلى الاقتتال.

والإسلام ذكر تحريم قتل النفس في العديد من آيات القرآن الكريم واعتبرته السنة من الموبقات والكبائر في أحاديث كثيرة، ويؤكد ما جاء به الأديان السماوية كما أنه حرم الانتحار، قتل الأولاد خشية الفقر، أو قتل البنات لقضايا اجتماعية.

كما أنه ذكر حالات قد يلجأ فيها الإنسان إلى قتل النفس مدفوعا بظروف الحياة؛ كما أنه ذكر موقفه الذي ينص على الحرمة من حالات قتل النفس يظنها الإنسان هي الحل الوحيد كالانتحار، أو قتل الأولاد خشية الفقر أو بسبب الفقر، أو قتل البنات لقضايا اجتماعية؛ فطمأن القرآن الكريم بأن الله هو الذي يتولى المشكلة بنفسه ماديا.

كما بين الإسلام مسألة الحرب بأنها لا تكون إلا بسبب العدوان من أجل حفظ النفس –المعتدى عليها–.

وبين الأصل في العلاقات بين الناس بوضوح تام في قوله تعالى: "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**".

الأديان السماوية عبر نصوصها اجتمعت كلمتها على حرمة قتل النفس والإسلام أجاب عن حالات قد تدفع إليها ظروف الحياة يظنها الإنسان هي الحل ولكنها ليست كذلك، وهي حالات لم يتناولها الكتاب المقدس.

لم يذكر الكتاب المقدس تحريم العدوان على الأقوام الآخرين ولم يدقق فيها على الرغم من كثرة حصولها في واقع الناس[1].

ولكن يجب أن ننبه في هذا الصدد إلى أن الفكر الإسلامي معرض للخطأ في فهم النص القرآني أو ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما قد يظل الفكر اليهودي والمسيحي عن فحوى النص المقدس.

ففي باب الجهاد مثلا قال ابن رشد الفقيه بأن العلماء اختلفوا في العلة الموجبة لقتل المشركين أو الكفار، فمنهم من زعم أن العلة الموجبة لذلك هي الكفر، ومنهم من زعم أن العلة في ذلك العدوان[2]، فالذي قال بأن علة القتل هي الكفر يعني أن أصل علاقة المسلمين بغيرهم هي الحرب وليس السلام، وأما من قال بأن العلة هي العدوان يعني أن أصل العلاقة هي السلام.

أصحاب الرأي الثاني يعتمدون على كثير من آيات القرآن الكريم منها "**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**"[3] .

أما أصحاب الرأي الأول فيقولون هذه الآية وما شابهها منسوخ حكمها بآية من سورة التوبة "**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**..." –سورة التوبة الآية 5-.

أولا: لا يوجد دليل من الكتاب والسنة يقول بالنسخ.

ثانيا: كما ثبت حكم مسألة غير المسلمين بالتواتر يجب أن يثبت النسخ بالتواتر كتابا وسنة.

---

[1] - أبي عبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. مج1، ج1، (د ط)، دمشق سوريا: دار الفكر، (د ت)، ص 645-646.

[2] - ابن رشد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**. ج2، ط1، بيروت لبنان: دار ابن حزم، (د ت)، ص 742-743.

[3] - سورة البقرة الآية 111

ثالثا: أن الآية التي قالوا بأنها نسخت هي خاصة بالمشركين القرشيين المعتدين الناقضين للعهود[1].

مادمنا في موضوعنا نريد أن نحقق تخالفا على خير الإنسانية، لابد نحن المسلمون أن ننفي تراثنا مما يضر بالدين ولا ينفع ويضر بالإنسانية ولا ينفع، كمثل ذلك الرأي الذي يصادر حرية الاعتقاد.

اعتقد أنه على مثل هذا الرأي اعتمدت بعض الجماعات الإسلامية المسلحة التي تقتل من لا يعتقد بالإسلام والإسلام بنصوصه بريء من هذا كله.

وكذلك ندعو في هذا الصدد إلى إعادة النظر في مسألة حكم المرتد وعلاقته بحفظ النفس الذي هو مقصد من مقاصد الإسلام، وهل قتل المرتد هو وسيلة لحفظ الدين؟.

ويبدو لي أن مسألة من اختار الإسلام عن طواعية ثم خرج عن الإسلام تختلف تماما عن مسألة انسان كان مسلما عن تقليد ثم تبين له أن يخرج عن الإسلام، وبالتالي الحكم يختلف، وبحثنا مشروع في حفظ الدين وحفظ النفس كمصلحة مشتركة بين الأديان السماوية لصالح الإنسانية.

المطلب الثاني: مقوم الحرمة (القصاص)

الفرع الأول: في اليهودية.

[1] - محمد الغزالي، **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر**. ط2، دمشق سوريا: دار القلم، 1422هـ 2001م، ص 13-22.

المقصود بالقصاص في بحثنا القصاص في الحياة الدنيا، وهي العقوبة التي ينفذها الحاكم في حق الجاني لتعديه على أخيه الإنسان في شتى الأمور، ولكننا نخص بالذكر ما يتعلق بحرمة النفس من قتل وما دونه من أنواع الجروح الأخرى.

التوراة بينت أن الله تعالى يطالب عباده بدم بعضهم في دنياهم كما جاء في سفر التكوين: "وأطالب أنا بدمكم لأنفسكم، من يد كل حيوان أطالب به، ومن يد الإنسان أيضا أطالب الأخ بنفس أخيه الإنسان، فسافك دم الإنسان يحكم عليه بسفك دمه لأن الله خلق الإنسان على صورته..."[1].

ووردت في سفر اللاويين شريعة القصاص لقاتل النفس أو جرحها وهذا نصه: "وإذا قتل أحد إنسانا فإنه يقتل... كسر بكسر وعين بعين وسن بسن... ومن قتل إنسانا يقتل حكم واحد يطبق عليكم، الغريب كالإسرائيلي، إني أنا الرب إلاهكم"[2].

وأيضا في هذا النص مسحة إنسانية، وأن الغريب كالإسرائيلي في الحكم سواء أكان جانيا أو مجني عليه، لأن الرب إلاه الجميع.

وفي سفر العدد تفصيل دقيق لأحكام تخص قاتل النفس، ويفرق بين القاتل المتعمد وغير المتعمد، فالأخير

يمثل أمام القضاء ويبعد إلى ملجأ معين ليحتمي به من ثأر أولياء القتيل، وأما القاتل المتعمد فيقتل: "... فعينوا لأنفسكم مدنا تكون ملجأ لكم يلوذ بها من يقتل أحدا عن غير عمد، فتكون لكم المدن ملجأ يلوذ بها القاتل

---

[1] - **التكوين** 9:5-6.

[2] - جون ماك آرثر، المرجع السابق، ص72.

من ولي القتيل، لئلا يموت قبل أن يمثل أمام القضاء، ... إن ضرب أحد إنسانا بأداة حديدية ومات المضروب فهو قاتل والقاتل يقتل، وإن ضربه بحجر في يده أدى إلى موته فهو قاتل، والقاتل يقتل، أو ضربه بقطعة خشب قاتلة فهو قاتل، والقاتل يقتل، ومن حق ولي الدم أن يقتل القاتل إذا صادفه، إن دفع أحد شخصا من فرط كراهيته له أو ألقى عليه شيئا عمدا أفضى إلى موته أو ضربه بيده بفعل عداوته له فمات ، فالضارب يقتل لأنه قاتل، ومن حق ولي الدم أن يقتل القاتل إذا صادفه، ولكن إن دفع أحد شخصا، لا يكن له عداوة، أو ألقى عليه أداة ما من غير عمد، أو أسقط عليه حجرا قاتلا من غير أن يراه فمات ولم يكن يضمر له عداوة أو يسعى إلى أذيته يفصل آنئذ القضاء بين القاتل وطالب الثأر بمقتضى هذه الأحكام... كل من يقتل نفسا يحكم عليه بالموت بشهادة شهود، ولكن لا يحكم على أحد بالموت بشهادة شاهد واحد فقط"[1]، ويلاحظ في آخر هذا النص، أن في إثبات جريمة القتل لا يعتمد على شاهد واحد وإنما على شهود حتى لا يقضى على نفس بريئة أخرى على بينة واهية.

ولتقطع التوراة على الطامعين في العفو بعد أن أقدموا على جريمة القتل – وذلك بعد أن حكم على القاتل بالموت– منعت إعطاء الفدية على نفس القاتل: "لا تقبلوا فدية عن نفس القاتل الذي وجب عليه الحكم بالموت بل يجب أن يقتل"[2].

وحتى بالنسبة للقاتل غير العمد اللائذ بمدينة الملجأ لا تقبل منه الفدية من قبل ولي الميت طمعا في الرجوع إلى مدينة الإقامة قبل وفاة رئيس الكهنة: "ولا تقبلوا فدية من القاتل غير المتعمد الذي لاذ بمدينة ملجئه ليرجع للإقامة في أرضه قبل وفاة رئيس الكهنة"[1]

[1] - **سفر العدد** 35:13-30.

[2] - **سفر العدد** 35:31.

ونرى التوراة أيضا تشدد في حرمة إزهاق النفس، خصوصا على الأرض يقيم فيها بنو إسرائيل ويكونون فيها مجتمعا، ترييهم على المسالمة وتحملهم بهذه القدسية على عدم التفكير أصلا في قتل النفس، وهذا يتبين في تتمة النص، لا تدنسوا الأرض التي أنتم فيها، لأن سفك الدم يدنس الأرض، ولا يكفر عن الأرض التي سفك عليها الدم إلا بدم السافك[2].

ومن حرمة النفس في الديانة اليهودية أن عقوبة الشرك بالله عز وجل الإخراج من المدينة التي يقيم فيها المشرك ويرجم حتى الموت، ولكن حرمة النفس لا تجيز التوراة إقامة الحد بناء على شاهد واحد، وإنما يجب أن يثبت ذلك بشاهدين أو أكثر، وأن يكون خبر المتهم قد شاع[3].

الفرع الثاني: في المسيحية.

يعد العملية الاستقرائية للعهد الجديد مع الاستعانة بفهرس الموضوعات التفسيرية للتفسير التطبيقي[4]، لم أجد نصا يتحدث عن العقوبات في الجروح منها قتل النفس، رغم أن حرمة النفس هي أعظم أمر يتعلق

بالإنسانية غير أن الأمر لا يجوز أن يعتبر نقصا في المسيحية ما دام السيد المسيح عليه الصلاة والسلام صرح بأنه تكريس لشريعة موسى وتتمة لها[5].

---

[1] - **سفر العدد** 32:35.

[2] - **سفر العدد** 33:35.

[3] - **سفر التثنية** 2:17-6.

[4] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص 2917.

[5] - **متى** 17:5.

ومما يدل على أن السيد المسيح لم يغير أحكام القاتل الواردة في التوراة هو قوله: "سمعتم أنه قيل للأقدمين، لا تقتل ومن قتل يستحق المحاكمة، أما أنا فأقول لكم، كل من هو غاضب على أخيه يستحق المحاكمة، ومن يقول لأخيه يا تافه يستحق المثول أمام المجلس الأعلى، ومن يقول يا أحمق يستحق نار جهنم"[1]

فإذا كان الغاضب والشاتم يستحق المحاكمة فالأمر مع القاتل أوكد. والمسيحية تعتبر السيد المسيح في هذه المسألة لم يأت لينقصها بل أعطى لها مفهوما أوسع وأشمل[2].

ويؤكد هذا المذهب ما ورد في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية حينما قال مبينا أهمية السلطان في تنفيذ أحكام العقوبات وغيرها: (لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله... فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل الشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان ؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه لأنه خادم الله للصلاح ولكن إن فعلت الشر فخف لأنه لا يحمل السيف عبثا، إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر[3].

يبين المفسرون بأن السلطان يساعد على كبح الشر وصون الحياة والممتلكات... وكذلك من حق الحكومة إنزال العقاب بفاعلي الشر ولا سيما عقوبة الإعدام وللسلطات المدنية حق القصاص من الجاني[4].

ويقول المفسرون –المسيحيون– أيضا: (كان يجب إعدام القتلة لأنهم لوثوا الأرض ودنسوها –أي بإراقة الدماء– وعندما تحدثوا عن الغضب والقتل قالوا: (فإنهما يلوثاننا بإثارة أفكارنا ودوافعنا الشريرة وفي النهاية يحطماننا، فيجب أن نعالج كل مرارة وغضب نحس بهما، قبل أن يستفحلا ويفسدا حياتنا[1].

---

[1] - **متى** 5:21-22

[2] - انظر **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص1884.في **تفسير متى** 5:21-22.

[3] - **رومية** 13:1-4.

[4] - انظر **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص 1934. في تفسير **رومية** 25:3-11.

سقنا تعبير المفسرين حرفيا من أجل أن نبين من خلاله أن المسيحية تكرس الأحكام التي تتعلق بجريمة النفس فإقامة القصاص على القاتل العمد من شأنه أن يمنع الجريمة من الانتشار وبذلك يشيع الأمن والسلام بين الناس وليس كما يقول مفسرو التفسير التطبيقي في بعض المواضيع عن الأشرار بما أنهم لا يخافون الله فليس ثمة ما يمنعهم من ارتكاب الخطيئة بل يندفعون إليها كما لو أنه لن يحدث لهم شيء. ولكن الله عادل وهو إنما يؤخر عقابهم[2].

إن الذي يمنع الأشرار في الدنيا من ارتكاب الخطيئة هو إقامة العقوبات الرادعة أما من غابت عنه الشهود والبيانات فمآله إلى الله تعالى، وربما عاقبه في الدنيا قبل الآخرة، ولكن يمكن أن نؤول كلمة المفسرين عن الأشرار (بل يندفعون إليها كما لو أنه لن يحدث لهم شيء) بحالة عدم وجود الشهود والبيانات.

الفرع الثالث: في الإسلام.

الذي يطفئ نار الغضب الدافعة للقتل، أو أي عامل آخر هو القصاص الصارم، والقصاص في الإسلام ترعى تنفيذه السلطة الحاكمة، لتفادي الهرج في المجتمع، قال الله تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**"[3].

والقرآن يصرح لنا بأن القصاص كان مقررا في الشرائع السماوية السابقة كشريعة اليهود، بدليل قوله تعالى: "**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن**

[1] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص 349.

[2] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص1173.

[3] - **سورة البقرة**، الآية 178.

بالسن، والجروح قصاص، فمن تصدق به كفارة له، ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولائك هم الظالمون"[1].

ويشرح قوله تعالى: "فمن تصدق به كفارة له" قوله صلى الله عليه وسلم: "العمد –أي القتل– قَوَدُ –أي قصاص– إلا أن يعفو ولي المقتول"[2].

إذن الإسلام لم يحتم عقوبة القتل لهذه الجريمة بل خير ولي القتيل بين القصاص للقاتل أي قتله أو العفو عنه مع أخذ الدية قال تعالى: "**فمن عفي له من أخيه شيء فإتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**"[3].

أي لو عفى واحد من أولياء القتيل وجب إتباعه وسقط القصاص[4].

وهنا نشير إلى أن المذهب المالكي وهو يقرر أن عفو أسرة الميت يكفي لتخفيف العقوبة ، لا لإلغائها ؛ والمجرم في هذه الحالة سوف يعفى من عقوبة الموت، ولكن لا ينبغي أن يمضي مطلقا بلا عقاب ؛ ويرون من الخير أن يجلد مائة جلدة، ويقضي عاما في السجن، أو التغريب، وذلك لتقليل فرصة عودته إلى الجريمة، وفي الوقت ذاته لتقليل الأثر المصاحب المعدي لهذا المثل السيء[5].

---

[1] - **سورة المائدة**، الآية 45.

[2] - وهبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**. ج6، ط2، دمشق سوريا: دار الفكر، 1405هـ 1985م، ص 219.

[3] - سورة البقرة، الآية178.

[4] - عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 417.

[5] - محمد عبد الله دزاز، **دستور الأخلاق في القرآن**. ترجمة وتحقيق: عبد الصبور شاهين، ط10، بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة، 1418هـ 1998م، ص 262.

ولنذكر مع ذلك أن هذا الخلاف لا موضع له إلا في حالة القتل العادي، الذي يحدث في مشاجرة، مثلا، أما حالات القتل البشعة مثل: الاغتيال، أو القتل غدرا، والإيقاع في كمين...الخ، فإن كل المذاهب مجمعة على أن عفو الأفراد قاصر مطلقا في هذا الصدد، وأن من الواجب تطبيق عقوبة الإعدام على القاتل[1].

الحرابة عقوبتها إما الموت، وإما تقطيع الأيدي والأرجل، وإما النفي "**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض**"[2].

والعقوبة تنزل عن الإعدام إذا كان القتل خطأ،... على القاتل تحرير نفس مؤمنة من الرق، وأن يدفع دية إلى أهل المقتول،... فإذا أسقطها أهل المقتول سقطت.

وهناك أنواع أخرى من العقوبات تلحق بالنفس، كالجناية على الأطراف الحسية، وقطع الطريق على الناس لأخذ أموالهم، وقتلهم[3].

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق .

اليهودية شددت في مسألة العقوبة التي تتعلق بقتل النفس وبأنواع أخرى من الجروح كإتلاف عضو من أعضاء جسم الإنسان ويتساوى في ذلك الغريب مع الإسرائيلي.

---

[1] - المرجع نفسه، ص 226.

[2] - **سورة المائدة** الآية 33.

[3] - عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 419-420.

واليهودية في نصوص توراتها تفرق بين القاتل العمد وغير العمد، فعقوبة الأول هي القتل أما الثاني فيمثل أمام القضاء ويبعد إلى مكان يحتمي به من الثأر... ولم تبين الشريعة حكم القتل غير العمد وإنما تركت الأمر للقاضي، وعن اثبات جريمة القتل لا يعتمد القضاء على شاهد واحد، وإنما على مجموعة من الشهود. وهذا من أجل تفادي ظلم النفس البريئة.

ثم إن التوراة تمنع العفو على القاتل العمد من قبل أولياء الضحية، وإنما ينبغي أن تنفذ في حقه عقوبة القتل بينما الإسلام، يجعل المسألة من حق أولياء الميت، لأن الميت قد أفضى إلى ربه ولن يعود إلى الدنيا، وأما أولياؤه فهم أحياء، والألم لاحقٌ بهم ؛ فيخيّرهم الإسلام بين إقامة حد القتل أو العفو مع حصول الفدية؛ وإذا تحقق العفوُ لزمته العقوبة دون القتل وذلك للردع كما قال عبد الله دزاز.

وأما المسيحية فإن الأناجيل لا تتحدث في موضوع القصاص إطلاقا، ولكن يمكننا أن نعتمد على قاعدة نصية للسيد المسيح أنه جاء ليكرس الشريعة ويتممها، وبالنص الذي ورد في سفر متى 5:21-22 نفهم

تأكيد السيد المسيح أن شريعة قتل القاتل لم تلغ؛ على الرغم من أن المفسرين للكتاب المقدس قالوا بأن المسيحيين ليسوا ملزمين بالشريعة المدنية، وأن بولس في رسالته إلى أهل رومية أعطى أمر الشريعة المدنية للسلطان، والسلطان إذا حكم فحكمه من الله.

وقولهم أن السلطان يساعد على كبح الشر، ومن حقه أن ينزل العقاب، وله حق القصاص... يعطي إشارة إلى أن السلطان حر في قراراته وليس للدين أن يتدخل. وكان على المفسرين أن يقولوا هذا هو الواجب الذي كان على السلطان أن يفعله، وإن خالف شريعة القصاص التي تقول بها شريعة موسى وعيسى، عارضت المسيحية ذلك.

وكذلك يؤاخذ على كلمة المفسرين بأن الشرير إذا لم يكن يخاف الله لا يوجد ما يمنعه من ارتكاب الشر مرة أخرى، ويحال عقابهم إلى الله تعالى بالعدل ويستدرك عليه بأن العقوبة الصارمة المناسبة ، هي التي تمنع الشر من الانتشار.

وعليه فإن الأديان الثلاثة يجب أن يتعاونوا في مسألة تكريس القصاص الصارم، حتى ولو كان يتصف بالقساوة، لأنه علاج، ولا يجوز أن يلتفت إلى ما تقوله بعض منظمات حقوق الإنسان بأن القصاص هاتك للحقوق، بل هو ضامن لها ، لأن إبقاء القاتل العمد حيا يتمتع بالطعام الشراب وغيرهما ، يشجع المجرمين على القيام بجريمة القتل ؛ لأن أقصى عقوبتها هي الحياة في السجن مدى الحياة . وهو فعلا ما يحفّز هوّاة اختطاف الأطفال – الحرابة – أن يفعلوا فعلتهم وهم مطمئنون .

لقد آن الأوان لأهل الكتاب أن يتعاونوا في إقناع العقلاء من قادة الدول والمنظمات الحقوقية بجدوى أحكام الدين في قضايا حفظ النفس .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: النسل ومقومه (العرض).

المطلب الأول: النسل.

تمهيد:

النسل في اللغة: الولد، ونسل نسلا: كثر نسله... والنسل: الذرية، والجمع أنسال.

والفقهاء يطلقون النسل على الولد سواء أكان من إنسان أو حيوان، ويطلقونه كذلك على الحمل[1].

النسل ضروري لبقاء النوع الإنساني، ولذلك قال الشاطي: "لو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء"... وقال الغزالي عن الغاية من النسل: "وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس"[2].

فالله عز وجل أوجد النفس البشرية وجعل السبب في حفظها واستمرارها الإنسان عن طريق النسل.

النسل مهمة وتكليف لأن دونه تبعات ومسؤوليات لما ينتج عنه من أولاد فتجب رعايتهم والسعي من أجلهم، فليخفف الله عز وجل هذا الثقل على الإنسان ويندفع إلى تحمل مشاقه بكل حب، غرس في نفسه الشهوة، فالذكر يميل إلى الأنثى والعكس أيضا[3] فلو لا الشهوة لكسل الإنسان عن القيام بمهمة النسل غير أن هذه الطاقة العظيمة المودعة في طبيعة الإنسان لو تركها الله تعالى من غير توجيه "كما ترك عجم الحيوانات...

---

[1] - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**. ج40، ط4، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1430هـ 2009م، ص 260.

[2] - المرجع نفسه، ص 260.

[3] - هذه الفكرة أخذتها عن سعيد رمضان البوطي ولكن ضاع مني مصدرها.

لنتجت عن ذلك مفاسد كبيرة منها سهولة تدافع كثير من الأفراد على امرأة واحدة، مما ينشأ عن ذلك ضروب كثيرة من الظلم"[1].

ومن شأن المشاركة في الأشياء الإختلاف، بسبب نازعة الأنا، وغريزة حب التملك، مما يؤدي إلى التحاسد والتحاقد، وسفك الدماء، وإذا نشأ عن النسل المشترك أولاد، أهملوا وتركت رعايتهم، لأن الأب لا يعرف من هم أولاده، وينجم عن ترك الرعاية الحرمان من العاطفة، وإساءة الأخلاق، وفساد الإنسانية[2].

وحتى لا يحصل في عالم الأسباب سوء المصير، أرسل الله عز وجل رسله –منهم موسى وعيسى ومحمد– عليهم الصلاة والسلام ليعلموا الناس أن السبيل الوحيد والصحيح الذي يحقق العدل والسلام بين الناس هو الزواج الذي يكون مبنيا على الاتفاق وعقد الامتلاك الخاص. وغير هذا السبيل هو إهلاك للنسل وإفساد لعمارة الأرض وقضاء على النفس.

وكان الأنبياء في ذلك قدوة للناس كما ثبت ذلك في القرآن الكريم –على العموم– قول الله عز وجل: "**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية**"[3].

والآن بين أيدينا ما جاءت به الأديان السماوية الثلاثة في هذا المجال.

[1] - محمد محي الدين، **الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية**. ط1، بيروت لبنان: دار الكتاب العربي، 1404هـ 1984م، ص 10.
[2] - المرجع نفسه، ص 10.
[3] - **سورة الرعد**، الآية 38.

الفرع الأول: في اليهودية.

ترى اليهودية عبر نصوصها المقدسة –العهد القديم– أن الله عز وجل عندما خلق الإنسان وأنشأه ذكرا وأنثى باركه وغرس في نفسه غريزة التناسل وحب النسل والتكاثر فيه لا يفرق بهذه الفطرة بين البشر حين أودع في روعهم كلمته: (أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض وأخضعوها*[1])[2].

وعندما فسد الناس في أخلاقهم، وكثر بينهم الشر، حتى لم ينفع معهم إصلاح، قضى عليهم الله ونجى نوحا ومن معه من الصالحين وأمرهم قائلا: (أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض)[3]، ففي هذا أمر إلاهي –زيادة على الميل الغريزي– بالتكاثر والإثمار، وإشارة إلى نوعية التكاثر على أساس الصلاح[4].

وإن إخضاع الأرض وتسخيرها لا يمكن أن يكون بقلة النسل وإنما بكثرته وامتلاء الأرض به وهذا ما تشير إليه التوراة بشكل واضح، فهو الأمر الذي يتلاءم مع قانون الطبيعة وأما نظرية تحديد النسل فهي خاطئة في منظور النص التوراتي.

ولكن الفكر اليهودي يرى أن الشريعة تعتبر إنجاب ولد واحد وبنت واحدة تنفيذا للوصية الدينية التي تدعو للإثمار والمكاثرة كحد أدنى[5].

---

[1] - كلمة أخضعوها إشارة إلى تسخير الأرض للإنسان.

[2] - **التكوين** 27:1.

[3] - **التكوين** 1:9.

[4] - **اللاويين** 18:29-29.

[5] - ألان أنترمان، المرجع السابق، ص271.

وهناك فتاوى مختلفة تتعلق بمسألة استعمال حبوب منع الحمل، فمنهم من أفتى بالجواز ومنهم من عارض بقوة، واعتبر استعمال العزل وما يلحق به يعتبر إهدارا لبذور الرجل وبالتالي هو محرم، ولكن أجازت ذلك فئة قليلة من علماء الشريعة[1].

ويكاد الإجماع ينعقد بينهم على تحريم الإجهاض –قتل الجنين وإسقاطه– في الظروف العادية، أما إذا كانت هناك أسباب طبية كأن يخشى على حياة الأم، أو كان الحمل يؤثر على لبن الرضيع الذي بين يديها، أو أن الجنين سيولد مشوها فيجوز ذلك[2].

اليهودية ترفض العزوبية، وتوجب الشباب أن يتزوجوا، والسلطات تضغط على من تجاوز العشرين سنة من العمر ليتزوج ويكون أسرة[3]، وهذا بناء على الأمر الذي وجهه الله إلى آدم وحواء في سفر التكوين 22:1، وسفر التكوين 9:1-7[4]، ولهذا فإن الزواج في المنظور الديني اليهودي واجب مقدس[5].

"واليهود يعتبرون كثرة الأولاد هبة من الله... ويتباهون بكثرة الأولاد... ويسجلون عددهم في فخر وخيلاء"[6].

والإنجاب أيضا في منظور النصوص المقدسة هو خير وبركة وهو علامة على رضا الرب سبحانه، فقد رضي عن إبراهيم عليه السلام وباركه قائلا: (ارفع عينيك وتلفت حولك من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، فإن هذه الأرض التي تراها سأعطيها لك ولذريتك إلى الأبد وسأجعل نسلك كتراب الأرض...)[7].

---

[1] - ألان أنترمان، المرجع السابق، ص 271-272.

[2] - المرجع نفسه، ص 273.

[3] - المرجع نفسه، ص 257.

[4] - المرجع نفسه، ص 257.

[5] - زكي شنودة، المرجع السابق، ص 476.

[6] - المرجع نفسه، ص 481.

[7] - **التكوين** 13:14-16.

التوجه بالبشرى إلى سيدنا إبراهيم بتكثير النسل إشارة إلى النوعية المحبوبة عند الله تعالى، وهي التي تمتاز بالصلاح.

كما أن التوراة بينت بأن الإحساس بالرغبة في الزواج المستقر هو الأمر الطبيعي في الإنسان ودليله ما ورد في سفر التكوين: (...لهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بإمرأته...)[1].

الفرع الثاني: في المسيحية.

جاء في معجم اللاهوت الكتابي هذه الكلمات: "... الإنسان وهو يتولى نقل الحياة، إنما ينقل عبر الزمان، صورته الخاصة، فيبقى على هذا النحو حيا على مدى الأجيال".

"منذ بدء الأزمنة يتردد دون انقطاع نداء الخالق: -انموا وأكثروا- فبالخليقة تملأ الأرض".

"إن الرب يتدخل... بالبركات... تنبئ —بذرية تعادل كثرتها نجوم السماء، والرمل الذي على شاطئ البحر-"

"إن حلم كل امرئ، وقد حدته البركة الإلاهية، واشتهته أمنية البشر، هو أن يخلد اسمه بعد الموت"

هذه الكلمات التي صرح بها هي مبنية تماما على ما جاء في التوراة[2]، وأعطتنا فكرة أن النسل وحب الولد هي مسألة غريزية مفطور عليها الإنسان منذ بدء الخليقة، والنداء الإلاهي لعبيده —انموا وأكثروا- هو نداء فطري لا يعبر عن التشجيع لأنه لم يتكرر هذا النداء في تعاليم المسيح لأن الإلاه يتدخل في هذا الموضوع بالبركات من الإنسان ذرية كثيرة.

[1] - **التكوين** 24:2.

[2] - بولس باسيم، المرجع السابق، ص 306-307.

ويبين المعجم أيضا أن الشرائع الإلاهية جاءت لتضبط غريزة التناسل والخصوبة البشرية حتى لا تنحرف أخلاقيا وجنسيا[1].

فأول ضابط لتنظيم النسل هو الزواج، غير أن الواضح من خلال الإنجيل لا يوجد تشجيع على الزواج، لأنه أمر يتم حسب إرادة الغريزة الطبيعية في الإنسان، ولذلك فإن المسيحية ترى أن الزواج حق وضابط للغريزة[2].

والسيد المسيح يقر بالزواج بأنه حق لطالبه من البشر، وبأنه حل لضبط الغريزة سواء الجنسية أو حب البقاء – تخليد الاسم– ولا يقر بوجوبيته، فأمه كانت عذراء، وعاش هو نفسه حياة العزوبة[3].

وهو في تعاليمه حسب ما ورد في إنجيل متى قوله لتلاميذه ما يشير إلى أن البتولية أفضل من الزواج لمن أراد ملكوت السموات –الجنة عند المسلمين– (... فعدم الزواج أفضل...)[4].

وبولس بنى فتواه على أساس ما جاء في الإنجيل فقال: (... فإنه يحسن بالرجل ألا يمس امرأة، ولكن تجنبا للزنا، ليكن لكل رجل زوجته، ولكل امرأة زوجها، وليوف الزوج زوجته حقها الواجب، وكذلك الزوجة حق زوجها، فلا سلطة للمرأة على جسدها بل لزوجها، وكذلك لا سلطة للزوج على جسده بل لزوجته... وإنما الآن أقول هذا على سبيل النصح لا الأمر، فأنا أتمنى أن يكون جميع الناس مثلي... على أني أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه يحسن بهم أن يبقوا مثلي، ولكن إذا لم يمكنهم ضبط أنفسهم، فليتزوجوا، لأن الزواج أفضل من التحرق)[5].

---

[1] - لقد قصص المعجم الضوابط الشرعية للنسل من أجل حماية خصوبة الشعب المختار، أنظر المرجع نفسه، ص 307.

[2] - خالد بن محمد الشنيبر، **حقوق الإنسان**. ط1، مكتبة الملك فهد، 1430هـ 2009م، ص 412.

[3] - بولس باسيم، المرجع المذكور أعلاه، ص 404.

[4] - متى 10:19 وما بعدها.

[5] - **الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس** 7:1-9.

ويقول بولس في نصائحه للعزاب: (وأما العزاب، فليس عندي لهم وصية خاصة من الرب، ولكني أعطي رأيا باعتباري نلت رحمة من الرب لأكون جديرا بالثقة... أظن أنه يحسن بالإنسان أن يبقى على حاله، فإن كنت مرتبط بزوجة فلا تطلب الفراق، وإن كنت غير مرتبط بزوجة فلا تطلب زوجة... ولكن إن تزوجت فأنت لا تخطئ، وإن تزوجت العذراء فهي لا تخطئ، ولكن أمثال هؤلاء يلاقون مشقات معيشية، وأنا إنما أريد حمايتكم منها)[1].

من خلال هذه النصوص لا يكون طلب النسل مقصدا من مقاصد تعاليم السيد المسيح، فكأن مجيئه كان مع نهاية الحياة على الأرض واقتراب ساعة الدينونة، وغرض الله على الأرض وهو ملء الأرض قد تم.

الفرع الثالث: في الإسلام.

يبين القرآن الكريم أن الله تعالى بنى الطبيعة على الزوجية، وجعل التزاوج أساسا لحركة الكون وتطوره قال تعالى: "**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**"[2] وقال سبحانه: "**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون**"[3].

وأشار القرآن إلى أن النسل يكون عن طريق العلاقة الزوجية في عالم الأسباب "**خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها... يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث**..."[4] وقال أيضا: "**...جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه**..."[1].

---

[1] - **الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس** 7:25-28.

[2] - **سورة يس**، الآية 36.

[3] - **سورة الذّاريات**، الآية 49.

[4] - **سورة الزمر**، الآية 6.

وقال أيضا: "**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا**"[2].

هذه النصوص القرآنية التي نعرضها تبين أن مشكلات العالم الاجتماعية تحل على أساس الزوجية والنسل وليس العكس فتحديد النسل مثلا لا يمثل في الإسلام حلا لمشكلة الفقر أو المجاعة، والآيات تشير إلى أن كثرة النسل هو أساس مهم في الحل، وليس في قلته أو الحد منه، وإنما المشكلات الاقتصادية والاجتماعية تكمن في نوعية النسل.

النسل ضرورة لبقاء النوع ووجود النفس الإنسانية، والرغبة الجنسية العارمة تدفع إليه دفعا، وحتى لا يكون قائما على الفوضى –كما أشرنا في التمهيد للموضوع– أمر الإسلام بالزواج كحل وحيد وصحيح للمسألة واعتبر غير ذلك من السبل سفاحا وفسادا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[3]. –الباءة: مؤنثة الزواج، والوجاء: أي أن الصيام قاطع للشهوة–[4].

وقال الله عز وجل: "**والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين**"[1]، وقال أيضا: "**وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين**"[2].

---

[1] - **سورة الشورى**، الآية 11.

[2] - **سورة النساء**، الآية 1.

[3] - صحيح مسلم (2/ 1018) 1 - (1400)

[4] - صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: عصام الصبابطي وآخرون، ط1، القاهرة مصر: دار الحديث، 1415هـ 1994م، ص 189.

قال محمد محي الدين: "الشريعة حضت على الزواج لتحصين النفس الإنسانية، والبعد بها عن انتهاك الحرمات، ... فليس أضر بالأمة... من انتشار الفسق"[3].

وقال للذين يمكنهم أن يحصلوا على مؤنة الزواج، ولكن بسبب فقرهم اليومي يمتنعون عن الزواج: "**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**"[4].

والدليل على أن الله يرزق الإنسان بالزواج يشير إليه قوله عز وجل: "**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم**"[5].

وقال الله تعالى للذين يستغرقون في عمل الآخرة بالزهد في الدنيا: "**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**"[6].

ويشرح هذا النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال للذين يريدون أن يتبتلوا: "... وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[7].

---

[1] - **سورة المعارج**، الآية 29. ذكرت الزواج في الحلال دون ذكر ملك اليمين للأصل فقط.

[2] - **سورة النساء**، الآية 24.

[3] - محمد محي الدين عبد الحميد، المرجع السابق، ص 11.

[4] - **سورة النور**، الآية 32.

[5] - **سورة الإسراء**، الآية 31. وأنظر **سورة الأنعام**، الآية 151.

[6] - **سورة القصص**، الآية 77.

[7] - صحيح البخاري (7/ 2) 5063

والإسلام اهتم بالنسل وبنوعية النسل، فلعلمه بأن العرق دساس، وأن صفات الوالدين تنتقل إلى الأبناء[1] فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع"[2].

وقال للرجل: "تنكح المرأة على إحدى الخصال لجمالها، ومالها وخلقها ودينها، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك"[3].

وقال للمرأة في اختيارها لشريك حياتها: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"[4].

ومن أجل تحقيق النوعية الجيدة للنسل –الولد– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم"[5].

وقال أيضا: "خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده"[6].

وتجدر الإشارة بهذا الصدد أنه قد يستثنى من العموم بعض الأفراد الذين يريدون تنظيم نسلهم أو تحديده

[1] - أحمد العايد وآخرون، المرجع السابق، ص 835.

[2] - التواتي بن التواتي، **المبسط في الفقه المالكي بالأدلة**. ج4، ط2، الجزائر: دار الوعي، 1431هـ 2010م، ص 69.

[3] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 174) 2680

[4] - سنن الترمذي ت شاكر (3/ 386) 1084

[5] - سنن أبي داود ت الأرنؤوط (3/ 395) 2050

[6] - سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (1/ 162) 241

لأسباب مشروعة، كالذي ذهب إليه أبو حامد الغزالي حيث أجاز العزل لأسباب منها كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد، اعتمادا على مثل ما روى مسلم عن جابر قوله: "كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغه ذلك فلم ينهنا".

ولذلك يجوز استعمال الدواء لمنع الحبل في وقت دون وقت كالعزل، ولا يجوز التداوي لمنع الحبل بالكلية[1].

المطلب الثاني: مقومات حماية النسل.

تمهيد:

إن المقومات الأساسية لحماية النسل من الفوضى المشاعية، وما ينجم عنها من فساد أخلاقي، ومن مظالم واعتداءات، تتمثل في أمرين هما: الأسرة وما تعتمد عليه من نظام، وتحريم جرائم الزنا وعقوبتها.

واهتمت الأديان بما يتعلق بالأسرة وتحريم الزنا، وسنتناول هذا في اليهودية والمسيحية والإسلام.

الأسرة هي خلية المجتمع الإنساني، وهي المحضن الذي ينتج النسل الذي يفترض فطريا أن يكون صالحا، لأن في الأسرة يشعر كل من الزوجين بأنه قد اكتمل بالآخر، وبالتالي يكون بينهما السكن، والطمأنينة النفسية، ومن ثم الإحساس الدائم بالمودة والرحمة وهذه المزايا الفطرية هي التي يتغذى منها الأولاد منذ أن يكونوا أجنة في بطون أمهاتهم إلى أن يخرجوا إلى الحياة فيكبروا عن طريق التأثير النفسي، والتربوي والتوجيهي، وهو الواجب والشعور بالمسؤولية التي يتحملها الوالدان فطريا.

الأسرة إذن تجعل النسل بمنأى عن كل مظاهر الفساد.

[1] - وهبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**. ج3، المرجع السابق، ص 554-555.

وأما جريمة الزنا فهي فوضى النسل، وهي جريمة في حق طبيعة حب البقاء، وتمييز النسب، ولذلك فإن تحريمها والعقوبة عليها حماية النسل، وحفظ النفس، ووجه جرم الزنا يتمثل في النتائج نقلها من مقال سيد سابق بشيء من التصرف كما يلي:

- انتشار الأمراض الخطيرة، والمعدية، وتنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، وكثيرا ما تؤدي إلى الموت.
- كثيرا ما يتسبب جرم الزنا في جرائم القتل بسبب الغيرة، والتنافس على المرأة الواحدة[1].
- مفسدة لنظام الأسرة، وقاضية على العلاقة الزوجية، ومعرضة الأولاد لسوء التربية، مما يتسبب عنه التشرد، والانحراف والجريمة.
- وإذا كان الطفل لقيطا كان أكثر ضياعا، لأنه ما عرف قط دفء الأسرة، ولا تذوق حنان الوالدين.
- الزنا جريمة مروجة للعزوبة، وسبب في العزوف عن الزواج.
- الزنا لا تهدف إلى إيجاد النسل —عادة– وإنما لقضاء نهم الشهوة فحسب[2].

ويقول سيد قطب مبينا علاقة الزنا بالنفس: "إن في الزنا قتلا من نواحي شتى، إنه قتل ابتداء لأنه قتل لمادة الحياة في غير موضعها، يتبعه غالبا الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين... قبل مولده أو بعد مولده، فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب لحياة شريرة،... وهو قتل في صورة أخرى... فتضيع الأنساب، وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد، وتتحلل الجماعة، وتتفكك روابطها... وهو قتل للجماعة من جانب آخر، إذ أن

[1] - موسى بن هيمون، **دلالة الحائرين**. ترجمة: حسين اتاي، ط2، القاهرة مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 1429هـ 2008م، ص 693.
[2] - سيد سابق، المرجع السابق، ص 401-402.

سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها، والأسرة هي المحضن الصالح للفراخ الناشئة، لا تصلح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه"[1].

كانت الأديان السماوية محقة في اهتمامها بالأسرة، ومكافحتها للزنا، وهو ما يجب أن يتعاون من أجله إتباعها إنسانيا، فلننظر إلى ما ذكرته كتبها في سبيل ذلك.

الفرع الأول: في اليهودية.

إن في حماية النسل حفظ للنفس، واستمرار في البقاء، لكن قانون الطبيعة لا يسمح بالفوضى، لأنها مؤدية حتما إلى الفناء، وعليه فإن الديانة اليهودية أولت اهتماما بحماية النسل من الفساد عن طريق الأسرة، وتحريم فاحشة الزنا والعقوبة على مرتكبيها وسنبين ذلك فيما يلي:

أولا الأسرة:

المقصود بالأسرة الضوابط التي تقوم عليها التي من شأنها تضفي عليها خصيصة الجدية والمسؤولية والتبعات، وتبعدها عن جانب اللهو واللعب، فبناء الأسرة في اليهودية له آدابه وشروطه ومراسيمه، فيبدأ بالتعارف بين الفتى والفتاة وتدخل وسيط بينهما، ثم يتم الاتفاق أو عدمه، وتسعى أسرة الفتاة أن يكون زوج ابنتهم متعلما ويهوديا يخاف الله، ثم يتم حفل الإرتباط –أي العقد– بحث توضع فيه الشروط كالمهر، وقراءة وثيقة الإرتباط بصوت

[1] - سيد قطب، **في ظلال القرآن**.مج4، ج13، ط12، القاهرة مصر: دار الشروق، (د ت)، ص 2224.

عال، ويصحب هذا طقوس دينية رمزية أخرى[1]، ثم يعقب ذلك وليمة العرس ويركز فيها على الاستغفار والتوبة لاستقبال حياة ملتزمة جديدة[2].

ومن الضوابط أن السلطان المطلق في الأسرة يرجع إلى الزوج وعلى الزوجة القيام بشؤون البيت كلها، ومالها يتصرف فيه زوجها[3].

والشريعة اليهودية عبر نصوصها المقدسة حددت الأفراد الذين لا يجوز بينهم الزواج –أي المحارم–[4]، كما الشريعة حرمت الزواج من الأمم الأخرى لعلة الكفر وعبادة الأوثان ودليله ما ورد في سفر التثنية: (ومتى أدخلكم الرب إلاهكم إلى الأرض التي أنتم ماضون إليها لترثوها، وطرد من أمامكم سبع أمم، أكثر وأعظم منكم... وأسلمهم الرب إليكم وهزمتموهم، فإنكم تحرمونهم،... ولا تصاهروهم، فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم، ولا أبناءكم من بناتهم، إذ يغوون أبناءكم عن عبادتي ليعبدوا آلهة أخرى...)[5].

وهنا يتبين مدى حرص النص المقدس على نقاوة وطهارة النسل والعلة واضحة في ذلك[*76] أما الطلاق فتبيحه الشريعة للرجل بمحض إرادته متى شاء ولا تبيحه للمرأة[8].

ثانيا تحريم جريمة الزنا:

---

[1] - ألان أنترمان، المرجع السابق، ص 259-260.

[2] - المرجع نفسه، ص 261-262.

[3] - زكي شنودة، المرجع السابق، ص475؛ وانظر محمد محي الدين عبد الحميد، المرجع السابق، ص 120.

[4] - **سفر اللاويين** 18:6-18؛ وانظر زكي شنودة، المرجع المذكور أعلاه، ص 477.

[5] - **التثنية** 7:1-3؛ وانظر خالد بن محمد الشنيبر، المرجع السابق، ص 421.

[6] - مع ملاحظة أن العذراء المخطوبة المقصودة بالموت هي التي رضيت بالزنا، والرجل يقتل معها ويفهم هذا عند مواصلة قراءة النص.

[7] - [بغض النظر عن تسييس النصوص وتحريفها عن وجهتها لتصبح مسألة عدم المخالطة مرتبطة بالعرق أو العنصر].

[8] - زكي شنودة، المرجع السابق، ص 485.

لقد شددت اليهودية تحريمها لجريمة الزنا، فيقول زكي شنودة: "وقد فرضت الشريعة على الزوج والزوجة ألا يخون أحدهما أو كلاهما الرابطة التي تربط بينهما، ففرضت أشد العقوبات على الزنا، وقد جعلت اقترافه من الخطورة بحيث نصت عليه في الوصايا العشر... وقضت بالموت على الزوجة الزانية[1]، وقضت بالموت على العذراء المخطوبة* إذا زنت لأنها في حكم الزوجة"[2].

أما زنا غير المتزوجين وغير مرتبطين بخطوبة، فيحكم عليهما بالزواج ولا يباح في حقهما الطلاق أبدا[3].

وكذلك حرمت الشريعة الشذوذ الجنسي وبينت أنه فاحشة ورجاسة وعقوبتها الموت كما يبدو من النص التوراتي القائل: (بل كل من اقترف شيئا من هذه الرجسات جميعها تستأصل تلك النفس الجانية من بين شعبها)[4]، وذلك لأنه خارج عن مجرى الطبيعة[5].

[1] - **التثنية** 22:22.

[2] - **التثنية** 23:22. وأنظر زكي شنودة، المرجع المذكور أعلاه، ص 483.

[3] - **التثنية** 22:28-29.

[4] - **اللاويين** 18:29.

[5] - موسى بن ميمون، المرجع السابق، ص 698.

الفرع الثاني: في المسيحية.

مع أن المسيحية لا تشجع على الإنجاب والتكاثر، ولكنها لا تقبل أبدا بفوضى النسل، وإنما تعمل على حمايته بمقومين على غرار ما جاء في التوراة وهما الأسرة وتحريم الزنا

أولا الأسرة:

الأسرة تقوم على الزواج بميثاق غليظ يصوره السيد المسيح لمحاوريه قائلا: (... ألم تقرأوا أن الخالق جعل الإنسان منذ البدء ذكرا وأنثى، وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتحد بزوجته، فيصير الاثنان جسدا واحدا؟

فليس في ما بعد اثنين بل جسد واحد...)[1].

يقول "عرفان عبد الحميد فتاح": "استقر عند المسيحيين ... بأن الحياة الزوجية سر مقدس وعقد خالد لا يجوز حله بعد ربطه"[2]، قال السيد المسيح: (... فلا يفرقن الإنسان ما قد قرنه الله...)[3]، ولا يسمح للرجل أن يطلق امرأته إلا في حالتين اثنتين هما الزنا أو في حالة زواج مسيحي بوثنية وأراد الافتراق.

وتتفق الطوائف المسيحية على شروط الزواج –بعد استفاء ركن الإيجاب والقبول– العقل، وحرية الطرفين في الاختيار، الخلو من العيوب، واستيفاء الإجراءات الشكلية التي تفرضها القوانين الكنسية منها: عدم وجود ما يمنع من الزواج، وشهادة التعميد –العماد– المناداة –للتأكد من حضور الزوجين ورغبتهما– الاستعداد الأدبي وهو

[1] - **متى** 19:4-6.

[2] - عرفان عبد الحميد فتاح، **النصرانية**. ط2، كوالالمبور ماليزيا: دار التجديد، 1426هـ 2005م، ص 229.

[3] - **متى** 19:6.

عبارة عن عظة يقدمها الكاهن يوجهها إلى طالبي الزواج، وإرشادهما إلى الحقوق والواجبات، ثم مباركة الكنيسة من الكاهن[1].

"ولقد نهى الله عن الزواج بالأقرباء لأسباب صحية واجتماعية وأدبية، فهناك احتمال كبير أن يعاني الأطفال المولودون من أقارب من مشاكل صحية، وبدون هذه القوانين المحددة، يصبح الاتصال الجنسي غير الشرعي أكثر احتمالا أولا داخل العائلات ثم في خارجها، وعندما تبدأ علاقات جنسية غير سوية، تنهار الحياة الأسرية"، والمسيحية هنا تتبنى ما تنص عليه التوراة من **محرمات الزواج**[2].

ثانيا تحريم الزنا:

وتسميها المسيحية "النجاسة" وتعتبرها من أبشع أنواع الخطايا لأنها تشوه ما كان يفترض أن يكون حبا مقدسا، وتحوله إلى أحط من مستوى البهيمة، وهي خطيئة تميت الروح والنفس وتبعث على الكآبة والعقد النفسية المستمرة، ولذلك حرمت المسيحية مقدمات الزنا من فكر ونظر وقول، قال السيد المسيح إتماما لما جاء في التوراة: (وسمعتم أنه قيل: لا تزن. أما أنا فأقول لكم: كل من ينظر إلى امرأة بقصد أن يشتهيها، فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى فخا لك فاقلعها وارمها عنك، فخير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا يطرح جسدك كله في جهنم...)[3].

[1] - مصطفى الرافعي، **نظام الأسرة عند المسلمين والمسيحيين**. ط1، بيروت لبنان: دار الكتاب العالمي، 1990م، ص 28.
[2] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص 249.
[3] - **متى** 5:27-29.

أما عقوبتها فإن "بللي جراهام" يقول: بأن المسيح –يسوع– لا يصفح عن مرتكب الزنا، ولا يعاقب عليها، بل يدعو صاحبها بعدم العودة إليها فيغفرها، وهو الموقف وقفه السيد المسيح مع المرأة الزانية التي جيء إليه بها لإقامة الحد عليها، كما حكى ذلك إنجيل يوحنا 8:3-11[1].

الفرع الثالث: في الإسلام.

أولا الأسرة:

لقد اهتم الإسلام بالأسرة أيما اهتمام، وتمثل ذلك في التشجيع على الزواج أولا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج..."[2]، وقال الله تعالى: "**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**"[3]، وغير ذلك من الشواهد النصية من الكتاب والسنة تدل على التشجيع، وبعد الحصول على الرغبة بنى الإسلام الزواج على التعارف وحسن الاختيار فوجه فيه، فيوصي الرجل باختيار ذات الدين، والمرأة أيضا يوصيها بمن ترضى دينه وخلقه، وبالإضافة الفطرة غرسها الله تعالى في نفسي المتزوجين من مودة ورحمة وسكن، ألزم كلا منهما بالسير على النظام الذي يحدده من أجل مصلحتهما ومصلحة الأسرة التي ستنشأ كثمرة للزواج والأدلة على ذلك كثيرة أجملها القرآن وفصلتها السنة، تناولتها أيضا كتب الأحوال الشخصية في الإسلام، وكتب الفقه[4].

---

[1] - بللي جراهام، **سبع خطايا مميتة**. ترجمة: نبيه فريز، ط3، (د ب): مطبعة الخلاص، 1997م، ص 51.

[2] - صحيح البخاري (3/ 26) 1905

[3] - **سورة النور**، الآية 32.

[4] - محمود شلتوت، المرجع السابق، ص 148-170.

نحدد مسؤولية كل طرف كالقوامة للرجل على المرأة، وأن تطيع المرأة زوجها في المعروف، وواجباتهما معا اتجاه أولادهما بجمعها حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري ومسلم: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..."[1]

الأسرة المبنية على أسس قوية هي ضمان لنسل مؤهل لإقامة الخلافة عن الله في الأرض، وبعبارة أخرى هي جديرة لأن تنشئ حضارة إنسانية[2].

الإسلام أولا يحدد مجال اختيار الزوجة ويحرم على الرجل أن يتزوج من أصناف معينة تربطهم به علاقة قرابة أو رضاع أو مصاهرة، وذلك ما ذكره الله سبحانه في قوله: "**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة**"[3]، فهؤلاء جميعا قد حرم أحدهم على الآخر ونزهت علاقتهم عن النزعة الجنسية وذلك أمر تقتضيه الفطرة السليمة، والمشاعر الإنسانية النبيلة، وتحفظ هذه العلاقات والروابط من الفساد والتحلل، وتصون كيان الأسرة القائمة بتأسيسها على قواعد سليمة ومستقيمة[4].

وقد حرم الله على الرجل بعد هذا التحديد جميع النساء اللاتي في عقد غيره من الرجال، وهو ما ذكره الله سبحانه بعد المحرمات بقوله: "**والمحصنات من النساء**"[5]

---

[1] - صحيح مسلم (3/ 1459) 20 - (1829) صحيح البخاري (2/ 5) 893

[2] - محمد محي الدين، المرجع السابق، ص 10.

[3] - **سورة النساء** ، الآية 23.

[4] - عبد العظيم فودة، **الحكم بما أنزل الله**. ط1، الكويت: دار البحوث العلمية، 1407هـ 1987م، ص 221.

[5] - **سورة النساء**، الآية24

أما ما عدا هؤلاء من النساء فقد حرم عليه أن يتصل بهن اتصالا جنسيا مطلقا من كل قيد لأنه "زنا"[1].

والإسلام أيضا احتاط لما قد يقع في الأسرة من مشاكل بين الزوجين فحبب لهما الإصلاح وأوصاهما بالتقوى والإحسان وحدد لهما الخطوات اقرأ قوله تعالى: "**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح، وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**"[2].

وبعد السعي بالإصلاح بين الزوجين طويلا، وكانت النتيجة استحالة الجمع بينهما شرع الإسلام للزوجين الطلاق على كره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق"، ولكن جعل له قيودا للحد منه، كما جعل للمطلقين فرص الرجوع[3].

ثانيا تحريم جريمة الزنا وعقوبتها:

الإسلام جعل الزنا من الفواحش والكبائر، وحذر من التقرب منه، "مبالغة في التحرز، لأن الزنا تدفع إلى شهوة عنيفة، فالتحرز من المقاربة أضمن، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان... فلذلك يحرم الإسلام الخلوة وينهى عن التبرج..."[4].

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الزنا لا تجتمع مع الإيمان: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..."[1]. وبين القرآن أن الزنا اعتداء و"تجاوز الحد في البغي والفساد"[2]. قال الله عز وجل وهو يصف المؤمنين بأنهم لا يزنون:

---

[1] - عبد العظيم فودة، المرجع السابق، ص 221.

[2] - **سورة النساء**، الآية 34-35.

[3] - يوسف القرضاوي، **الحلال والحرام**. المرجع السابق، ص205-210. ومحمود شلتوت، المرجع السابق، ص170-177.

[4] - سيد قطب، **في ظلال القرآن**. المرجع السابق، ص2224. وسيد سابق، المرجع السابق، ص401. وانظر محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**. المرجع السابق، ص58.

"**والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولائك هم العادون**"[3].

وأما عن عقوبة الزنا فقد أوجبت الشريعة الإسلامية شهادة أربعة شهود على الجريمة، فإذا ثبتت جعلت الحد على الزاني والزانية مائة جلدة، يجلدانها أمام الناس حتى يرتدع كل من تسول له نفسه الأمارة بذلك، قال الله عز وجل: "**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**"[4].

وأما ما يتعلق بالشهود على الجريمة إن لم يستوفوا ولو بواحد فيجلد كل واحد ممن ادعوا الشهادة ثمانين جلدة كحد للقذف حتى يغلق الباب على المستغلين بأعراض الناس، ويشهدون الزور قال الله تعالى: "**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**"[5].

وجريمة أخرى أفحش من الزنا هي اللواط، وهي فعل قوم لوط عليه السلام، ما سبقهم إليها أحد من العالمين وهي خروج على الطبيعة بل حتى على الطبيعة الحيوانية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به"، ويلحق بالزنا أيضا السحاق وهو أيضا خروج على الطبيعة، فهو فعل النساء بعضهن ببعض، وعقوبته التعزير، وللعلاقات الجنسية الشاذة أضرار اجتماعية وخيمة[6].

---

[1] - صحيح البخاري (3/ 136) 2475

[2] - محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**. المرجع السابق، ج9، ص 52.

[3] - **سورة المؤمنون**، الآية 5-7.

[4] - **سورة النور**، الآية 2.

[5] - **سورة النور**، الآية 4. انظر محمد عزة دروزة، **الدستور القرآني والسنة النبوية**. ط2، (د ب): مطبعة عيسى الباي، 1386هـ 1966م، ص317-319.

[6] - وهبة الزحيلي، **المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع**. المرجع السابق، ص 58-60.

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق المطلب.

التوراة ترى أن التكاثر والتوالد واستثمار الأرض بالذرية أمر فطري في الإنسان، كما بينت التوراة أن الله عز وجل أراد من الإنسان أن ينتج ذرية صالحة، والتوراة تبين أن كثرة النسل مهمة في عمارة الأرض ، فهو الأمر الذي يتلاءم مع قانون الطبيعة.

تحديد النسل هي نظرية خاطئة في منظور النص التوراتي وعليه – فيما يبدو – تأسست فتوى علماء الشريعة التي حرمت استعمال حبوب منع الحمل والإجهاض إلا في حالات الضرورة.

والزواج في اليهودية واجب على الشباب الذي ناهز العشرين ؛ أما المسيحية فاعتمادا على ما جاء في العهد القديم تعتبر الزواج أمرا طبيعيا، والذرية منحة ربانية، ولكن لا يوجد نص يشجع الشباب على الزواج، لأنه أمر يتم حسب الإرادة الغريزية؛ سواء كانت إرادة جنسية —فالزواج خير طريق للحصانة– أو حبا في الاستمرار والبقاء ؛ أما البتولية فهي الأفضل في المنظور المسيحي.

والإسلام يناقض بتعاليمه المسيحية في مسألة البتولية، ويوافق اليهودية في كل ما ذهبت إليه نصوصها بخصوص النسل.

فاتفاق الإسلام واليهودية وعدم معارضة المسيحية يجعلنا من خلال النصوص المقدسة التي أوحى بها الله إلى عباده أو أودعها غريزةً في النفس الإنسانية ؛ نقول بكل اطمئنان : إن مشكلات الفقر والمجاعة – في منظور الأديان السماوية – تحل بكثرة النسل الصالح وليس بالحدّ منه؛ والحضارة الإنسانية تقوم على الذرية الصالحة الكثيرة. ولا نجد في أي نص من النصوص المقدسة ما يدعو البشرية إلى تحديد النسل أو الإجهاض خشية الاملاق أو العار، لأن أمر التوازن البيئي موكول إلى خالق الكون.

والأديان الثلاثة اتفقت أن السبيل الوحيد لحفظ النسل الصالح هو الزواج والأسرة وتحريم فاحشة الزنا، واعتبرت هذا الأخير جريمة في حق الإنسانية ويستحق مرتكبها العقوبة القاسية، إلا المسيحية فإنها وإن كانت قد نهت كما فعل الإسلام عن الاقتراب من الزنا بواسطة النظر ، وكشف المفاتن وغيرها ؛ غير أنها لم تصرح بالعقوبة واكتفت بطلب التوبة.

على أهل الكتاب أن يتعاونوا مع حكومات الدول والمنظمات المختصة بتشجيع الشباب على الزواج المبكر ليتحصنوا من الوقوع فاحشة الزنا والشذوذ الجنسي اللذين كانا سببا رئيسا في انتشار الأمراض المعدية والقاتلة كمرض الإيدز ، وعلى الحكومات أن تعمل بالقوانين التي سنتها أديان السماء ، وبدلا من أن تسعى منظمة الصحة العالمية في مكافحة مرض فقدان المناعة – الإيدز – عن طريق ترشيد العلاقات الجنسية المشاعية ! عليها أن تكافح العامل الرئيس في وقوع المرض وانتشاره وهو الزنا ، وكل الطرق المؤدية إليه كأفلام الإثارة المبثوثة في كل وسيلة إعلامية ، والتعري الفاضح للمرأة ، واختلاط الجنسين ... وغيرها . وخير لهذه المنظمات أن تتبنى في هذا الميدان توجيهات الدين ؛ لأنها تهدي للتي هي أقوم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: عوامل تنمية النفس

المبحث الأول: الأخلاق والعبادات.

المبحث الثاني: المال ومقومه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الأخلاق والعبادات.

المطلب الأول: المبادئ الأخلاقية.

تمهيد:

غرضنا في تناول هذا المطلب هو تبيان نظرة الأديان السماوية –المشهورة– للأخلاق المادية والمعنوية المتعلقة بتنمية النفس بشطريها المادي والمعنوي[1]، هذه النظرة هي نظرة واحدة، لأنها تصدر من منبع واحد، وهو الله الخالق، المربي، وبالتالي يسهل لدينا تحديد الفضيلة والرذيلة تحديدا واحدا، وتمييز الخير من الشر تمييزا واحدا، وليس كما تنظر إليه مدارس الغرب الاجتماعية والفلسفية والنفسية[2]،لأنها لا تؤمن بالدين أو الوحي، وعليه فإنها لا تفرق بين الأخلاق والعادات وإنما تنظر إلى كل مقومات المجتمع على أنها عادات وعرف وتقاليد وآداب عامة خاضعة للعصر ولظروف المجتمع، وأنها قابلة للتغير والتحول والتطور بحيث لا يثبت منها شيء[3].

ينقل محمد البوطي من بعض أصحاب المذهب الوجودي هذا القول: "إن الوجودية تقول إن عدم وجود الله معناه عدم وجود القيم المعقولة كذلك، وعدم وجود الخير بصورة مسبقة قبلية، لأن عدم وجود الله معناه عدم

[1] - في مسألة تقسيم النفس إلى مادي ومعنوي انظر عبد المجيد النجار، **مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة**. ط3، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2012، ص121-122.

[2] - أنور الجندي، **مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام**. ط1،دون بلد النشر: دار الإعتصام، 1397هـ 1977م، ص57.

[3] - المرجع نفسه، ص61.

وجود وجدان كامل لا متناه يعقل ذلك الخير، وهكذا يصبح القول بوجود الخير، أو بوجوب الصدق والنزاهة قولا لا معنى له"[1].

وكثير من علماء النفس والاجتماع الغربيين من أنكر القيم العليا والأخلاق، فينقل محمد قطب كلام فرويد في هذا الموضوع قوله: "إن الأخلاق تتسم بطابع القسوة حتى في درجتها الطبيعية العادية" ويشير بأن الاضطرابات النفسية والعصبية تنشأ من تناول جرعة كبيرة من هذه المادة السامة الخطرة التي تسمى "الأخلاق" ويرى فرويد بأن الإنسان غير أخلاقي بطبعه[2]، أي أن الأخلاق الفاضلة هو خروج على الطبيعة، وهي كبت لإرادة وحرية الإنسان الذي كان يفترض أن يمارس حريته بإرادته مطلقا، فالأخلاق عندهم إذن هي دخيلة على طبيعة الإنسان إنه خاضع للجبرية النفسية فلا يوجد فيه شيء يمنعه وإنما ينساق نحو شهواته وغباته كلما أحس بالحاجة إلى إشباعها.

بطاقة القوة والإرادة والامتناع لا يكون إلا بالجبرية النفسية بعد إشباع النهم، أما الأخلاق فهي إصدار لحرية الإنسان وكبت لا شعوري للنشاط الحيوي للإنسان أو بالأحرى للطبيعة الحيوانية في الإنسان.

أما الشعور بشيء من الحياء أو الرحمة أو الصبر أو بغيرها مما نراه قيما فيعتبر عقدا نفسية لا بد من الإسراع إلى علاجها.

ورد محمد قطب على هذه الأفكار بكلمة مهمة: "فلولا أن الطبيعة البشرية في ذاتها قابلة للتهذيب لما أمكن تهذيبها مهما كانت المحاولة المبذولة لذلك، ومهما كان عنف السلطان الذي يفرض التهذيب"، وأعطى مثالا

[1] - محمد سعيد رمضان البوطي، **المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة**. ط1، دمشق سوريا: دار الفكر، 1429هـ 2008م، ص261.

[2] - محمد سيد قطب، **الإنسان بين المادية والإسلام**. ط4، القاهرة مصر: دار الشروق، 1397هـ 1977م، ص90.

بإمكانية تهذيب بعض الحيوانات المتوحشة التي هي أدنى مرتبة من الإنسان[1].

وهذه النظرية مبنية على أساس الإلحاد والمادة مؤداها الفوضى في علاقات الناس فيما بينهم القوي يسيطر على الضعيف في عقله وجسده وماله، والضعيف يريد إنماء كل واحدة من هذه العناصر فيمنعها القوي أليس هذا سقوط فيما يحاربه هؤلاء التحرريون كأمثال فرويد؟.

هناك شريحة كبيرة من المثقفين والعلماء بعدما رأوا النتائج الوخيمة لتلك النظرية على المجتمعات الإنسانية فرأت بضرورة الإيمان بالقيم العليا والمثل الأخلاقية وإنشاء على قاعدتها دساتير وقوانين تنظم العلاقات حتى تكون راقية لكنهم احتاروا واختلفوا في مصدر التشريع هل هو الحاكم فيواجهه تحدي الجماهير، هل هو المجتمع بمختلف مستويات أفراده فيواجهه تحدي العلم والعقل والتجربة، هل هم ممثلو المجتمع عن طريق الانتخاب؟ فتواجهه مشكلة الأقلية ضد الأغلبية لأنها تشعر دائما بالقهر والتقص وعدم الثقة فيما يسن من قوانين[2]، المهم في هذا أن المصدر هو الإنسان، هذا الإنسان لا يمكنه أن يشرع لمثله ما دامت نفس الإنسان نزاعة للهوى والشهوة لما لها من مقومات كالشعور بالقوة والإرادة وهذا مما يعني اختلاف في معايير الأخلاق التي تميز لنا بين الجميل والقبيح وبين ماهو مقبول وغير مقبول وما فيه مصلحة وعكسها.

ولهذا فإن الدين هو الحل الوحيد لمشكلة نوازع النفس الإنسانية والدين ينشئه خالق الإنسان وليس الإنسان،

والذي تمثله الأديان السماوية الكبرى الإسلام واليهودية والمسيحية[3].

---

[1] - المرجع نفسه، ص90.

[2] - وحيد الدين خان، **الإسلام يتحدى**. ط6،ترجمة: ظفر الإسلام خان، بدون بلد نشر: دار البحوث العلمية، 1401هـ 1981م، ص159-160.

[3] - عباس محمود العقاد، **الفلسفة القرآنية**. بيروت: الكتب العصرية، د ط، د ت، ص29.

أما الأديان السماوية الكبرى جاءت لتبين لإنسان عناصر بناء حضارته الإنسانية، فالإسلام والمسيحية واليهودية كلها بينت –مع فروق في الكيف والأسلوب– للإنسان ماهيته، وبينت له مفهوم الحياة التي يعيشها، وبينت له المكونات التي حوله –ومنها التراب– كيف هي مسخرة له بأمر من الخالق عز وجل[1].

ومن أجل أن يقوم الإنسان بعمارة الأرض، وإنشاء حضارته، علمته كتب الأديان كيف يُفعل العناصر التي ذكرناها، والأخلاق الكريمة التي يجب أن يتحلى بها مع كل منها.

فمسؤولية التفاعل تقتضي التخلق مع الذات الإلاهية العليا أولا، ومع الحياة والمكونات ثانيا، والتوجيهات المختلفة التي تضمنتها الكتب السماوية في شتى مناحي الحياة، هي مبادئ أخلاقية ربانية، ومهما ظهر من احتجاج على بعض المواقف والتوجيهات فمردها دائما إلى الوصايا العشر التي هي القاسم المشترك بين الأديان.

الأخلاق هي عامل من عوامل تنمية النفس إذا تعوهدت عن طريق التربية والتزكية، وهي التي تعمل على ترقية الإنسان من الدرك البهيمي –بحكم الصفات المشتركة بينه وبين البهائم– إلى درجة الإنسان الكامل، الذي لا يمكن إلا أن يكمل إنسانيته بعقله، وبمحض إرادته، وهنا مفترق الطرق بين من يعتقد أن الدين هو المصدر الأساسي في الأخلاق كما هو عند أصحاب الأديان منها السماوية، وبين من يحاول إكمال إنسانيته بمحض عقله، وهذا لا يمكنه أن يصل إلى الهدف المنشود، لأنه يعتقد على سبيل المثال أن الحرية هي جوهر

الوجود المادي للإنسان، أي أن الإنسان لا يحقق ماهيته الإنسانية إلا من خلال ممارسته لحريته كاملة غير منقوصة، وبالتالي فإن الحرية لا يحدها أي دافع يدفع إلى العمل أو وازع يمنع من العمل يكونان خارجين عن الذات[1]، وهما من أهم الإمكانات للتعرف على الذات، ومن ثم تحديد المبادئ الأخلاقية المتوازنة والصحيحة.

[1] - محمد سعيد رمضان البوطي، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**. دمشق سوريا: دار الفكر، 1426هـ 2005م، ط7، ص20.

يقول نور الدين عنز: "الأخلاق ركن في كيان الإنسان الإنساني، وأساس من مقوماته التي يتميز بها، ويسمو كلما سمت أخلاقه، ويرقى كلما ترقت في معارج الكمال"[2].

ويبين نور الدين عنز أيضا أن الخلق منه ماهو سجية في النفس لها آثار على سلوك الإنسان، وماهو مكتسب بالعادة والتهذيب وغير ذلك من الوسائل[3].

ويقول أيضا بأن الخلق لا يقبل الإدعاء، وإنما لا يكون خلقا حتى يكون ممارسة في الواقع حسنا كان أم سيئا، فهو إذن إلزام وإلتزام[4].

وهو ضرورة اجتماعية، فلا بد منه ليتعايش أفراد المجتمع فيما بينهم في ثقة وأمانة وسلام[5].

الفرع الأول: في اليهودية.

إن من أكبر اهتمامات الأديان، معالجة قضايا السلوك، وإلزام أتباعها بمكارم الأخلاق، وهي الحدود المعنوية، والمادية التي تمنع البغي والظلم وكل أنواع الأذى، ولا تخترق الحدود إلا بعد إذن، من أجل تقديم يد المساعدة، والنصيحة، وكل تداعيات التعارف.

[1] - محمد سعيد رمضان البوطي، **المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة**. المرجع السابق، ص237.

[2] - نور الدين عنز، **فكر المسلم وتحديات الألف الثالثة**. دمشق سوريا: دار الرؤية، 1423هـ 2002م، ص246.

[3] - المرجع نفسه، ص246.

[4] - المرجع نفسه، ص247.

[5] - المرجع نفسه، ص247.

واستقراؤنا للأسفار الخمسة من العهد القديم جعلنا نقف على نصوص غنية بالمبادئ الأخلاقية التي تعمل على تهذيب السلوك، وتزكية النفس وتطهيرها، ووضعها في قلب الإنسانية لتنفع وتصلح وترفض الفساد وتقاومه وهذا الذي سنعرض أدلته في مطلبنا.

التوراة أمرت بحفظ الوصايا والعمل بها، والوصايا ماهي إلا أوامر بالتزام مكارم الأخلاق والنهي عن مساوئها، فذكرت مجملة فيما يسمى بوصايا العشر، وذلك كما جاء في سفر التثنية قال الرب: (... لا تنطق باسم الرب إلاهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا، أحفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلاهك،... أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلاهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلاهك، لا تقتل، ولا تزن، ولا تسرق، ولا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره، وكل ما لقريبك،... وإنه يكون لنا بر إذا حفظنا جميع هذه الوصايا لنعملها أمام الرب إلاهنا كما وصانا)[1]

ونجد هذه الوصايا مذكورة أيضا في سفر الخروج 20:1-17، بالعبارات نفسها وبعبارات أخرى، وتارة تكون وصايا مفصلة، فنجد فيها ذكرا للأخلاق التي تتعلق بالخالق سبحانه وتعالى وهي عبادته وحده، وعدم الإشراك به، وأخرى تتعلق بالناس وكيفية التعامل معهم.

[1] - التثنية 5:11-25.

ركزت التوراة على خلق التوحيد ومحاربة الشرك، وهي المسألة التي تبدأ بها الوصايا والتعاليم، ومقتضيات التوحيد التي ذكرتها التوراة التقوى (... وتخشى إلاهك أنا الرب)[1]، وقال الرب عن بني إسرائيل عندما سمع كلامهم عن جلاله (... ياليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقوني...)[2]

وكما جاء في أمثال سليمان قوله: (مخافة الرب رأس المعرفة)[3]، والتقوى هي الخوف من الله عز وجل، وهي التي تبعث على الالتزام بما أمر الله ونهى عنه.

ومن مقتضياته أيضا التوكل على الله تعالى وعدم الإعجاب بالنفس، فجاء في الأمثال أيضا قول النبي السليمان: (توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد، في كل طرقك أعرفه وهو يقوّم سبلك، ولا تكن حكيما في عيني نفسك، اتق الرب وابعد عن الشر)[4].

فيه تعليم للنفس على ربط الأسباب بربها، وأن الحلول والقوة منه وحده، وإذا رأى العقل رأيا وقال الرب حكما، قدم الحكم على الرأي، وهذه قمة الأخلاق مع الله، وهي رأس المعرفة.[التوراة بهذه النصوص التي نعرضها جميلة، فلم يفسدها إلا تلك النصوص التي تصف الإلاه بصفات الإنسان من حزن وندم ونسيان وغيرها. ونحن اخترنا نصوصا دون غيرها بما تتفق عليه الأديان الثلاثة].

وتبعا للبند الأول الذي جاء في الوصايا نجد تركيزا على الخلق الذي يتعلق بالعلاقات الأسرية وفي كل الوصايا لا تكاد تجد إهمالا لهذا العنصر فيوصي هنا بإكرام الوالدين فكل ما يسعدهما هو إكرام لهما، وكل ما يأسفان عليه

[1] - **اللاويين** 32:19.

[2] - **التثنية** 29:5.

[3] - **الأمثال** 7:1.

[4] - **الأمثال** 7:5-7.

هو أذى لهما، وفي مواطن أخرى تنهى نصوص التوراة عن العقوق كما جاء في سفر التثنية (إذا كان الرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه، ويؤدبانه فلا يسمع لهما... وهو مسرف وسكير، فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت، فتنزع الشر من بينكم، ويسمع كل إسرائيل ويخافون)[1].

[ويبدو من النص أن العقوبة المسلطة على من بلغ الرشد واشتد عوده من الأبناء].

وكررت التوراة الوصية بإكرام الوالدين[2]، وشددت في مسألة العقوق في مواضع، كما أنها أوصت بتربية الأولاد على الفرائض والأحكام التي قوامها العدل، ورد في سفر التثنية (وأي شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم اليوم؟ إنما احترز وأحفظ نفسك لئلا تنسى الأمور التي أبصرت عيناك، ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك، وعلمها أولادك وأولاد أولادك)[3].

وورد أيضا (... ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق، وحين تنام وحين تقوم...)[4].

هذا النص يشير إلى أن رعاية الأولاد تكون في كل حال وفي كل مكان.

وورد أيضا في سفر الأمثال (رب الولد في طريقه، فمتى شاخ أيضا لا يحيد عنه)[5].

[1] - **التثنية** 21:18-21.
[2] - **اللاويين** 3:19. **التثنية** 16:5.
[3] - **التثنية** 4:8-9.
[4] - **التثنية** 6:6-7.
[5] - **الأمثال** 22:6.

واهتمت التوراة أيضا بالأخلاق التي تتعلق بالعلاقات الاجتماعية، فحرمت قتل النفس والزنا والسرقة وشهادة الزور –وهي نوع خطير من الكذب– وخيانة الأمانة –وهي التي عبرت عنها الوصايا في كلمة "ولا تشتهي امرأة قريبك"...الخ–.

إن ما أدرج من النواهي في الوصايا يخضع لأهمية دفع الأذى وأولويته على جلب النفع، فإذا حصل الانتهاء عن الإيذاء تحقق الأمن والسلم وهو غاية ما تبحث عنه الإنسانية.

ومع ذلك فإن التوراة تعدت مستوى النواهي، ودعت إلى الفضائل فعندما حرمت الظلم أمرت بالعدل، انظر إلى سفر التوراة في سفر التثنية (لا تحرف القضاء، ولا تنظر إلى الوجوه، ولا تأخذ رشوة... العدل العدل تتبع...)[1].

وأمرت باحترام الشيخ (من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ، وتخشى إلاهك. أنا الرب)[2]. وأمرت بمعاملة الغريب معاملة حسنة إلى درجة أن يحب اليهودي الخير للغريب –النازل بمدينته– ما يحبه لنفسه (وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك، لأنكم كنتم غرباء...)[3].

كما أمرت بإبراء المدين اليهودي الفقير من ديونه في مناسبة السنة السابعة وتسمى سنة السبت [وتسمى أيضا سنة الإبراء، وهي سنة راحة لا يزرع فيها اليهود أراضيهم وإنما يتركونها راحة للأرض، ويتركون محاصيلها للفقير والغريب][4].

---

[1] - **التثنية** 16:19-20.

[2] - **اللاويين** 19:32.

[3] - **اللاويين** 19:33-34.

[4] - عبد المالك بطرس، وآخرون، المرجع السابق، ص 490.

ورد في سفر التثنية (في آخر سبع سنين تعمل إبراءً... يبرئ كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه، لا يطالب صاحبه ولا أخاه، لأنه قد نودي بإبراء للرب)[1]، وفي الفقرة الثالثة من الإصحاح نفسه نقرأ (الأجنبي تطالب، وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه).

وفي المناسبة نفسها تقضي الشريعة بعتق العبيد اليهود، جاء في التثنية (إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين، ففي السنة السابعة تطلقه حرا من عندك...)[2]، وسميت السنة السابعة أيضا بسنة العتق[3].

وأمرت التوراة بالصدقة على الفقير والمسكين (... افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك)[4].

وأمرت بإعطاء أجرة الأجير ولو كان غريبا (...لا تظلم أجيرا مسكينا وفقيرا من إخوتك أو من الغرباء الذين في أرضك في أبوابك، في يومه تعطيه أجرته...)[5].

وأمرت بالوفاء بالنذر (ما خرج من شفتيك احفظ واعمل، كما نذرت للرب إلاهك تبرعا، كما تكلم فمك)[6].

وفي مناسبة من المناسبات الفرح أمرت التوراة اليهودي أن يفرح مع عبده وأمته والغريب واليتيم والأرملة الذين هم جيرانه، فيه إشارة إلى وجوب إدخال السرور على الآخرين من الضعفاء المحزونين (وتفرح في عيدك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك)[1].

---

[1] - **التثنية** 15:1-2.

[2] - **التثنية** 15:12.

[3] - زكي شنودة، المرجع السابق، ص 263.

[4] - **التثنية** 15:11. [يلاحظ في الفقرة التركيز على الفقير اليهودي الذي يعيش في أرض الغني].

[5] - **التثنية** 24:14-15.

[6] - **التثنية** 23:23.

والتوراة تأمر اليهود بإعطاء حق اليتيم والأرملة، وبمحبة الغريب وتذكرهم بأنهم كانوا في وقت ما غرباء ليشعروا بشعورهم فلا يؤذونهم بل يكرمونهم مادام هم يقيمون في أوساطهم (لأن الرب إلاهكم... الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب الغريب ليعطيه طعاما ولباسا، فأحبوا الغريب لأنكم كنتم غرباء في مصر)[2].

وأمرت التوراة بأداء الأمانات إلى أهلها حتى ولو كان صاحب الأمانة عدوا (إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردا، ترده إليه...)[3]، وهكذا تكلمت التوراة بوجوب رد كل أنواع المفقودات (... وهكذا تفعل بكل مفقود لأخيك... لا يحل لك أن تتغاضى)[4].

وعلى رأس الأخلاق –التي يجب أن يلتزم بها الإنسان مع نفسه وفي علاقاته الاجتماعية والأسرية– الصدق واجتناب الكذب ففي سفر الخروج ورد النص التالي: (لا تقبل خبرا كاذبا، ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم...)[5]، وورد أيضا: (ابتعد عن كلام الكذب)[6]، والكذب يتسع مدلوله ليشمل الغش والخداع وعدم مطابقة الفكر واللسان، والكذب يكبر إثمه عندما يعزز بحلف اليمين لأنه يدنس اسم الله تعالى، وشهادة الزور نوع من الكذب كما ذكرنا في بداية مطلبنا[7].

هذه أمثلة على أمهات الفضائل الاجتماعية والإنسانية، والشعائر الطقسية والعبادات تعتبر أخلاقا كريمة اتجاه الإلاه في عمومها.

---

[1] - **التثنية** 14:16.

[2] - **التثنية** 19-17:10. **الخروج** 9:23.

[3] - **الخروج** 4:23؛ وانظر **التفسير التطبيقي**. المرجع السابق، ص 178.

[4] - **التثنية** 4-1:22.

[5] - **الخروج** 1:23.

[6] - **الخروج** 7:23.

[7] - بولس باسيم. المرجع السابق، ص 655.

وإن شريعة التوراة اهتمت بجانب تزكية النفس وتربيتها وتعليمها، فعندما وصى موسى يشوع ببني إسرائيل قال له: (...اجمع الشعب، الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك، لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلاهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة، وأولادهم الذين لم يعرفوا، يسمعون ويتعلمون أن يتقوا الرب إلاهكم كل الأيام التي تحيون فيها على الأرض...)[1].

وفي تطهير النفس وتزكيتها كلم الرب موسى قائلا: (كلم كل جماعة بني إسرائيل وقل لهم تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلاهكم)[2].

هنا يأمر الرب بني إسرائيل أن يطهروا نفوسهم ولا يكتفوا بالطهارة الظاهرية الطقسية، فالشعائر لابد أن تصحبها تقوى القلوب[3]، وورد في بعض أسفار العهد القديم ما يعني وجوب تطهير النفس والقلب[4] ولا تكون تزكية للنفس إلا عن طريق التربية والتعليم[5].

الفرع الثاني: في المسيحية.

وعلى المنوال نفسه واصلت المسيحية الرسالة الأخلاقية السامية لتلزم بها أتباعها، وأخذت الحظ الأكبر من تعاليم السيد المسيح عليه السلام، وغلب عليها الجانب الصوفي، فاهتمت بالفضائل النفسية كثيرا كالإخلاص، والزهد، والتسامح، والتواضع، ورحمة المخطئين، والمحبة، وإصلاح القلب، والتربية الروحية، وهذا ما سنستدل عليه من خلال نصوص الأناجيل.

---

[1] - **التثنية** 31:12-13.

[2] - **اللاويين** 19:1-2.

[3] - بولس باسيم. المرجع السابق، ص 621.

[4] - **يشوع** 3:5. **الأمثال** 22:11.

[5] - **الأمثال** 3:13-18. **الأمثال** 2:1-22.

وأول خلق حري بنا أن نبينه من أقوال السيد المسيح، هو خلق توحيد الله بالعبودية والألوهية، فورد في إنجيل متى ما يلي: (... للرب إلاهك تسجد وإياه وحده تعبد)[1]، وورد أيضا: (... الرب إلاهنا رب واحد، فأحب إلاهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك، وبكل قوتك...)[2]، وعندما قال واحد من علماء اليهود (من جماعة الكتبة) معلقا على السيد المسيح (... صحيح يا معلم حسب الحق تكلمت، فإن الله واحد، وليس آخر سواه ومحبته بكل القلب وبكل الفهم وبكل القوة،... أفضل من جميع المحرقات والذبائح)[3] قال له السيد المسيح تقريرا لكلامه: (لست بعيدا عن ملكوت الله)[4].

ويذكر السيد المسيح أن توحيد الله وعبادته وحده، ومحبته، هي إحدى الوصيتين التي ركز عليها جميع الأنبياء وهي محور الشرائع التي جاءوا بها.

قال المسيح: (بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء)[5].

ومن هنا نقول: توحيد الله في ألوهيته وربوبيته هو قيمة الخلق الذي يجب أن يتحلى به العبد اتجاه الخالق، وأسوأ الخلق أن يتخذ مع الله إلاها آخر يعبده أو يسجد له.

ومن مقتضيات توحيد الله، محبته لأنه مصدر النعم، وكذلك التقوى*[1] –الخوف من الله– لأنه يغضب على

[1] - متى 10:4.
[2] - مرقس 12:29-30.
[3] - مرقس 12:32.
[4] - مرقس 12:34.
[5] - متى 22:40.

العصاة، ويعاقبهم.

جاء في إنجيل لوقا قول السيد المسيح لأصحابه المضطهدين: (...لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ثم لا يستطيعون أن يفعلوا أكثر من ذلك، ولكني أريكم ممن تخافون، خافوا من القادر أن يلقي في جهنم بعد القتل، نعم، أقول لكم، من هذا خافوا)[2]، علق المفسر "ماكدونالد" قائلا: "كان يلزم التلاميذ أن يخافوا الله أكثر من الإنسان"[3].

وأما عن المقتضى الثاني لخلق التوحيد فهو التوكل على الله، يقول صاحب المعجم اللاهوتي: "يحتاج الإنسان في مواجهته لمسؤوليات الحياة، ومخاطرها إلى معتمدات يستطيع أن يستند إليها... وإلى ملاذ يحتمي فيها، وهذا الاعتماد يرتكز على الثقة بقدرة الخالق"[4] واستدل بما جاء في سفر إرميا 17:5-7، وفي المزمور 12:2، وفي المزمور 10:32[5].

ولكن في الإنجيل يأتي تكريس خلق التوكل على الله بالمعنى، فعلى سبيل المثال يذكر أن رجلا جاء إلى تلاميذ المسيح المقربين ليخرجوا الروح الشريرة من بدن ابنه المريض فلم يقدروا، ثم لجأ إلى السيد المسيح قائلا: (... إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شيء مستطاع للمؤمن...)[6].

---

[1] - [التقوى في مفهوم المسيحية هي عبادة الله بمحبة وهي تطور لعبادة الله النابعة من مخافة الله، أما مسألة الخوف لا تكون إلا في زمن الدينونة الذي سيجعل العصاة يرتعدون خوفا، إذن لا محل للخوف في ظل الإيمان بالمسيح حتى ولو كان صاحبه عاصيا معترفا. أنظر في هذا: بولس باسيم، المرجع السابق، ص 205-206 و719.]

[2] - **لوقا** 4:12.

[3] - الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل www.arabicbible.com في تفسير **لوقا** 4:12.

[4] - بولس باسيم، المرجع السابق، ص 219.

[5] - المرجع نفسه، ص 219.

[6] - **مرقس** 27:17.

في هذه القصة إشارة واضحة إلى وجوب التوكل على الله، ولا يكون التوكل إلا بالإيمان، وأراد السيد المسيح أن يجعل أمر الاستطاعة متوقفا على مدى إيمان الشخص أيا كان وليست ميزة خاصة بالمسيح، وأن ما يصنعه المسيح هو من صنع الله[1].

توحيد الله، ومحبته، والخوف منه، والتوكل عليه هي أسس الأخلاق الكريمة التي يجب أن تتحلى بها نفس الإنسان اتجاه خالقها، والنفس تنمو في جانبها الروحي كلما تعمق سلوكها بتلك الأسس.

وإذا اتجهنا إلى الحديث عن الأخلاق المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية والإنسانية، فهي كثيرة في الكتاب المقدس لخصها السيد المسيح في الوصية الثانية المعروفة في التوراة[2] والتي أجاب بها سائليه: (... والثانية مثلها أحب قريبك كنفسك...)[3]، قال المفسرون: "فالوصية الأولى والثانية هي خلاصة الوصايا العشر، وكل الشرائع الأدبية في العهد القديم... وبدلا من القلق عما لا يجب أن نفعله، يجب أن نركز على ما نستطيع أن نفعله لإظهار محبتنا لله وللآخرين"[4]، والأناجيل أكدت على مجموعة من الأخلاق التي تناولتها تعاليم التوراة سواء بالأمر أو النهي كوجوب إكرام الوالدين[5]، وفضيلة الصدق وبمفهوم مخالف الابتعاد عن الكذب[6].

---

[1] - **لوقا** 8:39-40.

[2] - **التثنية** 6:5. و**اللاويين** 19:18.

[3] - **متى** 22:39. و**مرقس** 12:31.

[4] - التفسير التطبيقي. المرجع السابق، ص 1944.

[5] - **متى** 15:4 و19:18، **مرقس** 7:1-13 و10:19، **لوقا** 18:20.

[6] - **يوحنا** 3:11.

والنهي عن الحلف تعميقا لخلق الصدق ومقتا للكذب[1] والنهي عن شهادة الزور[2] التي كان السيد المسيح ضحية لها. وأمرت الأناجيل بأداء الأمانة ونهت عن الخيانة[3]، وحاربت النفاق[4] كما حاربت الرياء والتكبر والعجب[5] وشجعت على الإخلاص[6].

وعلمت تعاليم الأناجيل الرحمة والتواضع في أفعال وأقوال المسيح[7] وأمرت من تصدر لإصلاح الناس أن يصلح نفسه أولا[8]، كما نهت عن القسوة اتجاه المخطئين[9] ونهت عن الظلم، وأشادت بالعدل وجعلته مع الرحمة وأداء الأمانة أهم ما في الشريعة[10].

وفي العموم حذرت تعاليم المسيح من اقتراف الجرائم، كما حذرت أن يكون الإنسان سببا في سقوط الناس فيها[11]، قال السيد المسيح: (لا بد من أن تأتي العثرات، ولكن الويل لمن تأتي على يده...)[12].

إن كل ما ذكرنا من مفردات الأخلاق، يوجد نحوها في العهد القديم، غير أن السيد المسيح، اتخذ طرقا حكيمة لمعالجة الأمراض الأخلاقية، فمن أجل ألا تنتشر عدوى الآثام والجرائم توعد كل من كان سببا في انتشارها مما يحد

---

[1] - **متى** 5:36-37.

[2] - **متى** 19:18.

[3] - **لوقا** 18:20.

[4] - إقرأ المثل في **متى** 21:28-32.

[5]

[6] - **لوقا** 21:1-4.

[7] - **مرقس** 10:13-16. **لوقا** 14:11.

[8] - **لوقا** 6:41-42.

[9] - **لوقا** 7:36-43. **يوحنا** 3:17.

[10] - **متى** 23:23.

[11] - **مرقس** 9:42-50.

[12] - **لوقا** 17:1-2.

من رقعة المرض كما أشرنا قبل قليل، وللحد من مشكلة جريمة القتل، عالج مسألة الغضب وعدها بمثابة الجريمة نفسها[1] كما أن السيد المسيح نهى عن الإفراط والشراهة والاستغراق في بعض الأفعال كالأكل والشرب والمال والبخل وغيرها، فالأكل بإفراط على إهلاك النفس، وشرب الخمر بإفراط سبب في الزنا، والظلم، والعنف، والكلام البذيء[2].

يقول القس "يعقوب عماري" معلقا على عظة الجبل للسيد المسيح: "... يلاحظ ملامح النقلة النوعية التي سما بها المسيح تعاليمه فوق ما ورد في شريعة التوراة، علما بأن المسيح لم يتجاوز الشريعة الموسوية ولم يلغيها، بل بنى عليها وحسن البناء وعلاه إلى مستوى لم يكن لأتباع التوراة أن يصلوا إليه أو يتحملوه... ففي شريعة المسيح، حتى النظرة الشهوانية مدانة من الله..."[3]، لأن النظر إلى الحرام وتكراره جار للوقوع في خطية الزنا.

ومما تميزت به تعاليم المسيح في مجال العلاقات أيضا اعذار الناس في هفواتهم فلا ننتقدهم ولا نذمهم لا في قلوبنا ولا في كلامنا[4]

وأيضا من تعاليم المسيح نهيه عن الانتقام، ومقاومة الشر، جاء في إنجيل متى قول المسيح: (سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بمثله، بل من لطمك على خدك الأيمن، فأدر له الخد الآخر...)[5]

---

[1] - بللي جراهام، المرجع السابق، ص 22.

[2] - المرجع نفسه، ص 54-66.

[3] - يعقوب عماري، المرجع السابق، ص 98.

[4] - ا.ل. هملتون، **قوانين ملكوت السموات**. ترجمة: عدلي فام، ط5، (د بلد): مطبعة الخلاص، 1995م، ص 101.

[5] - **متى** 5:38-39.

هذه الكلمة قالها السيد المسيح عليه السلام في ظروف عسيرة كان هو وأتباعه مضطهدين، ضعفاء، فلم تكن مقاومة الشر ناجحة لو حدثت، وهو الذي دفع "هملتون" لأن يقول "بأن النص لا يريد منا الاستغناء عن رجال الحرب، والقضاة، ورجال الشرطة والسجون"[1]، غير أن ذلك التعليم ينطبق على الأفراد ممن يريدون العيش في ملكوت الله[2].

وتعليم آخر وجهه السيد المسيح لأتباعه ألا وهو محبة الأعداء، والإحسان إليهم، والصلاة من أجلهم، وهو ما نقرأه في إنجيل لوقا مثلا: (... أحبوا أعداءكم، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم، باركوا لأعينكم، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم،... ومن انتزع رداءك فلا تمنع عنه ثوبك... ومن اغتصب مالك فلا تطالبه، وبمثل ما تريدون أن يعاملكم الناس عاملوهم أنتم أيضا...)[3].

من خلال هذا النص المقدس، يمكن أن نقول بأن المسيحية دعت إلى الزهد في الماديات، حتى من تعامل معنا بالعنف لا نقابله إلا بالمسامحة، والتنازل، وأن لا يكون طمع إلا في الحياة الأبدية وملكوت السموات[4]، وأمرت المسيحية أبناءها أن يكونوا خيرين نافعين للناس، وهو ما ركز عليه السيد المسيح في أفعاله[5]، وفي أقواله والتي منها: (... إن أراد أحد أن يكون الأول، فليجعل نفسه آخر الجميع، وخادما للجميع...)[6].

وركزت تعاليم المسيح على المبادرة بفعل الخير، فكان يجمع المسيح بين الكرازة بالإنجيل والفعل الإنساني، والتلاميذ كانوا يتعلمون منه ذلك، ويظهر من الأحداث أن كثيرا من الناس كانوا يشتكون من الأمراض المختلفة،

[1] - ا.ل. هملتون، المرجع المذكور أعلاه، ص 42.
[2] - المرجع نفسه، ص 43.
[3] - **لوقا** 6:27-36.
[4] - هملتون، المرجع السابق، ص 73.
[5] - **مرقس** 1:29-34، 2:1-12، 3:2-12.
[6] - **مرقس** 9:35.

والسيد المسيح قام بإسعافهم، وسمى الفعل خيرا ودليله هو شفاؤه لرجل صاحب اليد اليابسة في السبت المقدس، فعندما اجتمع عليه بعض المناوئين على فعله ذلك في يوم السبت أجابهم قائلا: (هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر؟ تخليص نفس أو قتل؟)[1].

فالخدمة الإنسانية أصيلة في حياة المسيح عليه السلام وأمر بها أتباعه فلاحظ قوله: (... فحتى ابن الإنسان قد جاء لا ليُخدَم، بل ليَخدِم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين)[2]، ولاحظ قوله: (...لأني أعطيتكم مثالا(قدوة) حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضا)[3].

وإن أعمال الخير والإحسان يشملان الإنسانية كلها في المفهوم المسيحي[4]، ويؤيد هذا إبراء السيد المسيح لابنة المرأة الكنعانية[5] وجاء في إنجيل متى قول السيد المسيح لأتباعه: (... فتكونوا أبناء*[6] أبيكم الذي في السموات فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار وغير الأبرار)[7].

[1] - مرقس 4:3.

[2] - مرقس 45:10.

[3] - يوحنا 15:13. وانظر بولس باسيم، المرجع السابق، ص 300.

[4] - عز الدين عناية، **الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**. ط1، دار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر، 2014م، ص 103.

[5] - متى 22:15-28.

[6] - يلاحظ على كلمة أبناء الله ليست خاصة بالابن الوحيد، ولهذا فهي تعني عباد الله المخلصين.

[7] - متى 45:5. استدل بهذا النص على عموم فعل الإحسان عز الدين عناية، المرجع المذكور أعلاه، ص 103.

وفي مجال تزكية النفس وتربيتها تحدد المسيحية الجانب المادي في الإنسان والجانب الروحي والعلاقة بينهما، وأن الإنسان له مولودان، مولود جسدي، ومولود روحي، والمولود الروحي يكون بحلول روح القدس*[1] في الجسد، وهو منحة من الله يستفيد منها المؤمنون[2].

وبين السيد المسيح خطأ من يهتم بالجانب الظاهري وهو هيئة الجسد، وينسى الجانب الروحي والنفسي، فكم كان ينتقد الناس في هذا السلوك[3]، ويبين السيد المسيح أن الأصل في الإنسان سلامة الفطرة، غير أن

هذه الفطرة يفسدها الإنسان نفسه إذا لم يعمل بالتوجيهات[4]، كما أنه بين أن الإنسان هو مصدر الشر انطلاقا من القلب، عندما تتكون فيه الفكرة الخبيثة، فلا تأتي إلا بالنتائج الخبيثة قال السيد المسيح: (... لأنه من الداخل من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة: زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع،... جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان)[5].

والجدير بالذكر أيضا أن منهجية المسيح عليه السلام في تربية نفوس أتباعه وصقل عقولهم وتنميتها كان يبين لهم عن طريق الأمثال أصناف الناس في مدى تأثرهم بالكلمة الصالحة، وأنواع القلوب وهذا من أجل أن يوضح لهم

[1] - روح القدس هو الذي يؤيد المؤمن ويهديه إلى العمل الصالح.
[2] - التفسير التطبيقي، المرجع السابق، ص 2178.
[3] - لوقا 39:11.
[4] - التفسير التطبيقي، المرجع السابق، ص 2126.
[5] - **مرقس** 7:20-23.

أدواءها فيهرعون إلى معالجتها[1] كما بين أن الهداية لا تكون إلا لمن استعمل أدوات العلم السمع والبصر، والعقل، وإرادة الهداية[2].

الفرع الثالث: الإسلام.

إن مصدر نظام الأخلاق في الإسلام هو الوحي المتمثل في القرآن الكريم، وأحسن شخصية مثالية التي شرحت لنا المبادئ النظرية قولا وعملا هي شخص النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، لقول الله تعالى: "**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**"[3].

القرآن الكريم فيه زخم كبير من التوجيهات الأخلاقية والمبادئ السلوكية في شتى الظروف، ومختلف الأحوال ولا يمكن أن نحصرها في بحثنا، فكل خلق أو مبدأ يمكن أن يؤلف فيه كتاب مستقل، ولذلك كان عملنا هو تسليط الضوء على بعض المبادئ والتوجيهات لنبين ما أمكننا مدى أثرها في تنمية النفس.

أولا: التخلق مع الله بخلق حسن.

وافق الإسلام كلا من اليهودية والمسيحية ما ورد في كتابيهما –التوراة والإنجيل- ما نصه: (للرب إلاهك تسجد وإياه وحده تعبد)، فالإيمان بالله، وتوحيده بالتعبد، وحبه وطاعته وعدم طاعة أحد في معصيته، هذه هي الكلمة السواء التي تقف عليها الأديان الثلاثة، فمن العيب أن نقر بأن الله هو الذي خلق كل شيء ثم نعبد معه غيره،

[1] - **متى** 13:1-9 و13:18-23.

[2] - **متى** 13:10-17.

[3] - **سورة الأحزاب**، الآية 21.

ونسجد لغيره ومن حق الله أن يغضب على عباده عندما يسيئون الأدب معه، فيعبدون غيره أو يطيعون غيره أو يحبون غيره، أو يعتمدون على غيره، ولهذا نجد في عرض القرآن تركيز على موضوع الخلق مع الله، وتوعد من جحده أو أشرك به أو قدم بين يديه شيئا بالغضب الشديد والعذاب الأليم، لقد نبئ القرآن الكريم قول لقمان لابنه: "...**إن الشرك لظلم عظيم**"[1] وهل من سوء خلق أعظم من الظلم في حق الله عز وجل؟.

واحتجاج الله على ظلم عباده –وهو الغني عنهم وعن العالمين- يظهر من بعض آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: "**أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون**"[2]، وقوله أيضا: "**ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما**".

وقوله: "**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك**"[3]، وقوله: "**يا أيها الناس أذكروا نعمة الله عليكم، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو، فأنى تؤفكون**"[4]، وغيرها من الآيات، ولذلك حق لله أن يغضب على هؤلاء الذين أساءوا أخلاقهم مع الله تعالى ويظهر ذلك في مثل قوله عز وجل: "**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**"[5]

[1] - **سورة لقمان**، الآية 13.
[2] - **سورة الأعراف**، الآية191.
[3] - **سورة الإنفطار**، الآية 83.
[4] - **سورة فاطر**، الآية 3.
[5] - **سورة النساء**، الآية 48.

ومن مقتضيات توحيد الله عز وجل تقوى الله والقرآن والسنة حافلة بكم كبير من الوصية بهذا الخلق كقوله تعالى: "**اتقوا ربكم...**"[1].

وروى الترمذي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت"[2] ومن مستلزمات توحيد الله عز وجل تقواه، والتقوى كما يقول الطبري: هي الخوف من الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه[3].

وقال علي رضي الله عنه: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[4].

وخلق التوكل والاعتماد المطلق على الله وما يتبعه من الثقة واليقين هو من أعظم المستلزمات، ولذلك كان التوكل من صفات المؤمنين لقوله تعالى: "**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**"[5]، وفي الأمر بالتوكل قال عز وجل: "**وتوكل على الحي الذي لا يموت**"[6].

وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"[7].

---

[1] - **سورة لقمان**، الآية 33. وانظر على سبيل المثال **سورة آل عمران** الآية 102، **سورة الأحزاب** الآية 70-71، وغيرها.

[2] - سنن الترمذي ت شاكر (4/ 57) 1456

[3] - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المرجع السابق، ص 547.

[4] - محمود أحمد البرشة، وفاء أحمد كفتارو، المرجع السابق، ص 214.

[5] - **سورة إبراهيم**، الآية 11.

[6] - **سورة الفرقان**، الآية 58. وأنظر مثلا: **سورة الأحزاب** الآية 70-71، **سورة الأنفال** الآية 2، **سورة المائدة** الآية 23 وغيرها.

[7] - سنن الترمذي ت شاكر (4/ 573) 2344

وكذلك من حسن الخلق مع الله تعالى حبه ومن دلائل محبته طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: "**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم**"[1]، وقال سبحانه: "**قل إن كان إباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**"[2].

هذه بعض ما يجب أن يكون اتجاه الله من خلق كريم، وكذلك بحسب القرآن الكريم والسنة النبوية نجد وجوب تنزيه الله عز وجل عن كل نقيصة من تشبيه أو تجسيم، ولذلك نعى الله تعالى على الناس عدم تعظيمهم وتقديرهم له حق قدره "**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة**"[3].

وكم عبر الله عن غضبه على الناس عندما يسيئون أخلاقهم معه[4]، وكثيرا ما يختم الله عز وجل آياته بالتسبيح على نفسه معدما يذكر ما يقوله ويفعله الذين يسيئون إليه مثل قوله تعالى: "...**سبحانه وتعالى عما يصفون**"[5].

وأما الأخلاق التي يلزم بها الإسلام أتباعه اتجاه أنفسهم ومجتمعهم والناس أجمعين وحتى الكون وما يحتويه من مكونات فتعاليمه كثيرة بهذا الخصوص، وبما أنا حديثنا ينصب على المصالح المشتركة التي تفيد الإنسانية، فإننا سنقتصر كما فعلنا في المطلبين الأولين على أمهات الأخلاق، وإن كانت هذه الأخلاق سواء المأمور بها أو المنهى

[1] - **سورة آل عمران**، الآية 31.

[2] - **سورة التوبة**، الآية 24.

[3] - **سورة الزمر**، الآية 67.

[4] - **سورة المائدة** الآية 17، و**سورة الأنعام** الآية 94.

[5] - **سورة الأنعام**، الآية 100.

عنها ما يجب أن يتحلى بها الفرد مع نفسه ومجتمعه ومع الإنسانية جميعا كالصدق وعدم الكذب والعدل واجتناب الظلم... وغير ذلك.

لقد أمر القرآن الكريم والسنة النبوية بالتزام الفضائل ونهت عن اجتناب الرذائل ومساوئ الأخلاق، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإسلام كل ما فيه من شرائع وعقائد مقصده هو إتمام مكارم الأخلاق.

لقد أخرج الحاكم حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه على شرط مسلم ووافقه عليه الإمام الذهبي: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1].

فمن أعظم الأخلاق الاجتماعية والإنسانية فضيلة الصدق حتى كانت من صفة المؤمن التي لا يمكن أن يتخلى عنها مهما كانت الظروف إلا في حالتي الإصلاح والحرب –أي على العدو– قال تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**"[2].

يقول محمد الغزالي: "وكانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط الكلام وعكس ذلك كان من علامات النفاق"[3]،ولقد عالج النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة الكذب، وما يلحق به من إخلاف الوعد، والافتراء على الناس وحتى ما يعتبره الناس لا شيء كالكذب على الصبي حتى يستجيب للمجيء ينهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم[4] وحتى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل نصرته أو إطرائه

[1] - السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (10/ 191) 21301 المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (2/ 670) 4221

[2] - **سورة التوبة**، الآية 119.

[3] - محمد الغزالي، **خلق المسلم**.ط15، الجزائر: مكتبة رحاب، 1408هـ 1987م، ص 36.

[4] - المرجع نفسه، ص 38.

فهو محرم في الإسلام[1]، وكذلك في التعامل مع الناس كالبيع والشراء[2]، وشهادة الزور، وقول الزور، جعلها الإسلام من أكبر الكبائر، فقد روى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى، يا رسول الله. فمن بين ما قاله: ألا وقول الزور وشهادة الزور"[3].

وقال الله تعالى: "**واجتنبوا قول الزور**"[4]، وقال واصفا عباده الصالحين: "... **والذين لا يشهدون الزور**"، ومع أن الزور هو نوع من الكذب الذي يتعدى ضرره إلى الناس فهو من أبشع أنواع الظلم، لأنه يجعل المظلوم ظالما، والظالم مظلوما ولذلك فصل الله تعالى في هذا فقال: "**يا أيها الذين آمنوا، كونوا قوامين بالقسط، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن كن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**"[5].

ومن أكبر الفضائل الواجبة التي أمر بها الإسلام إقامة العدل في كل شيء، وبين القرآن الكريم أن جميع الأنبياء كلفوا بإلزام أتباعهم بهذه الفضيلة واجتناب ما يعكسها وهو الظلم، قال الله تعالى: "**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**"[6] –أي بالعدل–[7]، وقال تعالى: "**إن الله يأمر بالعدل**"[8]، وروى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحذر من الظلم: "الظلم

---

[1] - المرجع نفسه، ص 38-39.

[2] - المرجع نفسه، ص 40.

[3] - صحيح البخاري (3/ 172) 2654 صحيح مسلم (1/ 91) 143 - (87)

[4] - **سورة الحج**، الآية 30.

[5] - **سورة النساء**، الآية 135.

[6] - **سورة الحديد**، الآية 25.

[7] - أبو جعفر الطبري، المرجع السابق، ج22، ص 425.

[8] - **سورة النحل**، الآية 90. وأنظر **سورة الأنعام** الآية 152، و**سورة المائدة** الآية 42، و**سورة الحجرات** الآية 9 وغيرها.

ظلمات يوم القيامة"[1].

وكذلك أمر الإسلام بالوفاء بالعهد والعقد، وترك الخيانة وجعلها من أصوله الكبرى فقال تعالى: "**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا**"[2]، وقال: "**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**"[3]، وشدد الإسلام الوعيد على من غدر، وخدع[4].

وأمر الإسلام أيضا بأداء الأمانة ونهى عن الخيانة، قال تعالى: "**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**"[5]. والأمانة هي حقوق الله وحقوق الناس التي لا يجوز للمسلم أن يضيعها إذا وكل بحفظها أو أدائها[6].

وأمر الإسلام أيضا بالتواضع وحرم التكبر والطغيان قال تعالى: "**ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور**"[7]، وقال أيضا: "**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين**"[8].

وإن كان قد حرم الله الكبر، فإن الذلة والمسكنة محرمة في الإسلام، لأن المسلم يتصف بالعزة من غير طغيان أو تجبر قال تعالى: "**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**"[1]، ولذلك أمر الله برد الاعتداء عندما قال: "**والذين إذا**

[1] - صحيح البخاري (3/ 129) 2447 صحيح مسلم (4/ 1996) 56 - (2578)

[2] - **سورة الإسراء**، الآية 34.

[3] - **سورة المائدة**، الآية 1.

[4] - هبة الزحيلي، **المحرمات وأثرها السيئة على المجتمع**. المرجع السابق، ص 74-75.

[5] - **سورة النساء**، الآية 58.

[6] - محمد الغزالي، **خلق المسلم**. المرجع السابق، ص 45 وما بعدها.

[7] - **سورة لقمان**، الآية 18.

[8] - **سورة القصص**، الآية 83.

أصابهم البغي هم ينتصرون، **وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها**..."[2]، وترك أمر العفو والمسامحة بيد من أعتدي عليه، فقال: "... **فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين**"[3].

كما أن الله تعالى حدد العلاقة الأخلاقية الكريمة بين المسلمين ومخالفيهم في الدين إن كانوا مسالمين: "**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولائك هم الظالمون**"[4]،فالآيتين تشير إلى دستور العلاقة في حالتي المسلم والعدوان وبينت أن الأصل في التعامل مع الغير هو التعاون والمبرة والعدل ولكن في حالة العدوان لا بد أن تظهر عزة المسلم المعتدي عليه[5].

ومن أهم ما ركز عليه الإسلام من مكارم الأخلاق في المجال الأسري بر الوالدين –أي طاعتهما وإكرامهما والتواضع لهما- "**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما**"[6]، وعد الإسلام عقوق الوالدين من أكبر

[1] - **سورة المنافقون**، الآية 8.

[2] - **سورة الشورى**، الآية 39-40.

[3] - **سورة الشورى**، الآية 40.

[4] - **سورة الممتحنة**، الآية 9.

[5] - يوسف القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**. (د ط)، الجزائر: دار الشهاب، (د ت)، ص5-6.

[6] - **سورة الإسراء**، الآية 23. وأنظر **سورة لقمان** الآية 14، و**سورة النساء** الآية 36 وغيرها، وفي السنة كثير من الشواهد.

الكبائر بعد الشرك بالله، وعقوبة العاق لوالديه قد يعجلها الله في الدنيا قبل الآخرة[1]. وهناك أحكام خلقية تتعلق بعناصر الأسرة كلها، ونكتفي بما أشرنا إليه.

تنمية النفس في جانبها الروحي:

لقد عمل القرآن الكريم على تنمية النفس في جانبها الروحي، بتربية الضمير الأخلاقي الذي يحاسب الإنسان على أفعاله ويلومه على سيّئها، بل يأمره بالأفعال الصالحة وينهاه عن الأفعال المنكرة والضمير الأخلاقي هو بمثابة المدد بالكريات البيضاء لتقوية جهاز المناعة الذي هو العقل أو الفطرة يقول عبد الله دراز: "لقد غرس الله في داخل كل منا بصيرة أخلاقية غريزية، فلا يوجد إنسان يقبل أن يوصف بالكذب أو النفاق، أو الخيانة... أو بأي رذيلة أخرى"[2].

ونظرا للخصائص التي يتمتع بها الإنسان منها العقل، والحرية، والإرادة والقوة وغريزة حب التملك، وحب الذات وحب الشهوات، والتي من شأن الإنسان أن يستغلها فيما يمنع الإنسانية أو يضر بها أيما ضرر، فحتى يكون نفع ولا يكون ضرر، شرع الإسلام للإنسان تزكية النفس روحيا فكان قوله تعالى: "**قد أفلح من تزكى**"[3]. وقوله: "**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**"[4].

ولكي يميل الإسلام بالإنسان إلى طريق البر والخير ويبتعد عن طريق الشر والفجور أمده بعناصر الدفع منها:

[1] - طه محمد فارس، **قيم من الإسلام**.(د ط)، دبي الإمارات العربية: دار القلم، (د ت)، ص 74.

[2] - عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم**. ترجمة: محمد عبد العظيم علي، الكويت: دار القلم، ط3، 1401هـ 1981م، ص90.

[3] - **سورة الأعلى**، الآية 14.

[4] - **سورة الشمس**، الآية 9.

أولا: الإيمان الواضح بالله واليوم الآخر وغيرهما من قواعد الإيمان وما يتبع ذلك من الخشية وحب الله تعالى[1].

ثانيا: شجع الإسلام على سلوك طريق الخير بالترغيب في الجنة، ونفر الإنسان من اقتحام طريق الشر بالترهيب من النار، وهذا الموضوع واحد من أكبر محاور القرآن الكريم[2]. قال الله تعالى: "**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى**"[3]. وأما في الترهيب فورد قوله تعالى على سبيل المثال أيضا: "**فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى**"[4].

وفي السنة ورد بخصوص الترغيب: "إن من أحبكم إليّ وأقربكم منيّ مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا"[5].

وقال أيضا: "ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن"[6].

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: "تقوى الله وحسن الخلق"[7].

وفي الترهيب قال صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال عمن لا يرحم: "لا تنزع الرحمة إلا من شقي"[8]. وقال عن خلق الكبر: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر"[9].

---

[1] - انظر مثلا **سورة البقرة** الآية 177.

[2] - أنظر مثلا **سورة الطور** الآية 17-19. **وسورة النازعات**، الآية 39.-41.

[3] - **سورة النازعات**، الآية 41.

[4] - **سورة النازعات**، الآية 39.

[5] - سنن الترمذي ت شاكر (4/ 370) 2018

[6] - سنن أبي داود (4/ 253) 4799

[7] - سنن الترمذي ت شاكر (4/ 363) 2004

[8] - سنن الترمذي ت شاكر (4/ 323) 1923 سنن أبي داود (4/ 286) 4942

[9] - صحيح مسلم (1/ 93) 147 - (91)

وهكذا من أعرض عن ذكر الله وصد عن سبيله، ومن اتخذ إلاهه هواه، ومن ظلم الناس وغير ذلك.

ثالثا: الصحبة الصالحة ومجالسة الأخيار:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابكن وإما أن تجد منه ريحا نتنة"[1]. يقول محمد علي الصابوني تعليقا على الحديث: "من جالس جانس لأن النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلساء"[2].

وقال محمد الغزالي في معرض حديثه عن اختيار الأصدقاء: "وقد عني الإسلام بهذه الصلات التي تربطك بأشخاص يؤثرون فيك ويتأثرون بك..."[3].

أما الأصدقاء الذين كانت تجمعهم مساوئ الأخلاق فتأثر بعضهم ببعض فإنهم يوم القيامة يعيشون في عداوة قال الله تعالى: "**الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**..."[4].

والقرآن والسنة زاخمة بتعاليم تشجع على الصحبة الصالحة لأنها عامل من عوامل صيانة الأخلاق وتزكية النفس ولذلك اتخذ الإسلام وسائل كثيرة ليتوفر هذا العامل من وصف للمؤمنين بأنهم إخوة، وإن بعضهم أولياء بعض، وتشجيع على العبادات الجماعية ووجوب النصيحة وغير ذلك من الوسائل التي تجعل المجتمع متخلقا بالأخلاق الصالحة.

---

[1] - صحيح البخاري (3/ 63) 2101 صحيح مسلم (4/ 2026) 146 - (2628)

[2] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص35.

[3] - محمد الغزالي، **خلق المسلم**. المرجع السابق، ص184.

[4] - **سورة الزخرف**، الآية 67.

الفرع الرابع: خلاصة وأفاق المطلب.

الأخلاق في نظر العلمانيين الملحدين هي كبت لإرادة الإنسان وحريته، ومعيار الخير والشر، والحسن والقبح هو المنفعة الفردية وانعدامها، ويعتبر الحياء والرحمة والصبر عقدا نفسية.

أما الدين فلديه فلسفة مناقضة لفلسفة العلمانيين الملحدين، فهو يعتبر الأخلاق والقيم العليا للإنسان هي الضامن الوحيد الذي يحقق التوازن العادل في العلاقات الاجتماعية بين الناس فالحرية ثابتة ولكنها ليست مطلقة والشهوة ثابتة ولكنها ليست مطلقة. والقوة والقدرة وحب التملك ثوابت ولكنها ليست بإطلاق... فالأخلاق إذن هي عامل من عوامل تنمية النفس من الدرك البهيمي الغريزي إلى درجة الإنسان العاقل.

فاليهودية أمرت بالأخلاق مع الله ومع الوالدين ومع الناس وأمرت بالتعامل الطيب مع الغريب وحرمت ظلمه وأذيته كما أمرت بإصلاح النفس، والمسيحية كذلك تسير على المسار نفسه في الإشادة والدعوة إلى الأخلاق الكريمة؛ ولكنها ركزت على الأخلاق النفسية كالإخلاص والتواضع والابتعاد عن الكبر والرياء كما أنها دعت إلى الزهد وعدم التنافس على الدنيا ومسامحة الأعداء، وهي مع التوراة في مسألة التخلق مع الله سبحانه وتعالى من حيث توحيد الله في ألوهيته وربوبيته.

المسيحية تميزت عن اليهودية بالعمل على منع انتشار الجرائم الكبيرة بتحريم المقدمات التي تدفع إليها عن طريق تكرارها.

وتميزت أيضا عنها بالدعوة إلى الزهد في الماديات، ومحبة الأعداء وعدم الانتقام منهم، في مقابل نيل الحياة الأبدية.

ولم تتميز اليهودية عن الإسلام بل اتفقت معه في تقرير السلوك الإيماني والاجتماعي والنفسي، ولكن كما قالت ريمة الصياد: إن النظام الأخلاقي في اليهودية غير مستقر، لوجود ما يناقضه في مواطن كثيرة[1].

السيد المسيح جاء ليتمم مكارم الأخلاق، وكانت هناك ظروف قاسية تمر بدعوته وبأصحابه حتى صار مطلوبا لدى الرومان، ولدى عشيرة اليهود إلى أن اختفى من الوجود، ودامت دعوته ثلاث سنوات وشيئا ما، ومن ذلك لم تكتمل دعوته، ولم يكمل الشريعة... وبيان ذلك أن المسيح أوصى أتباعه بعدم الانتقام وعدم مقاومة البشر.

نعم هذه نصيحة مؤقتة للمسيحيين في ذلك الوقت مرتبطة بالظروف، لأن من شأن المقاومة في حالة الضعف وعدم الإعداد من حيث العدد والعدة هو انتحار للجماعة الفتية، لكن الآن تغيرت الظروف هل يبقى هذا الموقف سائر المفعول فنغلق الثكنات العسكرية ولا نشتري السلاح ولا نقاوم الشر إذا داهمنا ونسلم له الأرض الدنيوية لننال ملكوت السموات؟.

فهذا أمر يخالف المعقول، ونحن متأكدون ومؤمنون أن السيد المسيح لو كتبت له الحياة في الدنيا، ورأى أنه أصبحت له دولة لما بقي على موقفه، ولا فرض على أتباعه مقاومة الشر. وكذلك لم يركز على الحقوق الدنيوية – وإن كان مكرسا لشريعة التوراة– مثل العدل لأنه لم يكن بيديه القضاء ولا السلطان. ولذلك نقول إن تتمات واكمالات المسيح لم تتم بسبب الظروف، ولم يكن لائقا بهذه الوظيفة إلا ابن عمه محمد بن عبد الله الذي استطاع أن يتم دين أجداده من الأنبياء.

[1] - ريمة شريف الصياد، **الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم**. ط1، دمشق سوريا: دار النوادر، 1433هـ 2012م، ص 370.

ولماذا جعل الله ختم النبوة في غير بني إسرائيل فهذا يرجع من جهة إلى العقوبة للذين قتلوا الأنبياء وكفروا بالنعمة، وإعطاء الخير لمن لم يعط بعد، وتشريف لمن لم يشرف بعد، وهذا من العدل كثرة الأنبياء في بني إسرائيل وختم بالنبوات في بني إسماعيل.

ويمكننا أن نقول للمسيحيين لما جاء السيد المسيح ليكمل ما يجب إكماله للناموس وهذا الناموس لم يتركه أعداؤه ليكتمل –في عالم الأسباب– فلو جاء بنبي آخر لما تركوه يعيش سيقتلونه كما قتلوا الذين من قبله، فبرهن الله لبني إسرائيل أن مواصلة إرسال الأنبياء إليهم لا تفيد وأن هؤلاء لا يشكرون نعمة الله عليهم حاشا القليل منهم فكانت حكمة الله أن غير مجرى الرسالة، وثمارها يانعة إلى اليوم.

المطلب الثاني: الشعائر التعبدية.

تمهيد:

عندما نقول شعائر[1] تعبدية نعني بها أعمال العبادة ونقصد بها الآثار النفسية والتربوية التي يصطبغ بها العبد وهو يزاول أنوعا من العبادات... ذلك لأن التعبد يجعل الإنسان دائم الصلة بخالقه، ودائم التذكر له، وبهذه الصلة المتجددة في أوقات ومواسم مختلفة تزكو النفس، وتبتعد عن الرذائل التي تضر بالإنسانية وبعلاقتها فيما بينها، ولذلك لا نجد دينا خاليا من الشعائر التعبدية كالصلاة والصدقة، والصوم،... غير أن هذه الشعائر لا يمكنها أن

[1] - الشعائر: هي أعمال الحج وكل ما جعل علما لطاعة الله تعالى وإحداها: شعيرة. أنظر محمد بن أبي بكر الرازي، المرجع السابق، ص222.

تسهم في تنمية النفس وفعاليتها إلا إذا بنيت على أساسين مهمين هما الإخلاص للخالق سبحانه وتعالى والخشوع أو الاحتساب عند الأداء، وإلا هي مجرد أفعال لا روح لها أو تقاليد موروثة، ولا أثر ايجابي لها في الواقع المعيش.

يقول أحمد الحداد: "العبادة من العوامل المهمة في تزكية الأخلاق، والذي يدل عليه هو تعليل كثير من العبادات بأمور أخلاقية إذ هي إحدى ثمارها... فإنها تقهر الغرائز المادية الشهوانية والشيطانية، وتعزز الغرائز الروحية الملائكية في النفس البشرية، فيصبح المرء ذا أخلاق عالية... وذلك بتكرارها وروحانيتها تجعل الإنسان مرتبطا على الدوام بفاطر تلك الأخلاق وواهبها[1].

وجاء في معجم اللاهوت الكتابي ما تعلق بالعبادة هذه الكلمة: "في جميع الديانات تقيم العبادة علاقة بين الإنسان والله، وبحسب الكتاب المقدس ترجع بادرة هذه العلاقة إلى الله الحي الذي يعلن عن ذاته، وكجواب لهذا الإعلان يسجد الإنسان لله في عبادة طقسية تتخذ صبغة جماعية، ولا تقتصر هذه العبادة على التعبير عن حاجة الإنسان للخالق بينما يخضع خضوعا تاما، بمقدار ماهي تتميم كواجب"[2]، والواجب هو الخدمة، وكلمة عبادة من مشتقاتها كلمة "عبد" وهو "خدم"[3]، والعبادة في المعجم نفسه: فيها استحضار لعظمة الله تعالى، وشعور العبد بتفاهته وخطيئته والإحساس بالخشية، وعرفان الجميل الذي يقتضي الشكر والتسبيح[4]، وبالتالي فإن العبادة: تربية للنفس[5].

[1] - أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، **أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة**. ط2، بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1419هـ 1999م، ص242.

[2] - بولس باسيم، المرجع السابق، ص518.

[3] - المرجع نفسه، ص518.

[4] - المرجع نفسه، ص522.

[5] - المرجع نفسه، ص519.

يمكن القول بعد هذا بأن العبادة والتعبد هو غاية الأدب مع الخالق واهب النعم، والإنسان هو ولي نفسه في سلوك طريق العبادة، وهو ما سنلمحه في حديثنا عن الشعائر التعبدية في الأديان السماوية الثلاثة.

الفرع الأول: في اليهودية.

أوصى موسى عليه السلام بني إسرائيل بالعبادة لله تعالى وذكرهم بأنعمه فقال: (فالرب إلاهكم تتقون، وإياه تعبدون)[1]، وقال أيضا: (... فالآن أيها الإسرائيليون ماذا يطلب منكم الرب إلاهكم سوى أن تتقوه وتسلكوا في كل طرقه، وتحبوه وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم...)[2] في النصين حث على العبادة والإخلاص فيها وإشارة إلى التفاعل الروحي مع العبادة على أساس من الحب حين ذكرهم بنعمه[3].

العبادة في اليهودية متنوعة بين تقديم القرابين والصلاة والصوم والطهارة، فنأخذ على سبيل المثال بعض هذه الشعائر فيما يلي:

أولا الصلاة:

يذكر صاحب معجم اللاهوت الكتابي أن الصلاة في اليهودية مرتبطة بالأحاديث، سواء لقصد الشكر أو الحاجة ليتدخل الله بالمساعدة، فهي صلاة تحمل طابع درامة، وفي أثنائها تجتمع فيها الابتهال بمحبة الله، والتماس عدالته[1].

---

[1] - **التثنية** 13/6.

[2] - **التثنية** 12:10.

[3] - التثنية 13:11 و4:13.

والصلاة في اليهودية، صلاة جماعية وفردية أو شخصية، أما الصلاة الفردية فتؤدى طلبا لحاجة الفرد كطلب الشفاء أو أي عون كما فعل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى، وسليمان (عليهم السلام). وأما الصلاة الجماعية كذلك مرتبطة بالمواسم والمناسبات كمواسم الحصاد، وتقديم العشور وغيرها، وتؤدى في أوقات محددة فبتوقيتنا الحديث تؤدى الصلاة في الساعة التاسعة صباحا والساعة الثانية عشرة ظهرا والساعة الثالثة بعد الظهر...[2].

والصلاة واجبة على الرجال والنساء، وفيها سجود وركوع وتؤدى جلوسا وقياما، ويطلب منهم قبل الصلاة غسل اليدين فقط، وفي حالة الجنابة يكون الاغتسال ضروريا[3].

ويقول عبد الرازق صلال: "الصلاة عند اليهود عبارة عن طقوس تأثرت بمؤثرات خارجية"[4]، "واهتم أنبياء بني إسرائيل بالصلاة باعتبارها الشعور الديني العميق الذي يربط الإنسان بربه، فصلاتهم من إيمانهم القلبي المفعم بنور النبوة، بل نجد أن لبعضهم صلاتين الأولى باطنية تعبر عما يختلج أنفاسه من شعور وأخرى ظاهرة تشتمل على الدعاء والرجاء وما شابه ذلك...[5].

ثانيا الصوم:

[1] - بولس باسيم، المرجع السابق، ص 477.

[2] - زكي شنودة، المرجع السابق، ص210-211.

[3] - أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص38-39.

[4] - عبد الرازق رحيم صلال الموحي، **العبادات في الأديان السماوية**. ط1، دمشق سوريا: دار وائل، 2001م، ص60.

[5] - المرجع نفسه، ص79.

الصوم في الشريعة اليهودية مرتبط بالمواسم والأعياد، وهو عبادة ليست مستقلة لذاتها، ومقاصده تشبه مقاصد الصلاة، ويؤدي عادة لطلب الغفران، كما في يوم الغفران (يوم كيبور)[1]، ويؤدى أيضا للذكرى فيصام فيه تعبيرا عن الحزن[2]، وقد يكون الصوم من أجل طلب المساعدة والغوث.والصوم يقتضي الانقطاع عن الطعام من غروب الشمس إلى الغروب التالي[3]، وهو نوعان منه ما هو مفروض ومنه تطوعي، وفي صوم

التطوع كان اليهود الأتقياء يصومون بدافع من تقواهم الخاصة، فكان يصوم بعضهم يومين في كل أسبوع[4].

ويشترط لقبول الصيام الإخلاص فيه لله تعالى، فلا يجوز فيه الرياء والتظاهر بالتقوى[5]، ومن روحانيات الصوم ما عبر عنه النبي "أشعياء" مخاطبا المؤمنين: (... أليس هذا صوما أختاره، حل قيود الشر، فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير؟ أليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟ إذا رأيت عريانا أن تكسوه، وأن تتغاضى عن لحمك"[6].

ثالثا الصدقة:

[1] - ألان أنترمان، المرجع السابق، ص 299.

[2] - زكي شنودة، المرجع السابق، ص212.

[3] - المرجع نفسه، ص213.

[4] - بولس باسيم، المرجع السابق، ص488.

[5] - المقصد الأساسي في الصوم عند اليهود والمسيحية هو طلب درجة المتقين، وهو ما صرح به القرآن الكريم "**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**" **سورة البقرة** الآية 183-184.

[6] - **أشعياء** 28:1-7. وأنظر زكي شنودة، المرجع السابق، ص 213.

واجب الصدقة معروف في الشريعة اليهودية، ومما يدل عليه فقد جاء في سفر اللاويين مرشدا أصحاب الحقول إلى فعل الصدقات قائلا: (وعندما تحصد محصول حقلك لا تحصد زواياه ولا تلتقط ما يتناثر من حصيدك، لا ترجع لتجمع بقايا عناقيد كرمك، ولا تلتقط ما ينفرط منها، بل اتركه للمسكين ولعابري السبيل، فأنا الرب إلاهكم)[1].

وورد في سفر التثنية هذا النص: (وفي نهاية كل ثلاث سنين، أخرجوا عشور محصول السنة الثالثة وأخزنوها في مدنكم، فيقبل اللويّون الذين لم يرثوا ملكا أو نصيبا معكم، والغريب واليتيم والأرملة المقيمون في مدنكم فيأكلون ويشبعون ليباركم الرب إلاهكم في كل ما تنتجه أيديكم)[2].

وفي سفر الأمثال جاء ما ينص على عموم الصدقة: (لا تحجب الإحسان عن أهله كلما كان في وسعك أن تقوم به، لا تقل لجارك: اذهب الآن، ثم عد ثانية، غدا أعطيك ما تطلب، طالما لديك ما يطلب)[3].

وجاء في مزمور داود: (طوبى للمتفرق بالمسكين، فإن الرب ينقذه في يوم الشر...)[4].

ويذكر قاموس اللاهوت الكتابي ما ذكر في سفر طوبيا من العهد القديم هذا النص: (... لا تحول أبدا وجهك عن فقير، وحينئذ فالرب لا يحول وجهه عنك...إن كان لك كثير، فابذل كثيرا، وإن كان لك قليل فاجتهد أن تبذل القليل عن نفس طيبة)[5].

---

[1] - **اللاويين** 19:9-10.

[2] - **التثنية** 14:28-29.

[3] - **الأمثال** 3:27-28.

[4] - **مزمور** 41:1.

[5] - بولس باسيم، المرجع السابق، ص471.

الصدقة في اليهودية فيها ما هو واجب محدد بالوقت، ومنها ما يعطى على سبيل التطوع، وتنم عن الرحمة والشريعة أخذت الغريب، واليتيم والأرملة بعين الاعتبار.

الفرع الثاني: في المسيحية.

العبادة في التصور المسيحي هي لتمجيد الرب ولتسبيحه وشكره، وكذلك طلبا للسعادة النفسية، والنمو في الحياة الروحية، وهي تهدف في الأساس إلى انشغال النفس بالله ذاته[1].

يقول "إليا الثاني" نقلا عن "النصيبيني": "إن نعم الله كتفضيل الناس عن باقي الخليقة، واختصاص الإنسان بالعقل والنطق والفهم... تقتضي من الإنسان أن يحمد ويشكر ويمتن ويطيع ويسبح ويهلل لخالقه جل ثناؤه بالصلاة التي هي تلاوة ألفاظ إلاهية تدل على معاني شريفة تؤدي إلى تهذيب النفس وصرفها عن الفكر في الأرضيات –والمقصود بالأرضيات فيما أرى الشهوات التي تتحقق بالأنانية والظلم اللذان يعصفان بالأخوة الإنسانية– لأنه بالصلاة يرتقي الإنسان غايات الفضائل، وبها يخلص من الفكر السوء لأنها منبهة لذكر الله تعالى... ويحذر من ترك الصلاة، وأنها فرضها سيد الكل على الناس لله جلت قدرته، وحذر من تركها أيضا بسبب الاغترار بالصحة وطلب المعاش والمكسب... قال السيد المسيح: "صلوا ولا تملوا"[2].

[1] - عادل فرج عبد المسيح، **موسوعة أباء الكنيسة**. ج1، ط2، (د ب): دار الثقافة، 2006م، ص190.

[2] - إليا الثاني، المرجع السابق، ص39. وساق إليا غير هذا من أقوال المسيح يأمر فيها الناس بالصلاة.

والمسيحيون كانوا يتعبدون على نهج ديانة الآباء بناء على عبادة موسى عليه السلام، وهذه العبادة هي الممارسة الظاهرية للإيمان وكانوا يجتمعون للصلاة[1]، وكان السيد المسيح يحضر إلى الهيكل بغرض العبادة[2]، والجميل السيد المسيح قال في الهيكل –بيت الله– إنه بيت الصلاة لجميع الأمم[3].

والعبادة أيضا في مفهوم المسيحية تعني الخضوع لله في تواضع، واحترام عميق، والاستشعار بالاقتراب من الله

والصلاة المسيحية فيها الرقة وفيها حب الإنسانية، فكانت الصلاة من أجل كل الناس، حتى من أجل الأعداء والمضطهدين[4].

والعبادة في المسيحية تتنوع فليست شكلا واحدا، فكذلك يحتل الصوم مكانة عظيمة منها، وعليه فإن السيد المسيح أرشد تلاميذه إلى قوة الصيام الروحية إلى جانب الصلاة عندما قال: (هذا النوع –أي من الأرواح الشريرة– لا يطرد بشيء إلا بالصلاة والصوم)[5].

والمسيحية تركز في العبادات على الإخلاص، ولذلك هي تكتفي من العبد بالإيمان الروحي دون شكل العبادة، لأن في منظورها أن الشكل دائما معرض للرياء والنفاق، ولذلك جاء في قاموس اللاهوت "أن ممارسة الصوم، في الواقع، لا تخلو من بعض الأخطار، كخطر التمسك بالشكليات... وخطر الكبرياء والتظاهر، إذا صام الصائم –

[1] - **أعمال** 22:2، و**أعمال** 14:1، و**أعمال** 13:16–16، و**أعمال** 42:2–47، و**متى** 23:2.

[2] - لوقا 41:2–49، يوحنا 13:2–16، يوحنا 22:4.

[3] مرقس 17:11. انظر عادل فرج عبد المسيح، المرجع المذكور أعلاه، ص 192.

[4] - عادل فرج عبد المسيح، المرجع السابق، 195.

[5] - مرقس 29:9.

ليظهر للناس–[1]... يجب أن يكون حبنا لله الدافع الأول لصومنا، كذلك يدعو يسوع إلى القيام به –أي الصيام– في تكتم تام[2]...."[3].

ويعطي صاحب كتاب أصول الدين أهمية للصدقة أكبر من الصلاة والصوم فقال: "إن الإنسان إذا صام وصلى، تشبه بالملائكة، وإذا تصدق ورحم تشبه بالخالق تعالى" وقال: "إن الصلاة عبادة لفظية، والصدقة عبادة فعلية والفعل أشرف من القول"[4]. "وأن الفضيلة التي ينتفع بها المصلي وحده، والصدقة ينتفع بها المتصدق والمتصدق عليه"[5].

ويقول أيضا فيما معناه أن تفضيل الصدقة والرحمة على الصلاة والصوم لا يمنعان من أنهما من الضروريات، فيعبر الكاتب فيقول: هذا سفيران مباركان يؤديان إلى تهذيب العقل وحينئذ يفعل الفضائل الكاملة من التمسك بالله والجود والأفضال على أبناء الجنس[6].

يقول الرسول السماوي: إن كانت فعلا كل الفضائل كالصوم والصلاة وغير ذلك ولم يكن فيك محبة فأفعالك كلها هدر[7].

[1] - متى 16:6.
[2] - متى 17:6-18.
[3] - بولس باسيم، المرجع السابق، ص 489.
[4] - إليا الثاني، المرجع السابق، ص41.
[5] - المرجع نفسه، ص 42.
[6] - المرجع نفسه، ص44.
[7] - المرجع نفسه، ص44.

الفرع الثالث: في الإسلام.

الشعائر التعبدية في الإسلام لها أهمية كبيرة، وهي جزء من العبادة بمعناها الشامل لقوله تعالى: "**قل إن صلاتي ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**"[1]. وقال تعالى: "**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**"[2].

ولذلك عرفها الإمام الزركشي بأنها طاعة أوامر الله والابتعاد عن نواهيه[3].

ويقول الصادق الغرياني: "وللعبادة مفهوم عام يشمل جميع الأعمال النافعة التي يقوم بها الإنسان لمعاشه ومعاده لصالح نفسه وصالح غيره... وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"[4].

ويشترط في العبادة الإخلاص فيها لله تعالى وإلا هي مردودة[5]، قال الله تعالى: "**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**"[6].

وقد نوع الله سبحانه وتعالى العبادة لعباده ولم يجعلها على وتيرة واحدة حتى لا يملوا، وحتى يكون في تنوعها تزكية لجوانب متعددة من الطبيعة البشرية، وحتى تتناسب... مع كل الفطر والاستعدادات[7].

---

[1] - **سورة الأنعام** الآية 162-163.

[2] - **سورة الذاريات** الآية 56.

[3] - **الموسوعة الفقهية**. ج29، ط4، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1429هـ 2008م، ص 257.

[4] - الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، **العبادات أحكام وأدلة**. ط1، بيروت لبنان: دار ابن حزم، 1429هـ 2008م ص12.

[5] - عبد الحليم محمود، **العبادة، أحكام وأسرار**. ج1، ط3، بيروت لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1980م، ص42.

[6] - **سورة الكهف** الآية 110.

[7] - عبد الحليم محمود، المرجع المذكور أعلاه، ص219.

تتميز بعض آيات القرآن الكريم بالإشارة إلى بعض الحكم من فرضه لكثير من التعاليم، ففي الصلاة يبين أنها تمنع مقيمها من أن يأتي منكرا أو معصية، لأن الذي يصلي خمس صلوات في اليوم والليلة على الأقل، وفي وقتها لا يتخلف عنها كلما سمع النداء، لا بد وأنه قريب من الله تعالى، ما من شأنه أن يتعطل عن المعاصي، أو يكون مشغولا عنها بقدرما، أو يكون بعيدا عن ساحة الكبائر.

يقول الإمام الرازي وهو يحاول أن يكشف سر قوله تعالى: "**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر**"[1]، لأن العبد إذا صلى وسجد صار له قربة ما لقوله تعالى: "**واسجد واقترب**"[2]، فإذا كان ذلك القدر من القربى يمنعه من المعاصي والمناهي فبتكرار الصلاة والسجود تزداد مكانته، حتى يرى على نفسه من آثار الكرامة ما يستقدر معه من نفسه الصغائر فضلا عن الكبائر[3].

إذا كان هذا أقل ما يدركه المصلي العادي، فما بالك بالذي يوفر الخشوع والطمأنينة وحضور الروح أثناء الصلاة، فيناجي الله تعالى وهو حاضر الذهن، والقلب مستغفرا وداعيا، ومجددا لتوكله على ربه؟ فهل يمكن بعد هذا أن ينقلب المصلي على عقبيه إلى درجة الإغراق في المعصية؟ لا يمكن أن يتصور فالقريب من الله تعالى الذي لا يرى بالعين المجردة هو بعيد عن شباك الكبائر التي تحتاج إلى خطوات من الصغائر.

[1] - سورة العنكبوت الآية 45.

[2] - سورة العلق الآية 19.

[3] - محمد فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**. ج25، المرجع السابق، ص.

كما أن الصيام هو عبادة مهمة قد أمرت به كثير من الأديان على رأسها اليهودية والمسيحية، والإسلام يشهد بذلك حينما قال الله تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**"[1].

أما في واقع الناس فهذا النوع من التعبد يرتقي بالمتعبد إلى درجة التقوى، لأنه عمل يجريه العبد بينه وبين الله بكل إخلاص، ممتنعا في ذلك عن كثير من الشهوات لو أراد أن يأتيها دون أن يراه الناس لفعل ، وذلك إيثارا لإرادة الله على إرادة النفس والهوى.

وأما عن الزكاة فقال الله تعالى آمرا الأغنياء أن يعطوا من أموالهم نصيبا للفقراء قال الله تعالى: "**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم به**"[2].

"**تطهرهم**" إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات وقوله "**تزكيهم**" إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات... فالمعنى أن هذه الصدقة كفارة للذنوب ومجلبة للثواب العظيم[3].

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق.

حثت اليهودية على العبادة غير أنها مرتبطة بالأحداث والمواسم منها ما يتطلب عبادة للشكر على الإنعام ومنها ما يؤدى من أجل طلب حاجة. وهذا موجود في الصلاة والصوم والصدقة، وفي كل هذا ما هو واجب ومنه ما يؤدى على سبيل التطوع، والمسيحية أيضا حثت على الصلاة والصوم.

---

[1] - **سورة البقرة** الآية 182-183.

[2] - **سورة التوبة** الآية 153.

[3] - محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص23.

غير أن المسيحية تركز على العبادة الروحية، وإذا توفرت يمكن للمسيحي أن يستغني عن العبادة الشكلية التي هي طريق إلى العبادة الروحية، لكن دون إلغائها بالكلية وفي ممارستها يشترط عدم الإعلان عنها حذرا من الكبرياء والرياء.

لذلك فإن العبادة في المسيحية متطورة عما كانت عليه في اليهودية؛ وممارستها الشكلية ليست ملزمة[1].

أما الشعائر التعبدية في الإسلام فهي ذات أهمية كبيرة وجزء من العبادة بمفهومها الشامل؛ والعبادة الشكلية في الإسلام ذات أهمية كبيرة كما أن العبادة الروحية مرتبطة بها ارتباطا وثيقا، فلا يمكن للمسلم أن يكتفي بالتعبد القلبي دون التعبد الشكلي والعكس أيضا.

ونجد نسبة الشعائر التعبدية في الإسلام سواء الصلاة أو الصدقات أو الصوم وغير ذلك من المناسك هي أكبر مما هو موجود في اليهودية والمسيحية، وخصوصا شعيرة الصلاة، فيلزم على المسلم أن يتصل بربه خمس مرات في اليوم والليلة، ولا عذر له في تركها مهما كانت الظروف، وذكرت نصوص القرآن والسنة مقصد كل عبادة فرضها الله تعالى على الإنسان بناء على شروط تأديتها وهو ما تميزت به عما جاء في غيرها من النصوص المقدسة – التوراة والإنجيل–.

و تتمثل أهمية العبادة الشكلية في جمع شتات الذهن والنفس وتفريغهما من الإنشغالات والملهيات إلى شغل واحد وهو استشعار الوقوف عند حضرة الرب لمناجاته ، وطريق جمع الشتات يتم بشتى الوسائل كالطهارة والأذان والإقامة والنية وما يتبع ذلك من الأقوال والأفعال ؛ هذا في الصلاة ؛ وكذا الأمر بالنسبة للصيام والزكاة والحج التي تعتبر أركانا للإسلام ومن هدم واحدة منها فقد هدم الإسلام .

[1] - **الموسوعة العربية العالمية**. المرجع السابق، ص 124.

فعلى أهل الأديان أن يعيدوا النظر في جدوى الجمع بين شكل العبادة وروحها ولا غنَاء لإحدهما عن الآخر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: المال ومقومه.

تمهيد:

قال الناس في المال أنه عصب الحياة، وطبعت الأنفس على حبه، وعلى الشح به، وعلى التنافس فيه، وقد يؤدي التنافس إلى الصراع أحيانا، فتزهق بسببه أرواح وتذل أنفس وتستعبد لصالح أنفس غالبة.

المال يغير النفس من الشعور بالذلة إلى العزة، ومن الهون إلى الكرامة، كرامة الفرد في نفسه وأسرته ومجتمعه وعالمه

المال وحسن التصرف فيه هو الذي ينشئ الوضع الاقتصادي سواء للأفراد أو الدول، فمدى تأثير المال على النفس من حيث الشعور ثم السلوك هو الذي يجعلنا نرى المال عنصرا لصيقا بالنفس وإن لم يكن من جنسها فهو عامل من عوامل تنميتها، وسيتبين ذلك من خلال مطالب البحث.

ولفرط تأثير المال على النفس أيضا نجد الأديان السماوية أولت اهتماما كبيرا به، وذلك عندما ضبطت من خلال تعاليمها تصرف الإنسان فيه، حتى لا تطغى نفسه حين تستغني من جهة، ولتنفقه في أوجه الخير بطرق نظيفة، والضوابط والمبادئ التي تستخلص من التعاليم مؤسسة على مكارم الأخلاق، والتقوى فهي تنطلق من مشكاة واحدة أي من إله واحد، هو إله الإنسانية، فالضابط الأخلاقي واحد، والنظر إلى الخير والشر واحد، ولذلك الأديان السماوية تحقق بتعاليمها العدالة في الحكم والمساواة في التعامل والحرية من غير توحش.

المطلب الأول: رعاية المال.

الفرع الأول: في اليهودية.

وردت في التوراة أحكام تعترف بحق الملكية للأفراد فهي تعاقب من يتعدى عليها وتوجه صاحبها في كيفية التصرف، ومن ذلك النص التالي: (ازرع أرضك وأحصد غلتها ست سنين، ثم أرحها في السنة السابعة وأتركها ليأكل منها فقراء شعبك، وما فضل عنهم تقتاته وحوش البرية، وهكذا تفعل أيضا بكرمك وزيتونك، اعمل ستة أيام فقط وفي اليوم السابع تستريح لكي يستريح أيضا ثورك وحمارك، وينتعش ابن أمتك والغريب، أطيعوا كل ما أوصيتكم به، ولا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يتلفظ بها فمك[1].

فهذا النص يؤكد حق الملكية للفرد، فنسب إليه الأرض ونسب إليه الكرم والزيتون، وآلة العمل الثور والحمار، مما يجعل المالك سيدا على ملكيته من غير طغيان لأنه يعمل بتعاليم خالقه والمالك المطلق هو الله تعالى.

وكذلك في النص أمر بالعمل، والعمل المتاح في ذلك الوقت هو الزراعة والرعي بالنسبة لليهود، وشيء من الصناعة التي قد تقتصر ابتداء على أدوات الحرث والحرب، والنص الذي يشير إلى هذا المعنى هو ما ورد في سفر التثنية: (لأن الرب إلاهكم آت بكم إلى أرض خصيبة تكثر فيها الأنهار والآبار، وعيون الماء تتدفق في الوديان والجبال، إلى أرض حنطة وشعير وكروم وتين ورمان وزيتون وعسل، إلى أرض لا تأكلون بالذل خبزكم ولا يعوزكم فيها شيء، هي أرض يتوافر في حجارتها الحديد، ومن جبالها تستخرجون النحاس، فمتى أكلتم وشبعتم باركوا الرب إلاهكم الذي وهبكم هذه الأرض الخصبة، إياكم نسيان الرب إلاهكم، وإهمال وصاياه وأحكامه وفرائضه التي أوصيكم اليوم بها، لئلا إذا أكلتم وشبعتم وبنيتم بيوتا جميلة سكنتموها، وتكاثرت

[1] - **الخروج** 23:10-13.

أبقاركم وغنمكم وذهبكم وجميع مالكم. تتكبر قلوبكم وتنسون الرب إلاهكم...)[1].

في هذا النص بيان أن الملكية ضرورة للاستقرار، وتجعل الإنسان يأكل خبزه بالعز لا بالذل،كما أن النص ذكر الموارد الطبيعية من أرض خصبة وأنهار وآبار وعيون وحديد ونحاس التي من شأنها أن تسهل عمليتا الزرع والرعي، وهذان النشاطان في ميدان العمل هما الأساس الأول في تنمية الإنسان من حيث الغذاء، وحسن التغذية يعني الصحة العقلية والجسدية والنفسية، والجسم السليم هو الأداة الإنتاجية لأنواع الصناعات وتطويرها، وعندما ذكر النص المقدس الذي بين أيدينا العبارات التالية: (لا تأكلون خبزكم بالذل)، (تستخرجون النحاس)، (وبنيتم بيوتا جميلة)، (وتكاثرت أبقاركم...)، لم يقصد بها إلا ضرور التشمير على السواعد للعمل والجد فيه.

ومما يدل أن الله لا يعطي ولم يعط بني إسرائيل ولا واحد من البشر ثروة دون عمل هي نصيحة الله لبني إسرائيل ألا يغتروا بقوتهم وقدرتهم على العمل فينسون فضله عليهم غمرة الفرح بكثرة المال والغلال فيذكرهم بقوله: (ولكن أذكروا أن الرب إلاهكم هو الذي يمنحكم القوة لإحراز الثروة)[2].

وإن نصوص التوراة أيضا بينت أن الأنبياء[3] كانت لديهم ممتلكات خاصة فهذا إبراهيم عليه السلام كان يمتلك أراض وعبيدا ومواش وزادت ثروته عندما استثمرها[4]، وكذلك كان لوط عليه السلام[5]، وإسحاق كانت في حوزته أملاك بما بذله من جهد في العمل[6]، ويعقوب عليه السلام الذي استأجره خاله "لابان" في رعاية المواشي

[1] - **التثنية** 8:7-14.

[2] - **التثنية** 8:18.

[3] - خالد بن محمد الشنير، المرجع السابق، ص441.

[4] - **التكوين** 12:5. **والتكوين** 13:2.

[5] - **التكوين** 13:5-7.

[6] - **التكوين** 26:12-14.

حتى صارت أضعافا كثيرة[1]، وكذلك اشتغل بنو يعقوب في الرعي[2]، ويوسف عليه السلام الذي نصبه فرعون واليا على كل أرض مصر فعمل على تأمين البلاد من خطر المجاعة –التي عمتها لسبع سنين– عن طريق تخزين الطعام وادخار كميات هائلة من القمح[3]، وهذا موسى عليه السلام أيضا استؤجر في الرعي من قبل كاهن مديان[4].

هذا وإلى جانب ما وعد به الله إبراهيم عليه السلام وبنيه من بعده تمليكهم الأرض شريطة العمل بالوصايا[5].

ويرى خالد بن محمد الشنير، أن المالك الذي اشترى ملكا معينا يعيده إلى المالك الأول بعد مضي خمسين سنة، أي في عيد "اليوبيل" هو تقييد لحرية التملك، وكذلك ينظر إلى إسقاط الديون في السنة السابعة لصالح

الفقراء المدينين، هو إضاعة لأموال الدائنين، ولكن يبدو أن هذه الأحكام المقصد منها الرحمة وليس الظلم ولذلك يمكن أن تقنن وتضبط[6].

والعمل الدنيوي في نصوص التوراة أمر فطري في الإنسان[7]، فإذا لم يخدم الأرض لا يمكن أن يعيش، وإذا لم يتوجه إلى فنون الأعمال لا يستطيع أن يحدث تنمية في الحياة، بل هو مصادمة لقانون الكون المبني على الأسباب، ويتبين هذا من خلال أسرار الخلق التي وردت في سفر التكوين: (فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله

---

[1] - **التكوين** 29:30.

[2] - **التكوين** 12:37. و**التكوين** 32:46.

[3] - **التكوين** 41:47-57.

[4] - **الخروج** 3:1.

[5] - **سفر اللاويين** 26:1-39.

[6] - خالد بن محمد الشنير، المرجع السابق. ص444-446.

[7] - بولس باسيم، (قيمة العمل الطبيعية). المرجع السابق، ص563.

خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم، وباركهم الله قائلا لهم: "أثمروا وتكاثروا واملؤوا الأرض وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يتحرك على الأرض...")[1].

وفي سفر الأمثال وصف للكسول الذي لايعمل والمجد الذي يعمل: "نفس الكسول تشتهي كثيرا ولا تحصل على شيء، أما نفس المجتهد فتغنى"[2]، وورد أيضا: "أوهام الكسول تقتله لأن يديه تأبيان العمل"[3]، وأيضا: "شهية العامل حافز عمله، لأن فمه الجائع يحثه عليه"[4].

وفي سفر الجامعة ورد على لسان سليمان عليه السلام قوله: "فليس أفضل للإنسان من أن يأكل ويشرب ويتمتع بتعب يديه"[5]، وقال: "إن من نعم الله على الإنسان أن يأكل ويشرب ويستمتع بما يجنيه من كده"[6].

الفرع الثاني : في المسيحية.

من عملية الاستقراء لأناجيل العهد الجديد لا نجد ما يشجع على الامتلاك أو الاحتفاظ بالأملاك إن كانت أو الدفاع عنها ولا تندفع أيضا إلى الاجتهاد في كسب القوت، وإنما تتجه نصوص الأناجيل بالمسيحي إلى أن يسعى إلى الامتلاك في ملكوت الله، والانكباب في عمل الآخرة حيث لا يوجد لص أو سوس يخرب الأملاك[7] ولا داع إلى القلق على طعام الدنيا ولا كسائها فإن الله هو المطعم والكاسي والضامن لهما فلا حاجة لتخزين المؤونة أيضا.

---

[1] - **التكوين** 1:27-29.
[2] - **الأمثال** 13:4.
[3] - **الأمثال** 16:26.
[4] - **الأمثال** 25.
[5] - **الجامعة** 2:24.
[6] - **الجامعة** 3:13.
[7] - **لوقا** 12:33.

يقول السيد المسيح: "لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض، حيث يفسدها السوس والصدأ، وينقب عنها اللصوص ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء، حيث لا يفسدها سوس ولا ينقب عنها لصوص ولا يسرقون فحيث يكون كنزك هناك أيضا يكون قلبك"[1].

فكنز الأموال مشغلة للقلب عن عمل الآخرة –ملكوت الله– ويؤدي إلى عبادة المال "... لا يمكنكم أن تكونوا عبيدا لله والمال معا"[2]، والحل هو القضاء على ما يشغل القلب، ويقلق النفس، بالالتفات إلى

الاهتمام بملكوت الله –ملكوت السماوات– ويتبين ذلك من بعض الأمثال التي ضربها السيد المسيح للزهد في الدنيا فمن ذلك قوله بحسب ما ورد في إنجيل متى: "يشبه ملكوت السماوات بكنز مطمور في حقل، وجده رجل فعاد وطمره، ومن فرحه ذهب وباع كل ماكان يملك واشترى ذلك الحقل، ويشبه ملكوت السموات أيضا بتاجر كان يبحث عن اللآلئ الجميلة، فما إن وجد لؤلؤة ثمينة جدا، حتى ذهب وباع كل ما يملك واشتراها[3].

ومما يدل على أن النصوص لا تشجع على الدفاع عن الملكية فقول السيد المسيح على حسب روايتها: "ومن أراد محاكمتك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضا[4].

وقال للذي جاءه يحتج على امتناع أخيه من قسمة الإرث ليأمره بالقسمة: "يا إنسان، من أقامني عليكم قاضيا أو مقسما؟"[1]، ثم التفت إلى الناس الذين كانوا من حوله ليقول لهم: "... احذروا وتحفظوا من الطمع فمتى كان الإنسان في سعة، لا تكون حياته في أمواله"[2].

---

[1] - متى 6:19-21.

[2] - متى 6:24.

[3] - متى 13:44-46.

[4] - متى 5:40.

ومما يشير –فيما يظهر– إلى عدم الاهتمام بأسباب العيش النص المروي عن السيد المسيح أنه قال لتلاميذه "لهذا السبب أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون، ولا لأجسادكم بما تكتسون، إن الحياة أكثر من مجرد طعام، والجسد أكثر من مجرد كساء، تأملوا الغربان فهي لا تزرع ولا تحصد وليس عندها مخزن ولا مستودع، بل يعولها الله. فكم أنتم أفضل كثيرا من الطيور، ولكن أي منكم إذا اهتم يقدر أن يطيل عمره ولو ساعة واحدة

فما دمتم غير قادرين ولو على أصغر الأمور فلماذا تهتمون بالأمور الأخرى؟ تأملوا الزنابق[3] كيف تنمو فهي لا تتعب ولا تغزل، ولكني أقول لكم حتى سليمان في قمة مجده لم يكتس ما يعادل واحدة منها بهاءً .فإن كان الله يكسو العشب ثوبا كهذا، مع أنه يكون اليوم في الحقل وغدا يطرح في التنور، فكم أنتم أولى من العشب (بأن يكسوكم الله) يا قليلي الإيمان؟ فعليكم أنتم ألا تسعوا إلى ما تأكلون وتشربون، ولا تكونوا قلقين فهذه الحاجات كلها تسعى إليها أمم العالم، وأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إليها، إنما اسعوا إلى ملكوته فتزاد لكم هذه كلها، لا تخافوا أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت، بيعوا ما تملكون وأعطوا صدقة، واجعلوا لكم أكياسا لا تبلى، كنزا في السماوات لا ينفد حيث لا يقترب لص ولا يفسده سوس، لأنه حيث يكون كنزكم يكون قلبكم أيضا لتكن أوساطكم مشدودة بالأحزمة ومصابيحكم مضاءة، وكونوا مثل أناس ينتظرون رجوع سيدهم من وليمة العرس..."[4].

---

[1] - **لوقا** 14:12.

[2] - **لوقا** 15:12.

[3] - الزنابق مفرده زنبق هو نبات زهرته من أجمل الأزهار، تفوح منها رائحة زكية، فيه أنواع كثيرة مختلفة الألوان، يرمز لونه الأبيض إلى الطهارة. **المنجد الإعدادي**.المرجع السابق، ص297.

[4] - **لوقا** 22:12-36.

فإذا كانت النصوص الإنجيلية لا تشجع على الكسب والاكتساب وعن الدفاع عن حق الملكية، فإنها لا تعني مطلقا إلزام الناس بترك أسباب الدنيا من عمل وملكية، فإن المفسر "جون ماك آرثر" يبين بأن النص يشير إلى الفترة الأولى لمؤمني الكنيسة الذين كان يعاني معظمهم الفقر مما جعل بعضهم يبيعون ممتلكاتهم لسد الحاجات الضرورية لإخوتهم الأكثر فقرا.

واعتبر "جون" أن من فهم بأن النص يدعوا إلى الامتناع عن الامتلاك هو تحريف للوصية[1].لأن الوصية كانت لمؤمني الكنيسة الأولى حيث كان الفقر منتشرا في وسط الاضطهاد حيث لا يسمح بأي تنمية، وفعلا بحسب ما جاء في أعمال الرسل لقد عمل المؤمنون بالوصية فكان عندهم كل شيء مشتركا، والأملاك والمقتنيات كأن يبيعونها ويقسمونها بين الجميع[2].

وهنا يفند "جون" ما قد يفهمه القارئ للنص من أن مؤمني الكنيسة كانوا يعيشون على نمط شيوعي، وإنما هؤلاء لم يقيموا كبير اعتبار لما يملكون، وكانوا على استعداد في كل لحظة لاستخدامه لمنفعة أي عضو آخر بحسب الحاجة[3].

وفي نص آخر ورد في أعمال الرسل يصف المؤمنين الأوائل: "... ولم يكن أحد يقول إن شيئا من أمواله بل كان عندهم كل شيء مشترك..."[4].

[1] - جون ماك آثر، المرجع السابق، ص1700.
[2] - **أعمال الرسل** 45:2.
[3] - جون ماك آثر، المرجع السابق، ص1829.
[4] - **أعمال الرسل** 32:4.

وبخصوص التخزين والادخار يقول مفسرو الكتاب المقدس لتوضيح المسألة: " لماذا ندخر المال؟ لوقت التقاعد؟ لشراء المزيد من الأشياء الثمينة واللعب والعربات الفارهة؟ للأمان والتأمين؟ إن الرب يسوع يستثيرنا لنفكر فيما وراء الأهداف الأرضية، وأن نستخدم ما لدينا في معاونة الغير... جيد أن نعمل وأن نخطط ولكن من الخطأ أن نعتمد على طرقنا التي قد تفشل، إن القلق حماقة لأنه لا يقدر أن يسد احتياجاتنا، لأن خالق الكون كله يحبنا ويعلم ما نريد وما نحتاج إليه[1].

ويقولون أيضا عن المال بأنه يجب أن لا يكون هو الغاية في حياتنا وإنما يجب أن نستخدمه في إعانة الآخرين، ويجب أن يكون تخزينه لهذه الغاية، فإن كان هذا هو تصرفنا فإن ما هو مخزن من المال هو مخزن في ملكوت السماء[2].

ويذهب مفسرو الكتاب المقدس إلى أن مقصود المسيح إهمال كل ما يقلق لأن القلق: " يؤذيك جسديا فيحرمك من النوم والأكل، يجعل موضوع قلقك يشغل كل أفكارك، يعطل إنتاجك، يؤثر سلبيا في أسلوب معاملتك للآخرين، يقلل من قدرتك على الاتكال على الله، وهذا هو الفرق بين القلق والاهتمام السليم المجدي، فالقلق يشل الإنسان، أما الاهتمام السليم فيدفعك للعمل[3].

ويبين المفسر "جون" أن السيد المسيح عندما ضرب مثلا بالطير التي لم تتعب في قوتها لم يقصد به دعوة الناس إلى الكسل لأن الكسل خطيئة فيستدل على ذلك بما جاء في الأمثال[4].

---

[1] - **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص 2117.

[2] - **التفسير التطبيقي**.المرجع نفسه، ص 2118.

[3] - المرجع نفسه، ص 1890.

[4] - جون ماك آثر، المرجع السابق، ص 1529.

وخلاصة القول في نظرة المسيحية إلى ما يتعلق بالمال من خلالها نصوصها المقدسة، لم تكن مشغولة بالتنمية المادية لأن الحياة في زمن السيد المسيح كان طابعها ماديا، فجاء ليعالج إهمال الناس لملكوت السماء[1].

الفرع الثالث: في الإسلام.

إن حب التملك، والمال، غريزة طبع عليها الإنسان، ولذلك فإن الإسلام لم يمنع الإنسان من العمل لها، والتمتع بها، وإنما سمح بها بل فتح للإنسان من أجلها آفاقا حينما أشار الله تعالى في القرآن إلى تسخير كثير من أشياء الكون لخدمة الإنسان[2]، غير أن الإسلام جعل لما يمتلكه الإنسان من أملاك ضوابط تحفظه من الوقوع في غائلة الأنانية والطغيان.

فمن ناحية إقرار الغريزة الإنسانية قال الله تعالى: "**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**"[3].

هذه الآية واحدة من الآيات[4] التي منحت وصفا للشهوات بأنها متاع في الحياة الدنيا، غير أن متاعا آخر خير منه في الآخرة، ولا توجد آية أشارة إلى تحريم تناولها أو امتلاكها، ولذلك قال الله تعالى: "**قل من حرم زينة الله التي**

[1] - بولس باسيم، (العمل الفاني). المرجع السابق، ص 565.

[2] - محمد سعيد رمضان البوطي، **منهج الحضارة الإسلامية في القرآن**. المرجع السابق، ص84-85.

[3] - **سورة آل عمران** الآية 14.

[4] - انظر **سورة الكهف** الآية 46 و**سورة الأحقاف** الآية 20 و**سورة الشورى** الآية 36 و**سورة النساء** الآية 77 وغيرها.

أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون"[1].

وقال الله تعالى: "**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**"[2].

يقول إبن كثير: "أي أن الله جعلكم عمارا تعمرون الأرض وتستغلونها[3]، ولا يتصور استغلال دون امتلاك وإن حرمة التعدي على الأملاك –كما سيأتي– في القرآن والسنة، ونسبة الأموال إلى الإنسان كقوله تعالى: "**ولا تأتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما**..."[4]، دليل على مشروعية وحق التملك.

أما من ناحية الضوابط، فوضعها الإسلام للمالك من أجل التهذيب وصون النفس من الطغيان والظلم والتعدي والشح والأنانية، وهي نوعان فكري ومادي، فأما الفكري فيتمثل في وجوب اعتقاد صاحب المال أو المالك أنه مسؤول عنه من أين اكتسبه وأين أنفقه وأن على المالك واجبات وحقوق فيما يملك لأن المال مال الله والأملاك أملاكه في الحقيقة، وإلى هذا يشير القرآن الكريم: "**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**"[5]. هذه الأولى والثانية أن يذكر المالك بأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله فلو أمسك الله تعالى أسباب الحياة عن الإنسان لما استطاع أن يفعل شيئا "... **وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**"[6].

وأما الضوابط المادية للملكية والثروة فتتمثل فيما يلي:

---

[1] - **سورة الأعراف** الآية 32.

[2] - **سورة هود** الآية 61.

[3] - إبن كثير، المرجع السابق. ج2، ص 931.

[4] - **سورة النساء** الآية 5.

[5] - **سورة النور** الآية 33؛ وانظر محمد الغزالي، **الإسلام والأوضاع الاقتصادية**. باتنة الجزائر: مكتبة رحاب، ص145.

[6] - **سورة الجمعة** الآية 10؛ وانظر تفسير إبن الكثير المرجع السابق، ج 4، ص1894.

أولا: أن تكون عن طريق الحلال يلخصها قول الله تعالى: "**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**"[1] وذلك يكون بالغبن والظلم، وهناك أصناف من المحرمات في المزروعات والصناعات[2].

ثانيا: إيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله قال الله تعالى: "**والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم**"[3].

ثالثا: إن جميع الثروات التي يمتلكها الفرد بصورة خاصة والأمة بصورة عامة يجب أن تستثمر لأقصى حد ممكن، فلا يحق للدولة أو الجماعة أو الفرد اكتنازها[4]. قال الله تعالى: "**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**"[5] وفي هذا يقول عفيف طبارة: "وإذا أصر الأغنياء على كنز الأموال فإنه يحق للحكومة الإسلامية أن تصادر الأموال المكدسة لاستثمارها، وحفظ أصلها لصاحبها وإعطائه حصة من ربحها، ويتحمل الخسارة لو وقعت، إذا دعت لذلك مصلحة الأمة العليا"[6].

رابعا: إذا كان المالك مبذرا ومسرفا في غير الوجوه الصحيحة إما لفساد أخلاقه أو ضعف عقله أو لسوء تدبيره، يجب أن يحجر عليه من قبل وليه أو الحكومة قال الله تعالى: "**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما وارزقوهم فيها**"[7].

---

[1] - **سورة البقرة** الآية 187.

[2] - يوسف القرضاوي، **الحلال والحرام في الإسلام**. المرجع السابق، ص 126-130-137.

[3] - **سورة المعارج** الآية 24-25.

[4] - محمد الغزالي، **الإسلام والطاعات المعطلة**. قسنطينة الجزائر: دار البعث، ص 206.

[5] - **سورة التوبة** الآية 34.

[6] - عفيف طبارة، المرجع السابق، ص 325.

[7] - **سورة النساء** الآية 5؛ وانظر عفيف طبارة، المرجع السابق، ص 325.

خامسا العمل: نجد الإسلام قد أوجب على المسلم أن يعمل أي عمل شريف مهما قل شأنه ويجلب رزقه بعرق جبينه، ولا يتكفف الناس فروى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه"[1] وقال الله تعالى: "هو أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها" وعمارة الأرض لا تكون إلا بالعمل.

ولا يجوز القعود عن العمل في الإسلام، فقد أورد يوسف القرضاوي في كتابه الحلال والحرام أحاديث تدل على ذلك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذي: "لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة (أي قوة) سوي"[2] بل على المسلم أن يبقى عاملا منتجا حتى آخر لحظة من حياته، فروى أحمد عن رسول اله صلى الله عليه وسلم قوله: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل"[3].

[1] - طه محمد فارس، المرجع السابق، ص 127.

[2] - يوسف القرضاوي، **الحلال والحرام في الإسلام**. المرجع السابق، ص122.

[3] - طه محمد فارس، المرجع المذكور أعلاه، ص 127.

المطلب الثاني: مقوم المال (حرمة أوجه الظلم).

الفرع الأول: في اليهودية.

أولا: تحريم السرقة:

نصوص التوراة تحرم السرقة لأنها اعتداء على أملاك الغير، وهي وأد للسلام بين الناس، وضرب لطمأنينة النفس، لذلك كانت هذه الحرمة واحدة من بنود الوصايا العشر التي بلغها سيدنا موسى عليه السلام لبني إسرائيل: "لا تسرق"[1]، لأن التشهي طريق إلى السرقة أو السلب أو الغصب، "لا تشته بيت جارك، ولا زوجته، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئا مما له"[2].

وخطورة ضياع الوصية "لا تسرق" تكمن في فساد الربط الاجتماعي بين الناس، فتنعدم الثقة، وكثيرا ما تؤول نتائج هذه الجريمة بعد إضاعة المال إلى إزهاق الأرواح، ولذلك نصت التوراة على الأحكام العقابية المتعلقة بالسرقة قصد تهذيب السارق فكانت طبيعة العقاب هي تعويض الشيء المسروق وقد يكون التعويض مضاعفا، وإن كان السارق معدما يباع كما يباع العبيد[3].

ثانيا: تحريم الغش في التعامل المالي:

لقد حرمت نصوص التوراة على بني إسرائيل الغش في الموازين حتى مع الغرباء، وتحثهم على الخوف من الله

[1] - **الخروج** 15:20.
[2] - **الخروج** 17:20.
[3] - **الخروج** 1:22-12.

تعالى: "... ولا تغشوا في القياس أو الوزن أو الكيل، بل استخدموا موازين عادلة وعيارات عادلة ومكاييل عادلة، فأنا الرب إلاهكم الذي أخرجكم من ديار مصر..."[1].

ثالثا: تحريم الربا:

من أوجه الظلم في المال أن يعامل الدائن المدين بالربا، والربا هي: "الفائدة التي تدفع عن المال المقترض"[2] وإن الإنسان المقترض، هو صاحب اليد السفلى مهما كانت مرتبته الاجتماعية على عمومها، لكنه في حالة الاقتراض هو في حالة ضعف يحتاج إلى مساعدة الآخرين له سواء بالعطية أو بالقرض، والمقرض قد يشترط الفائدة عند السداد، وهذه الفائدة هي الزيادة على المال المقترض، التي من شأنها أن تكون عاملا في إفلاس الغني، وأن تزيد الفقير فقرا، وعلى هذا الأساس فإن نصوص العهد القديم تضع سلوك المراباة في خانة الذم، والتنديد لما فيه من ضرر.

غير أن النص الذي في سفر التثنية، يحرم التعامل الربوي على بني إسرائيل فيما بينهم، أما معاملة الإسرائيلي للأجنبي المدين بالربا فهو جائز بل مأمور به، وهذا مقال النص: "لا تتقاضوا فوائد مما تقرضونه لإخوتكم من بني إسرائيل، سواء كانت القروض فضة أو أطعمة أو أي شيء آخر، أما الأجنبي فأقرضوه بربا، إنما إياكم إقراض أخيكم بفائدة..."[3].

فالنص هنا لم يحدد لنا من هو الأجنبي الذي يعامل بالربا، هل هذه المعاملة خاصة بالأجنبي العدو، أم هي

[1] - **اللاويين** 19:35-36.

[2] - **قاموس الكتاب المقدس**، المرجع السابق،ص398.

[3] - **التثنية** 23:19-20.

مطلقة على كل من هو أجنبي، أما الأولى فمسوغه العداء، أما إذا كان الأمر يتعلق بالأجنبي المسالم، فالنص لا يخدم المصلحة الإنسانية بل يضرها، وربما النص كان خاصا بظرف كان يعيش فيه بنو إسرائيل في وسط لا يوجد لهم فيه صديق إلا الأعداء.

وهناك نصوص ليس فيها خصوص بل هي عامة في ذم هذا التعامل وفي وصف مجتنبيه بالصلاح ففي المزمور الخامس عشر ورد قول داود عليه السلام –فيما ينسب إليه– واصفا رجل الاستقامة بأنه "لا يستثمر ماله بالربا"[1]، وأوحى الرب إلى حزقيال –النبي– أن المرء الصالح هو من "لم يقرض بالربا ولم يأخذ حراما"[2].

رابعا: تحريم الرشوة:

ومن أوجه الظلم التي حرمتها الشريعة اليهودية الرشوة، والرشوة هي ما يعطى لإبطال حق أو إحقاق باطل، أو هي ما يدفع من مال إلى ذي سلطان أو وظيفة عامة، ليحكم له أو على خصمه بما يريد هو أو ينجز له عملا أو يؤخر لغريمه عملا، وهلم جرا[3].

والمعنى سيان بالنسبة لما هي عليه نصوص التوراة، فورد في التوراة قول الرب لموسى أن يقول لبني إسرائيل: "لا تقبل رشوة لأن الرشوة تعمي المبصرين، وتحرف أقوال الصالحين"[4]، ويقول أيضا: "لا تعوجوا القضاء، ولا تحابوا، ولا تقبلوا رشوة لأن الرشوة تعمي أبصار الحكماء، وتعوج أقوال الصديقين، العدل، العدل وحده أجروا

[1] - **المزامير** 5:15.

[2] - **حزقيال** 8:18.

[3] - **المنجد الإعدادي**، المرجع السابق، ص277، ويوسف القرضاوي، **الحلال والحرام في الإسلام**. المرجع السابق، ص320-321.

[4] - **الخروج** 8:23-9.

لتحيوا وتتملكوا الأرض التي يهبها الرب إلاهكم لكم"[1]، ويقول أيضا: "ملعون كل من يأخذ رشوة ليقتل نفسا بريئة"[2]، وعندما شاخ النبي صموئيل وأحس باقتراب أجله، أشهد عليه بني إسرائيل بأنه لم يخالف وصايا الله، ولم يقترف حراما فمما قاله لهم: "إن كنت قد أخذت... أو ظلمت أو جرت على أحد أو قبلت رشوة من أحد لأغمض عيني عنه فأعوض ذلك عليكم، فأجابوه: لم تظلمنا ولم تجر علينا ولا أخذت شيئا من أحد، فقال لهم: ليكن الرب وملكه المختار شاهدين في هذا اليوم على براءتي الكاملة، فقالوا: يشهد الرب"[3].

الفرع الثاني: في المسيحية.

أولا: تحريم السرقة:

ورد تحريم السرقة في الأناجيل كلها، ففي إنجيل متى تعليم من السيد المسيح للذي سأله عن الأعمال الصالحة التي تدخله إلى الحياة الأبدية، فمما قاله السيد المسيح: "لا تسرق"[4]، وذكر بأن السرقة كباقي الآثام تبدأ كفكرة شريرة داخل نفس الإنسان[5]، وفي مواضع أخرى ذكر السرقة في الأعمال الشنيعة[6].

ثانيا: لا يوجد في الأناجيل القانونية حديث عن أوجه الظلم المختلفة في المال بشكل مباشر صريح إلا ما ورد

[1] - **التثنية** 16:19-20.
[2] - **التثنية** 27:24.
[3] - **صموئيل الأول** 12:3.
[4] - **متى** 19:18. **ولوقا** 18:20.
[5] - **مرقس** 7:21.
[6] - **يوحنا** 10:10.

في النهي عن السرقة عندما يتحدث السيد المسيح بوصايا العهد القديم كما عرضنا آنفا، فمسألة الربا والرشوة والغش في الميزان وما شابه ذلك لم تعالجها الأناجيل. فالسيد المسيح لم يلغ شريعة موسى المدنية والأدبية، بل جاء ليتممها، ويبين مقاصدها، ويصحح للناس مفاهيمها[1].

وكان السيد المسيح، يذكر معايب باعة الهيكل حينما استهجن تصرفاتهم قائلا: "أما أنتم فجعلتموه مغارة لصوص"[2]، يقول أصحاب التفسير التطبيقي في تعليقهم: "هذه هي المرة الثانية التي يظهر فيها الرب يسوع الهيكل، فيملأونه ببضائعهم بدلا من أن يسمحوا للأمم الذين جاءوا لعبادة الله، أن يملأوه، وكان التجار يبيعون الحيوانات للذبائح بأسعار فاحشة مستغلين أولائك الذين جاءوا من مسافات بعيدة، وكان الصيارفة يستبدلون العملات المختلفة بعملة الهيكل، وهي العملة الوحيدة التي كان التجار يقبلون التعامل بها، وكثيرا ما كانوا يغشون الغرباء، الذين يجهلون سعر الصرف، فلم يكن التجار والصيارفة غير أمناء فحسب بل كانوا يستغلون من جاءوا ليعبدوا الله"[3].

الفرع الثالث: في الإسلام.

من أوجه الظلم في المال التي حرمها الإسلام وشدد العقوبات في اقترافه سواء في الدنيا أو الآخرة السرقة والغصب وأكل الربا والغش والرشوة وغيرها[4].

ونكتفي ببيان ما ذكرنا فيما يلي:

---

[1] - **متى** 5:17-19. وانظر **التفسير التطبيقي**، المرجع السابق، ص1883.

[2] - **متى** 21:12-13.

[3] - **التفسير التطبيقي**، المرجع المذكور أعلاه، ص1939-1940.

[4] - وهبة الزحيلي، **المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع**. المرجع السابق، ص من87-100.

أولا: تحريم السرقة:

يعتبرها الإسلام من كبائر الذنوب، ولذلك جعلت عقوبتها –إذا وصل الأمر إلى الحاكم- قطع اليد من الرسغ قال تعالى: "**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكلا من الله، والله عزيز حكيم**"[1].

ثانيا: تحريم الغش:

ومن أقبح أنواع الغش في المال تخسير المكيال والميزان قال الله تعالى مهددا بالوعيد: "**ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين**"[2].

ثالثا: تحريم الربا:

من أكبر ما حرم الله تعالى في القرآن والسنة النبوية التعامل بين الناس بالربا، قال الله تعالى: "**وحرم الربا**"[3].

وشدد الله تعالى وعيده من ممارس الربا حتى قال: "**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**"[4].

[1] - **سورة المائدة** الآية 38؛ انظر وهبة الزحيلي، **المحرمات وأثارها السيئة على المجتمع**. المرجع السابق، ص92.

[2] - **سورة المطففين** الآية 1-6؛ انظر أيضا **سورة الأنعام** الآية 152 و**سورة الشعراء** الآية 181-182 وغيرها من الآيات.

[3] - **سورة البقرة** الآية 275.

[4] - **سورة البقرة** الآية 278-279.

يلاحظ في هذه الآية الكريمة أن العلة في تحريم الربا هي الظلم، ويشرح محمود شلتوت تعليل التحريم فيقول: "ومن هنا حرم الإسلام... تحريما قاطعا أن يتخذ الغني حاجة أخيه الفقير، أو دولته المحتاجة، فرصة لاكتساب المال عن هذا الطريق الذي لا خير فيه للمجتمع ولا للأفراد، والذي يجعل الغني في تربص دائم لحاجة المحتاجين يستغلها في زيادة ماله، دون عمل يحقق به نسبته إلى المجتمع، وجزئيته في بنائه، والذي ينزع من قلبه الشعور بالوحدة، ومعاني الرحمة والعطف التي هي من خصائص الإنسان الفاضل"[1].

وكثيرا ما كانت الربا سببا في اعتداء أمة على أمة، يقول عفيف طبارة: "فقد ثبت أن الغزو الاقتصادي القائم على المعاملات الربوية كان التمهيد الفعال للاحتلال العسكري..."[2].

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل من اشترك في التعامل الربوي راضيا ومحلا هو ملعون، فقال: "لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه"[3].

رابعا: تحريم الرشوة:

يقول القرضاوي: "ومن أكل أموال الناس بالباطل أخذ الرشوة وهي ما يدفع من مال إلى ذي سلطان أو وظيفة عامة ليحكم له أو على خصمه بما يريد هو أو ينجز له عملا أو يؤخر لغريمه عملا، وهلم جرا"[4]

والإسلام يشدد في تحريم الرشوة إلى درجة أنه يلحق الإثم واللعنة على كل من اشترك فيها راضيا، ودليله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الراشي والمرتشي والرائش"[1] والرائش هو الوسيط بين الراشي والمرتشي[2]، وقال

[1] - محمود شلتوت، المرجع السابق، ص272.

[2] - عبد الفتاح عفيف طبارة، المرجع السابق، ص332.

[3] - رواه مسلم في كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله 3/ 1219 (1598)

[4] - يوسف القرضاوي، **الحلال والحرام في الإسلام**. المرجع السابق، ص320-321.

الله تعالى: " **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**"[3] "أي لا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقا لغيركم، وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم"[4].

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق المطلبين .

للمال أهمية قصوى في التأثير على النفس ولذلك اهتمت الأديان الثلاثة بهذه المسألة، وجعلتها في ميدان التنمية الإيجابية، فعلمت الإنسان الكسب الحلال، وأوجه الانفاق الحسن.

ففي اليهودية نصوص صرحت بحق التملك للأفراد من غير طغيان لأن المالك الحقيقي هو الله تعالى، وحرم الاعتداء عليها بالسرقة أو الغصب. كما أنها شجعت على العمل وحذرت من الكسل وعواقبه، وكان الأنبياء قدوة في ذلك.

أما المسيحية فهي لا تشجع على الامتلاك، ولا تدفع الناس إلى السعي للتكسب، ولكن مفسري النصوص المقدسة بينوا أن المسيحية لا تلزم الناس بترك التكسب وعللوا عدم تشجيع السيد المسيح أتباعه على العمل والامتلاك هو انعدام الفرص، فكان يشجعهم على الزهد والاتجاه إلى عمل الآخرة، وفسروا عدم الادخار، بوجود الفقراء مما يستدعي توزيع المال ولا يبقى في يد كاسبه.

[1] - سنن الترمذي ت شاكر (3/ 614) 1336

[2] - يوسف القرضاوي، المرجع المذكور أعلاه، ص321.

[3] - **سورة البقرة** الآية188.

[4] - وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص96.

بينما الإسلام يتفق مع اليهودية في مجال مشروعية الكسب والتكسب وضروريتهما، ونلاحظ أن المسيحية قاصرة في هذا الميدان ولكن لها عذرها لارتباطها بالظروف القاسية.

ولكن الأديان السماوية كلها اتفقت على تحريم السرقة والغصب والسلب والاعتداء على الأملاك، كما أنها كلها حرمت الغش في المعاملات المالية وغيرها وحرمت الإقراض بالربا، لكن اليهودية أحلته في التعامل مع الأجنبي. ومع ذلك توجد نصوص عامة في تحريم الربا دون تقييد، بينما الإسلام يحرم الإقراض بالربا مطلقا دون أي تقييد، وهو ما يخدم المصلحة الإنسانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة البحث

إن النتائج التي خرجنا بها عقب بحثنا ما يلي:

- لقد حاولت دعم كلمة علماء أصول الفقه والمقاصد بأن ضروريات الخمس الدين والنفس والعقل والنسل والمال ثابتة في جميع الملل عن طريق الاستشهاد بالنصوص المقدسة.
- توصلت من خلال البحث إلى أن عوامل حفظ الضرورات وعوامل تنميتها هي ذاتية في الكتب المقدسة وتظهر في وضوح العقيدة وتطبيق الوصايا في حفظ الدين، وحرمة القتل والقصاص الدنيوي عليها، وإيجاد النسل وتنظيمه وحمايته كل ذلك لحفظ النفس.

وكذلك لعوامل تنمية الدين وازدهارها نصوص ذاتية من الكتب المقدسة كعامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنشاء أماكن العبادة والحفاظ عليها وتفعيلها بالدور التعليمي والترشيدي والتعبدي الذي يجب أن نقوم به، وأيضا بالنسبة لعوامل تنمية النفس وجعلها ذات قيمة مرشحة لعمارة الأرض بالخير كالمبادئ الأخلاقية، والشعائر التعبدية فالأولى تجعل النفس طيبة مطمئنة، والثانية توطد العلاقة النفسية مع خالقها، وأما المال مع الأمر بكسبه وحرمة الظلم من خلاله يجعل النفس ذات كرامة، وعزة، واتزان. هذا كله موجود وجودا ذاتيا في الكتب المقدسة، ولكن بمستويات مختلفة بين الأديان؛ قد يندر الاستدلال بنص في دين من الأديان ولكن يوجد –على الأقل– ما يشير إليه.

- لقد تبين لي جليا أن نصوص القرآن والسنة غنية بالأدلة، فياضةٌ في كل شأن أتطرق إليه، ولذلك ابتعدت في البحث عن التفريع في أي مسألة، واكتفيت بنص أو نصين وتارة أكتفي بما جاء في القرآن الكريم، خوفا من التباين الكبير في صفحات المباحث، وهو السرّ أيضا في عدم تخصيص المال والعقل والنسل بفصل.

- لقد حاولت ما أمكن التقرب بهذا البحث من قول الله تعالى: "**قل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا أن لا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**".(آل عمران الآية 64)
- تبين لنا أن الأديان السماوية الثلاثة مؤهلة لصياغة منظومة أخلاقية قانونية تحقق بها الإنسانية مصالحها المشتركة في مجالات الحياة كلها.
- أشعر في نهاية البحث أنني في بدايته؛ والله ولي التوفيق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

	السورة	الآية	الصفحة
"أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء..."	سورة البقرة	30	170
"أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم..."	سورة البقرة	44	144
"إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى... "	سورة البقرة	62	47
"وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون..."	سورة البقرة	80	71
"وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت..."	سورة البقرة	127	150
"ولنبلونكم بشيء من الخوف..."	سورة البقرة	157-155	97
"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم..."	سورة البقرة	178	181
"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام..."	سورة البقرة	183	257
"ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل..."	سورة البقرة	187	272و281
"وقاتلوا في سبيل الله..."	سورة البقرة	190	171و174
"كتب عليكم القتال وهو كره لكم...	سورة البقرة	216	171
"...ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض..."	سورة البقرة	251	146
"لا إكراه في الدين..."	سورة البقرة	256	171
"وحرم الربا"	سورة البقرة	275	279
"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا..."	سورة البقرة	279-278	280-279
"زين للناس حب الشهوات..."	سورة آل عمران	14	270

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"قل إن كنتم تحبون الله..."	سورة آل عمران	31	235
"قل أطيعوا الله والرسول..."	سورة آل عمران	32	55 و106
"إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران..."	سورة آل عمران	33	131
" ويعلمه الكتاب والحكمة..."	سورة آل عمران	48	152
"إن مثل عيسى عند الله..."	سورة آل عمران	60	76
"قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء..."	سورة آل عمران	64	69
"يا أهل الكتاب لما تحاجون في إبراهيم..."	سورة آل عمران	66-65	39
"كنتم خير أمة أخرجت للناس..."	سورة آل عمران	110	140
"يا أيها الناس اتقوا ربكم..."	سورة النساء	1	192
"ولا تأتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما..."	سورة النساء	5	273،271
"حرمت عليكم أمهاتكم..."	سورة النساء	23	205
"والمحصنات من النساء..."	سورة النساء	24	205
"...وأحل لكم ما وراء ذلكم..."	سورة النساء	24	193
"ولا تقتلوا أنفسكم..."	سورة النساء	30-29	169
"وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا..."	سورة النساء	35-34	206
"إن الله لا يغفر أن يشرك به..."	سورة النساء	48	234
"....ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما"	سورة النساء	48	233
"إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها..."	سورة النساء	58	239
"وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله..."	سورة النساء	61	128

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"وما أرسلنا من رسول..."	سورة النساء	64	107
"ومن يطع الله والرسول..."	سورة النساء	69	127
"من يطع الرسول فقد أطاع الله..."	سورة النساء	80	55 و106
"ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب..."	سورة النساء	131	80
"يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط..."	سورة النساء	135	238
"يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود"	سورة المائدة	1	239
"...إن الله هو المسيح..."	سورة المائدة	17	74
"من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل..."	سورة المائدة	32	170
"إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله..."	سورة المائدة	33	182
"والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءا بما كسبا..."	سورة المائدة	38	279
"وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس..."	سورة المائدة	45	181
"ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل..."	سورة المائدة	66	22
"لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح	سورة المائدة	73	77
"وقال المسيح يا بني إسرائيل..."	سورة المائدة	74-73	77
"ما المسيح ابن مريم إلا رسول..."	سورة المائدة	75	76
"لعن الذين كفروا من بني إسرائيل..."	سورة المائدة	79-78	143و135
"...ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا..."	سورة المائدة	83-82	46
"وإذا أوحيت إلى الحواريين...."	سورة المائدة	112-111	46
"وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم..."	سورة المائدة	117-116	78-77

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"قل أغير الله أتخذ وليا..."	سورة الأنعام	14	67
"إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض..."	سورة الأنعام	79	79
"وتلك حجتنا اتيناها إبراهيم..."	سورة الأنعام	90-83	130
"...سبحانه وتعالى عما يصفون..."	سورة الأنعام	100	236
"وما أنا عليكم بحفيظ..."	سورة الأنعام	104	34
"اتبع ما أوحي إليك من ربك..."	سورة الأنعام	106	129
"ولا تقتلوا أولادكم من إملاق..."	سورة الأنعام	151	169
"وإن هذا صراطي مستقيما..."	سورة الأنعام	153	107
"وهذا كتاب أنزلناه مبارك..."	سورة الأنعام	155	126
"قل إن صلاتي ونسكي..."	سورة الأنعام	163-162	255
"قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده..."	سورة الأعراف	32	270
"إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض..."	سورة الأعراف	54	66-65
"وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته..."	سورة الأعراف	57	93
"أولم يهدي الذين يرثون الأرض..."	سورة الأعراف	106	96
"الذين يتبعون الرسول النبي الأمي..."	سورة الأعراف	157	143
"أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض..."	سورة الأعراف	185	66
"أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون"	سورة الأعراف	191	233
"وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين..."	سورة الأنفال	1	106
"يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله..."	سورة الأنفال	20	106

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم..."	سورة التوبة	5	174
"إنما يعمر مساجد الله..."	سورة التوبة	18	155
"قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم..."	سورة التوبة	24	235
"والذين يكنزون الذهب والفضة..."	سورة التوبة	34	272
"والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض..."	سورة التوبة	71	139
"لمسجد أسس على التقوى من أول يوم..."	سورة التوبة	108	156
"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله..."	سورة التوبة	119	237
"خذ من أموالهم صدقة..."	سورة التوبة	153	258
"قل من يرزقكم من السماء والأرض..."	سورة يونس	32-31	68
"قال يا نوح إنه ليس من أهلك..."	سورة هود	46	119
"هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"	سورة هود	61	271
"ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي..."	سورة هود	189	96
"أأرباب متفرقون خير..."	سورة يوسف	39	68
"لهم عذاب في الحياة الدنيا..."	سورة الرعد	34-33	95
"ولقد أرسلنا رسلا من قبلك..."	سورة الرعد	38	186
"وعلى الله فليتوكل المؤمنون..."	سورة إبراهيم	11	235
"إنا نحن نزلنا القرآن وإنا له لحافظون..."	سورة الحجر	9	105
"أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون..."	سورة النحل	17	65
"والذين تدعون من دون الله..."	سورة النحل	20	65

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"والذين هاجروا..."	سورة النحل	41	95
"وأنزلنا إليك الذكر..."	سورة النحل	44	55 و105
"إن الله يأمر بالعدل..."	سورة النحل	90	238
"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...."	سورة الإسراء	9	125
"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه..."	سورة الإسراء	23	241
"ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق..."	سورة الإسراء	31	170و194
"ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق..."	سورة الإسراء	33	169
"وأوفوا بالعهد..."	سورة الإسراء	34	239
"ولا تقف ما ليس لك به علم..."	سورة الإسراء	36	71
"فمن كان يرجو لقاء ربه..."	سورة الكهف	110	256
"قل إني عبد الله..."	سورة مريم	30	78
"ما كان الله أن يتخذ من ولد..."	سورة مريم	34	78
"أولائك الذين أنعم الله عليهم من النبيين..."	سورة مريم	58	131
"فإما يأتينكم مني هدى..."	سورة طه	123	125
"ومن أعرض عن ذكري..."	سورة طه	124	95 و127
"كل نفس ذائقة الموت..."	سورة الأنبياء	35	91
"....ونبلوكم بالشر والخير..."	سورة الأنبياء	35	97
"ولقد كتبنا في الزبور..."	سورة الأنبياء	105	95
"ذلك بأن الله هو الحق..."	سورة الحج	7-6	92

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"...واجتنبوا قول الزور"	سورة الحج	30	238
"والبدن جعلناها لكم من شعائر الله..."	سورة الحج	37-36	151
"...ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض..."	سورة الحج	40	154
"...ولينصرن الله من ينصره..."	سورة الحج	41-40	142
"والذين هم لفروجهم حافظون..."	سورة المؤمنون	7-5	207
"والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة..."	سورة النور	2	207
"والذين يرمون المحصنات..."	سورة النور	4	207
"وأنكحوا الأيامى منكم..."	سورة النور	32	204و194
"وآتوهم من مال الله الذي آتاكم..."	سورة النور	33	271
"في بيوت أذن الله..."	سورة النور	36	156-155
"إنما كان قول المؤمنين...."	سورة النور	51	107
"ومن يطع الله ورسوله...."	سورة النور	52	126
"فليحذر الذين يخالفون عن أمره..."	سورة النور	287	128
"وتوكل على الحي الذي لا يموت.."	سورة الفرقان	58	235
"والذين لا يشهدون الزور...."	سورة الفرقان	72	238
"قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا..."	سورة القصص	72-71	68
"ومن رحمته أن جعل لكم الليل والنهار..."	سورة القصص	73	68
"أين شركائي الذين كنتم تزعمون..."	سورة القصص	75-74	69
"وابتغ فيما أتاك الله..."	سورة القصص	77	194

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"تلك الدار الآخرة..."	سورة القصص	83	240
"ولا تدعوا مع الله إلاها آخر..."	سورة القصص	88	68
"إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر..."	سورة العنكبوت	45	257
"وقولوا آمنا بما أنزل إلينا..."	سورة العنكبوت	46	79
"...إن الشرك لظلم عظيم"	سورة لقمان	13	233
"ولا تصعر خدك للناس..."	سورة لقمان	18	239
"اتقوا ربكم..."	سورة لقمان	33	234
"لقد كان لكم في رسول الله..."	سورة الأحزاب	21	232و132
"ومن يعص الله ورسوله...."	سورة الأحزاب	36	128
"إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا..."	سورة الأحزاب	65-64	128
"يا أيها الناس أذكروا نعمة الله عليكم..."	سورة فاطر	3	234
"قل أرأيتم شركاءكم..."	سورة فاطر	67	67
"سبحان الذي خلق الأزواج..."	سورة يس	36	192
"قال من يحي العظام..."	سورة يس	79-78	93
"خلقكم من نفس واحدة..."	سورة الزمر	6	192
"ضرب الله مثل رجل..."	سورة الزمر	20	67
"ولقد أوحي إليك..."	سورة الزمر	66-65	69
"وما قدروا الله حق قدره..."	سورة الزمر	67	91 و236
"ونفخ في الصور...."	سورة الزمر	70	92-91

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"إنا لننصر رسلنا..."	سورة غافر	51	127
"الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه..."	سورة غافر	67	67-66
"ومن آياته الليل والنهار..."	سورة فصلت	37	65
"ومن آياته أنك ترى الأرض..."	سورة فصلت	39	92
"جعل لكم من أنفسكم أزواجا..."	سورة الشورى	11	192
"وما أصابكم من مصيبة..."	سورة الشورى	30	96
"والذين إذا أصابهم البغي..."	سورة الشورى	40-39	240
"فمن عفا وأصلح..."	سورة الشورى	40	240
"استجيبوا لربكم..."	سورة الشورى	47	106
"إن هو إلا عبد أنعمنا عليه..."	سورة الزخرف	59	76
"الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين..."	سورة الزخرف	67	244
"قل إن كان للرحمن ولد..."	سورة الزخرف	81	77
"قل الله يحييكم ثم يميتكم..."	سورة الجاثية	26	92
"قل ما كنت بدعا من الرسل..."	سورة الأحقاف	9	76
".....إن أتبع إلا ما يوحى إلي..."	سورة الأحقاف	9	130-129
"يا أيها الناس إنا خلقناكم..."	سورة الحجرات	13	171
"ونزلنا من السماء ماء..."	سورة ق	11	92
"يوم يسمعون الصيحة..."	سورة ق	43	93
"ومن كل شيء خلقنا زوجين..."	سورة الذاريات	49	192

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون..."	سورة الذاريات	56	255
"كل من عليها فان...."	سورة الرحمن	27	91
"وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا..."	سورة الواقعة	50-48	93
"...ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب..."	سورة الحديد	16	108
"لقد أرسلنا رسلنا بالبينات..."	سورة الحديد	25	238
"ثم قفينا على أثرهم برسلنا..."	سورة الحديد	27	50
"وما أتاكم الرسول فخذوه..."	سورة الحشر	7	55و106
"قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم...	سورة الممتحنة	6-4	113و131
"لا ينهاكم الله على الذين لم يقاتلوكم..."	سورة الممتحنة	9	240
"ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب..."	سورة الصف	7	71
"وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"	سورة الجمعة	10	271
"ولله العزة ولرسوله..."	سورة المنافقون	8	240
"يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية..."	سورة الحاقة	37-18	94-93
"والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم..."	سورة المعارج	25-24	272
"والذين هم لفروجهم حافظون..."	سورة المعارج	29	193
"فأما من طغى..."	سورة النازعات	39	242
"وأما من خاف مقام ربه..."	سورة النازعات	41	242
"وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت..."	سورة التكوير	8	170
"يا أيها الإنسان..."	سورة الإنفطار	83	234

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون"	سورة المطففين	6-1	279
"فأما من أوتي كتابه بيمينه..."	سورة الانشقاق	15-6	94
"قد أفلح من تزكى..."	سورة الأعلى	14	242-241
"ونفس وما سواها..."	سورة الشمس	9	242
"واسجد واقترب..."	سورة العلق	19	257

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
"إنما الأعمال بالنيات..."	70
"وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة..."	70
"من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد"	70
من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"	71
"ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب...."	97
"....أي الناس أشد بلاء قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل...."	97
"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به..."	107
"فأعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت...."	125
"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم....."	129
"ليس الإيمان بالتمني...."	129
"مثل المؤمنين في توادهم..."	139
"ما من نبي بعثه الله في أمة..."	143
"والذي نفسي لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر..."	144
"إياكم والجلوس في الطرقات..."	144
"يؤتى بالرجل يوم القيامة..."	145
"من بنى مسجدا لله..."	155

"صلاة الرجل في جماعة..."	157
"من اغتسل يوم الجمعة..."	157
"من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا..."	158
"من قتل نفسه بحديدة..."	169
"العمد أي القتل..."	181
"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج..."	193و204
"...وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"	194
"تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع"	195
"تنكح المرأة على إحدى الخصال..."	195
"إذا أتاكم من ترضون دينه..."	195
"تزوجوا الولود الودود..."	195
"خير ما يخلف الرجل من بعده..."	195
"كلكم راع ومسؤول عن رعيته..."	205-204
"أبغض الحلال إلى الله الطلاق"	206
"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..."	207
"من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط..."	208
"اتق الله حيثما كنت"	234
"لو أنكم تتوكلون على الله..."	235
"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"	237

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر..."	238
"الظلم ظلمات يوم القيامة"	239
"إن من أحبكم إليّ وأقربكم منيّ..."	242
"ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن"	243
"تقوى الله وحسن الخلق"	243
"لا تنزع الرحمة إلا من شقي"	243
"لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر"	243
"إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء..."	243
"من جالس جانس..."	243
"لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره..."	273
"لا تحل الصدقة لغني..."	273
"إن قامة الساعة وبيد أحدكم فسيلة..."	273
"لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه"	280
"لعن الله الراشي والمرتشي والرائش"	281

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الكتاب المقدس

	الأسفار والأناجيل	العدد	الصفحة
"في البدء خلق الله السماوات والأرض"	التكوين	28-1:1	60
"أثمروا وتكاثروا...."	التكوين	7:1	187
"ريثما أصعد أنا والصبي إلى هناك لنتعبد"	التكوين	19:1	79
"فخلق الله الإنسان على صورته..."	التكوين	29-27:1	264
"...لهذا فإن الرجل يترك أباه..."	التكوين	24:2	189
"ماذا فعلت؟إن صوت دم أخيك..."	التكوين	11-10:4	163
"أما نوح فقد حظي برضى الرب..."	التكوين	10-8:6	111
"بنى نوح مذبحا للرب..."	التكوين	20:8	112
"أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض..."	التكوين	1:9	187
"وأطالب أنا بدمكم لأنفسكم..."	التكوين	6-5:9	176
"...وظهر الرب لإبرام..."	التكوين	9-7:12	149
"ارفع عينيك وتلفت..."	التكوين	16-14:13	189
"...ارحل عنا لأنك أصبحت أكثر قوة"	التكوين	17:16	114
"كان اسمه إبرام..."	التكوين	5:17	148
"فقال الرب: أأكتم على إبراهيم..."	التكوين	18-17:18	113
"فشيد إسحاق هناك مذبحا..."	التكوين	25:26	114و149

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"...وشيد هناك مذبحا دعاه إيل..."	التكوين	20:33	149
فكان موسى يدعو إلى الدين...	الخروج	15-11:2	134
"كما أن الرجل موسى كان عظيما..."	الخروج	3:11	114
فاستمع موسى إلى نصيحة حموه...	الخروج	24-21:18	135
"وشيد موسى مذبحا للرب..."	الخروج	15:17	149
"....أنا هو الرب إلاهك..."	الخروج	5-1:20	62
"لأن الرب قد صنع السماء..."	الخروج	11:20	62
"لا تقتل"	الخروج	13:20	163
"لا تسرق"	الخروج	15:20	274
"لا تشتهي بيت جارك..."	الخروج	17:20	274
تعويض الشيء المسروق....	الخروج	12-1:22	274
"لا تقبل خبرا كاذبا..."	الخروج	1:23	222
المذنب هنا الذي يستحق القتل	الخروج	9-1:23	163
"إذا صادفت ثور عدوك..."	الخروج	4:23	221
"لا تقتل البريء..."	الخروج	7:23	163
"ابتعد عن الكلام الكذب..."	الخروج	7:23	222
"لا تقبل رشوة...."	الخروج	9-8:23	276
"لأن الرب إلاهكم..."	الخروج	9:23	221
"ازرع أرضك واحصد غلتها ست سنين"	الخروج	13-10:23	261

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وشيد مذبحا آخر	الخروج	4:24	149
أمر الرب مرة أخرى موسى...	الخروج	25	149
"أوص بني إسرائيل أنا الرب إلاهكم"	اللاويين	18-5:1	99
"إذا أخطأ أحد لأنه صمت..."	اللاويين	13-1:5	81
الأفراد الذين لا يجوز بينهم الزواج	اللاويين	18-6:18	200
بل كل من اقترف شيئا...	اللاويين	29:18	201
"كلم كل جماعة بني إسرائيل..."	اللاويين	2-1:19	223
"وعندما تحصد محصول حقلك..."	اللاويين	10-9:19	251
"وتخشى إلاهك أنا الرب..."	اللاويين	32:19	217
"ومن أمام الأشيب تقوم...."	اللاويين	32:19	219
"وإذا نزل عندك غريب..."	اللاويين	34-33:19	219
"لا تغشوا في القياس أو الوزن أو الكيل"	اللاويين	36-35:19	275
"ومن قتل إنسانا..."	اللاويين	21:24	164
"فأنا الرب إن سلكتم فرائضي..."	اللاويين	13-3:26	84
"ولكن إن عصيتموني ولم تعملوا..."	اللاويين	18-14:26	85
"فعينوا لأنفسكم مدنا تكون ملجأ لكم"	العدد	30-13:35	177
"لا تقبلوا دية عن نفس القاتل..."	العدد	31:35	177
"ولا تقبلوا فدية من القاتل غير المتعمد"	العدد	32:35	178
"لا تدنسوا الأرض التي أنتم فيها..."	العدد	33:35	178

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"وأي شعب هو عظيم..."	التثنية	9-8:4	218
"وأعلن لكم بهذه الوصايا العشر..."	التثنية	23-13:4	118
"اسمعوا يا بني إسرائيل الشرائع..."	التثنية	1:5	99
"لا تنطق باسم الرب إلاهك باطلا..."	التثنية	25-11:5	216
"لا تقتل"	التثنية	17:5	164
"لقد سمعت حديث الشعب..."	التثنية	29-28:5	99
"يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم..."	التثنية	29:5	217و117
"وأما أنت فامثل هنا أمامي..."	التثنية	33-31:5	117و100
"وهذه هي الوصايا والفرائض..."	التثنية	3-1:6	117و100
"ولتكن هذه الكلمات...."	التثنية	7-6:6	218
"فالرب إلاهكم تتقون وإياه تعبدون"	التثنية	13:6	248
"بل احفظوا وصايا الرب..."	التثنية	18-17:6	100
"وإذا أطعنا جميع هذه الوصايا..."	التثنية	25:6	117
"ومتى أدخلكم الرب إلاهكم..."	التثنية	3-1:7	200
"فإن استمعتم إلى هذه الأحكام..."	التثنية	15-12:7	117-116
"إذا بنيت بيت جديدا..."	التثنية	8	165
"فاحفظوا جميع الوصايا التي أوصيكم"	التثنية	6-1:8	101
"فأطيعوا وصايا الرب إلاهكم..."	التثنية	9-6:8	85
"لأن الرب إلاهكم آت بكم..."	التثنية	14-7:8	262

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"إياكم نسيان الرب إلاهكم..."	التثنية	20-11:8	117
"ولكن أذكروا أن الرب إلاهكم..."	التثنية	18:8	262
"أما إن نسيتم الرب إلاهكم..."	التثنية	20-19:8	86
"لا تقولوا لأنفسكم بعد أن ينفيهم..."	التثنية	5-4:9	87
"فالآن أيها الإسرائيليون..."	التثنية	12:10	249-248
"لأن الرب إلاهكم..."	التثنية	19-17:10	221
"البركة لكم إن أطعتم وصايا الرب..."	التثنية	27-26:11	118
"وفي نهاية كل ثلاث سنين..."	التثنية	29-28:14	252-251
"في آخر سبع سنين تعمل إبراء..."	التثنية	2-1:15	220
"افتح يديك لأخيك المسكين..."	التثنية	11:15	220
"إذا بيع لك أخوك العبراني..."	التثنية	12:15	220
"وتفرح في عيدك أنت وابنك..."	التثنية	14:16	221
"لا تعوجوا القضاء..."	التثنية	20-19:16	277و219
ومن حرمة النفس...	التثنية	6-2:17	178
"فلا يسفك دم بريء..."	التثنية	10:19	164
"إذا ذهبتم لمحاربة عدوكم..."	التثنية	1:20	165-164
"...لكي لا يعلموكم رجاستهم..."	التثنية	18:20	165
"إذا كان الرجل ابن معاند..."	التثنية	20-18:21	217
"وهكذا تفعل بكل مفقود..."	التثنية	4-1:22	222-221

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"ولقد فرضت الشريعة..."	التثنية	22:22	201-200
أما زنا غير المتزوجين...	التثنية	29-28:22	201
"لا تتقاضوا فوائد مما تقرضونه..."	التثنية	20-19:23	275
"ما خرج من شفتك احفظ واعمل..."	التثنية	23:23	221
"لا تظلم أجيرا..."	التثنية	15-14:24	221-220
"ملعون كل من يقتل صاحبه..."	التثنية	25-24:27	165
"ملعون كل من يأخذ رشوة..."	التثنية	24:27	277
"فتقول جميع الأمم لماذا فعل الرب..."	التثنية	28-24:29	86
"وأما أنتم فتطيعون صوت الرب..."	التثنية	9-8:30	87
"اجمع الشعب الرجال والنساء..."	التثنية	13-12:31	222
"إنما احرصوا جدا على ممارسة الوصية"	يشوع	5:22	101
"...وسمى بنو راوبين..."	يشوع	34:22	150
"اتقوا الرب واعبدوه بكل أمانة..."	يشوع	15:24	115
"واحرصوا على الطاعة..."	يشوع	6:33	101
"إن كنت قد أخذت أو ظلمت..."	صموئيل الأول	3:12	277
"...والآن أيها الرب إله إسرائيل..."	أخبار الأيام الثاني	21-17:6	151
"لأن للشجرة أملا...."	سفر أيوب	12-7:14	82
"أبرمت عهدا مع عيني..."	سفر أيوب	2-1:31	81
"للإنسان الذي لا يتبع مشورة الأشرار"	المزامير	5-1:1	83-82

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"لا يستثمر ماله بالربا..."	المزامير	5:15	276
"السماوات تحدث بمجد الله..."	المزامير	3-1:19	61
"طوبى للمتفرق بالمسكين..."	المزامير	1:41	252
"أنقذني من سفك الدماء..."	المزامير	14:51	166
"يقول الله: أنا أختار ميعادي..."	المزامير	8-2:75	83
"مخافة الرب رأس المعرفة..."	الأمثال	7:1	217
"يا بني إن استغواك الخطاة فلا تقبل..."	الأمثال	15-10:1	166
"لا تحجب الإحسان عن أهله..."	الأمثال	28-27:3	252
"ستة أمور يمقتها الرب..."	الأمثال	17:6	166
"توكل على الرب بكل قلبك..."	الأمثال	7-5:7	217
"نفس الكسول تشتهي كثيرا..."	الأمثال	4:13	264
"شهية العامل حافز عمله..."	الأمثال	26:16	264
"رب الولد في طريقه...."	الأمثال	6:22	219
"أوهام الكسول تقتله...."	الأمثال	25	264
"فليس أفضل للإنسان من أن يأكل..."	الجامعة	24:2	265-264
"إن من نعم الله على الإنسان..."	الجامعة	13:3	265
"وليمنعك قلبك في أيام شبابك"	الجامعة	9:11	84-83
"اتق الله وأحفظ وصاياه..."	الجامعة	14-13:12	102
"....عما نوئيل...."	أشعياء	14:18	45

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"أليس هذا صوم أختاره..."	أشعياء	7-1:28	251
"هذا ما يقوله الرب القدير..."	أشعياء	24-6:44	61
"هذا ما يقوله الرب لكورش مختاره"	أشعياء	7-1:45	61
"لم يقرض بالربا ولم يأخذ حراما..."	حزقيال	8:18	276
"للرب إلاهك تسجد وإياه وحده تعبد"	متى	10:4	223
"لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة..."	متى	17:5	167
"...خالف واحدة من هذه الوصايا..."	متى	19:5	121
"سمعت أنه قيل للأقدمين لا تقتل..."	متى	24-21:5	179و168
"وسمعت أنه قيل..."	متى	29-27:5	202
"سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن"	متى	39-38:5	229
"ومن أراد محاكمتك ليأخذ ثوبك..."	متى	40:5	266
"فتكونوا أبناء أبيكم..."	متى	45:5	231
"لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض..."	متى	21-19:6	265
"لا يمكنكم أن تكونوا عبيدا لله والمال"	متى	24:6	265و64
"فأي من يسمع أقوالي ويعمل بها..."	متى	29-24:7	119
"لا تسلكوا طريقا إلى الأمم..."	متى	14-5:10	137-136
"...ما لأقوله لكم في الظلام..."	متى	28-27:10	137
"يشبه ملكوت السماوات بكنز..."	متى	46-44:13	266
"ألم تقرأوا أن الخالق..."	متى	6-4:19	202-201

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"...فلا يفرقن الإنسان..."	متى	6:19	202
"...فعدم الزواج أفضل..."	متى	10:19	190
"لا تسرق"	متى	18:19	277
"أما أنتم فجعلتموه مغارة لصوص..."	متى	13-12:21	277
"الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان..."	متى	21:21	123
"فالناس في القيامة لا يتزوجون..."	متى	33-30:22	90
"تحب الرب إلاهك من كل قلبك"	متى	41-34:22	103
"والثانية مثلها أحب قريبك كنفسك"	متى	39:22	226
"بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس..."	متى	40:22	224
"قال الرب لربي: اجلس عن يميني..."	متى	44:22	73
"اعتلى الكتبة والفريسيون كرسي موسى"	متى	3-2:23	104
"لذلك ستنزل بكم دينونة أقس..."	متى	15-14:23	90
"...كيف تفلتون من عقاب جهنم"	متى	33:23	90
"وعلموهم أن يعملوا بكل ما أوصيتكم"	متى	20:28	104
"وفيما كان يسوع يمشي على شاطئ..."	مرقس	18-16:1	137
"ولكني قلت ذلك لتعلموا..."	مرقس	20-1:2	136
"هل يحل في السبت فعل الخير..."	مرقس	4:3	230
"من يعمل بإرادة الله هو أخي..."	مرقس	35:3	118
"...فانطلقوا يبشرون إلى التوبة..."	مرقس	13-12:6	138

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"لأنه من الداخل من قلوب الناس..."	مرقس	23-20:7	232
السرقة كباقي الآثام...	مرقس	21:7	277
"هذا النوع أي من الأرواح الشريرة..."	مرقس	29:9	254
"إن أراد أحد أن يكون الأول..."	مرقس	35:9	230
"فحتى ابن الإنسان قد جاء لا ليُخدم"	مرقس	45:10	230
"...إلاهك بكل قلبك وبكل نفسك"	مرقس	30-29:12	64و224
"...والثانية مثلها أحب قريبك..."	مرقس	31:12	226
"صحيح يا معلم حسب الحق تكلمت"	مرقس	32:12	224
"لست بعيدا عن ملكوت الله..."	مرقس	34:12	224
"إن كنت تستطيع أن تؤمن ..."	مرقس	27:17	225
"...ها أنا عبدة الرب..."	لوقا	38:1	73
"وكان أبواه يذهبان..."	لوقا	46:3	152
"أحبوا أعداءكم..."	لوقا	36-27:6	229
"هل يقدر أعمى أن يقود أعمى..."	لوقا	39:6	123
"ما من شجرة جيدة تنتج ثمرا رديئا..."	لوقا	44-43:6	123
كان السيد المسيح...	لوقا	15-4:8	138
"...ولا أحد يشعل مصباحا..."	لوقا	16:8	138
"طوبى للذين يسمعون كلمة الله..."	لوقا	28:11	104و119
"يا إنسان من أقامني عليكم قاضيا..."	لوقا	14:12	266

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"احذروا وتحفظوا من الطمع..."	لوقا	15:12	266
"لهذا السبب أقول لكم لا تهتموا...."	لوقا	36-22:12	267-266
"لا بد أن تأتي العثرات ولكن الويل..."	لوقا	2-1:17	228
"لا تسرق"	لوقا	20:18	277
"أنا نور العلم من يتبعني فلا يتخبط..."	يوحنا	12:8	120
"الحق الحق أقول لكم..."	يوحنا	51:8	120
...السرقة في الأعمال الشنيعة....	يوحنا	10:10	277
"لأني أعطيتكم مثالا أي قدوة..."	يوحنا	15:13	231
"إن كنتم تحبونني فاعملوا بوصاياي..."	يوحنا	15:14	121
"من يحبني يعمل بكلمتي..."	يوحنا	24-23:14	121
"كما أرسلتني أنت للعالم..."	يوحنا	18:17	136
الوصية كانت لمؤمني الكنيسة...	أعمال الرسل	45:2	268
ولم يكن أحد يقول إن شيئا من أمواله	أعمال الرسل	32:4	268
"فإنه يحسن بالرجل ألا يمس امرأة..."	رسالة كورنثوس الأولى	9-1:7	191
"وأما العزاب..."	رسالة كورنثوس الأولى	28-25:7	191
"...أنا أبشر أجعل إنجيل المسيح...."	رسالة كورنثوس الأولى	23-18:9	49
"لتخضع كل نفس..."	رومية	4-1:13	179

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

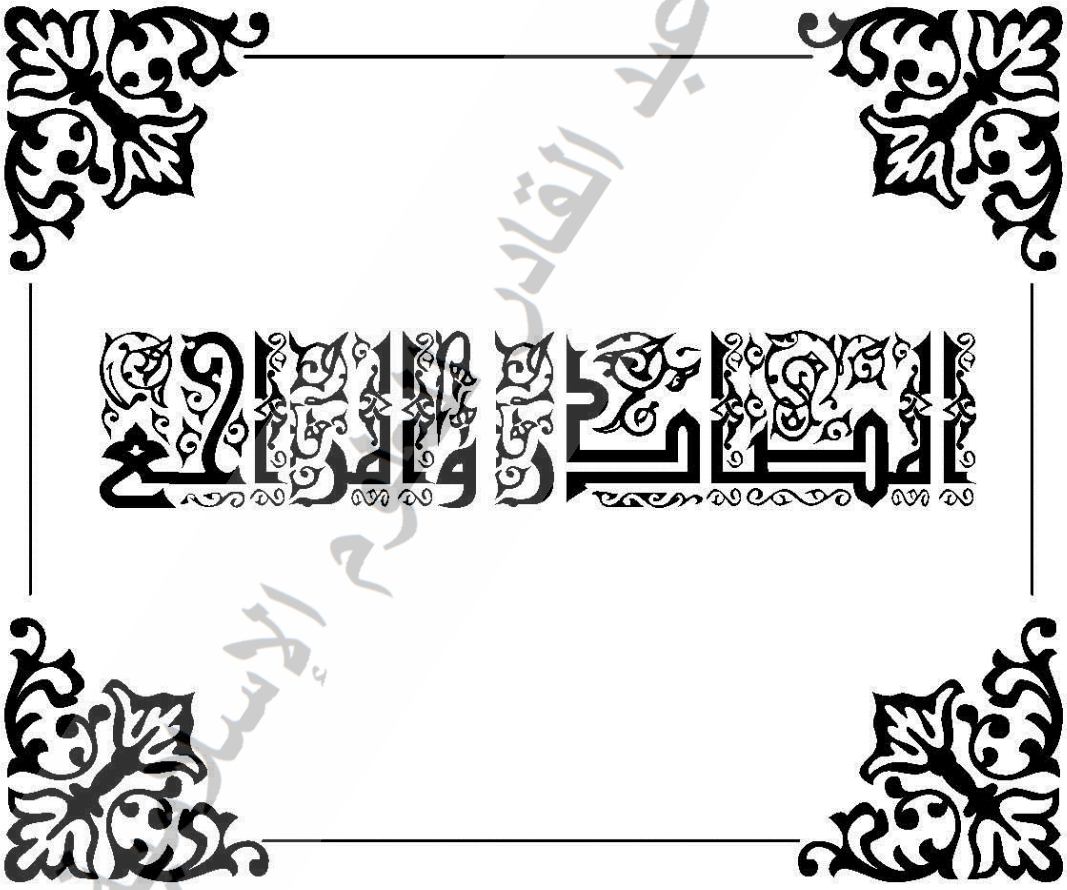

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : القرآن الكريم

ثانيا: الحديث الشريف.

ثالثا: الكتاب المقدس.

رابعا: الكتب.

1- ابن منظور، **لسان العرب**.مج7، ط6، لبنان:دار صادر، 2008م.

2- أبو زهرة محمد، **أصول الفقه**. (د ط)، مصر: دار الفكر، (د ت).

3- الريسوني أحمد، **الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية**. ط1، مصر: دار الكلمة، 1430هـ 2009م.

4- أبو حاقة أحمد، **معجم النفائس الكبير**. لبنان: دار النفائس، 2007م.

5- العايد أحمد، مختار أحمد عمر وآخرون، **المعجم العربي الأساسي (لاروس)**. (د ط)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د ت).

6- الكيلاني عبد الوهاب، الكافي محمد بشير وآخرون، **موسوعة السياسة**. ج1، ط3، الأردن: دار فارس 1990م.

7- الفخر الرازي محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**. تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط4، الجزائر: دار الهدى، 1990م.

8- (ـــــــــــــ)، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**. ج24، مج12، ط3، لبنان: دار الفكر، 1405هـ 1985م.

9- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مصر: دار هجر، 2001م.

10- السحمراني أسعد، **البيان في مقارنة الأديان**. ط1، لبنان: دار النفائس، 1422هـ 2001م.

11- أنترمان ألان، **اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم**. ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004م.

12- القاضي داود علي، **أصول المسيحية**. المغرب: مكتبة المعارف، (د ت).

13- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج1، (د ط)، لبنان: دار الفكر، 1429هـ 2008م.

14- الغزالي محمد، **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**. (د ط)، الجزائر: دار الهدى، (د ت).

15- (ـــــــــ)، **علل وأدوية**. الجزائر: دار المعرفة، (د ت).

16- (ـــــــــ)، **خلق المسلم**. ط15، الجزائر: مكتبة رحاب، 1408هـ 1987م

17- (ـــــــــ)، **الإسلام والأوضاع الاقتصادية**. الجزائر: مكتبة رحاب، (د ت).

18- (ـــــــــ)، **الإسلام والطاعات المعطلة**. الجزائر: دار البعث، (د ت).

19- (ـــــــــ)، **حقوق الإنسان، بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**. ط2، مصر: دار الكتب الحديثة، 1385هـ 1965م.

20- (ـــــــــ)، **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر**. ط2، سوريا: دار القلم، 1422هـ 2001م.

21- البوطي محمد سعيد رمضان، **فقه السيرة النبوية**. ط11، سوريا: دار الفكر، 1412هـ 1991م.

22- (ـــــــــ)، **المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة**. ط1، سوريا: دار الفكر، 1429هـ 2008م.

23- (ـــــــــ)، **منهج الحضارة الإسلامية في القرآن**. سوريا: دار الفكر، 1426هـ 2005م.

24- القرضاوي يوسف، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**. ط9، مصر: دار الشروق، 2013م.

25- (ـــــــــــــ)، **الحلال والحرام في الإسلام**. ط13، مصر: المكتب الإسلامي، (د ت).

26- (ـــــــــــــ)، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**. (د ط)، الجزائر: دار الشهاب، (د ت).

27- الخضري بك محمد، **تاريخ التشريع الإسلامي**. (د ط)، الجزائر: دار أشرفية، (د ت).

28- إليا الثاني، **أصول الدين**. ج1، تحقيق: جان ماريا جانتسا، ط1، لبنان: مركز التراث العربي المسيحي، 2005م.

29- أبو الفضل منى، محمود مصطفى نادية، **مفهوم آخر في اليهودية والمسيحية**. ط1، سوريا: دار الفكر، 2008م.

30- البرشة محمود، كفتارو وفاء أحمد، **قصص المؤمنين**. ط1، سوريا: دار الفكر، 2001م.

31- الزحيلي وهبة، **المحرمات وأثرها السيئة على المجتمع**. ط2، سوريا: دار المكتبي، 1423هـ 2002م

32- (ـــــــــــــ)،**الفقه الإسلامي وأدلته**. ج6، ط2، سوريا: دار الفكر، 1405هـ 1985م.

33- الحنبلي البغدادي ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**. لبنان: المكتبة العصرية، 1423هـ 2003م.

34- الصابوني محمد علي، **من كنوز السنة**.

35- (ـــــــــــــ)، **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام**. ج1، ط3، سوريا: مكتبة الغزالي، 1400هـ 1980م.

36- (ـــــــــــــ)، **صفوة التفاسير**. ط1، لبنان: دار القرآن الكريم، 1401هـ 1981م.

37- النجار عبد المجيد عمر، **فقه التحضر الإسلامي**. ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1999م.

38- (ـــــــــــــ)، **مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة**. ط3، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2012م.

39- الشرباصي أحمد، **موسوعة أخلاق القرآن**. ج3، ط1، لبنان: دار رائد العربي، 1401هـ 1981م.

40- الصالح صبحي، **منهل الواردين في شرح رياض الصالحين**. ج2، ط3، لبنان: دار العلم للملايين، 1976م.

41- الشنيبر خالد بن محمد، **حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام**. ط1، السعودية: مطابع الحميضي، 1430هـ 2009م.

42- الرافعي مصطفى، **نظام الأسرة عند المسلمين والمسيحيين**. ط1، لبنان: دار الكتاب العالمي، 1990م.

43- الجندي أنور، **مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام**. ط1، دار الإعتصام، 1397هـ 1977م.

44- العقاد محمود عباس، **الفلسفة القرآنية**. لبنان: الكتب العصرية، (د ت).

45- الغرياني بن عبد الرحمن الصادق، **العبادات أحكام وأدلة**. ط1، لبنان: دار ابن حزم، 1429هـ 2008م.

46- **المنجد الإعدادي**. (د ط)، لبنان: دار المشرق، (د ت).

47- البستاني كرم وآخرون، **المنجد في اللغة والإعلام**. ط40، لبنان: دار المشرق، 2003م.

48- القرطبي أبي عبد الله، **الجامع لأحكام القرآن**. مج1، ج1، (د ط)، سوريا: دار الفكر، (د ت).

49- ابن رشد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**. ج2، ط1، لبنان: دار ابن حزم، (د ت).

50- **الموسوعة العربية العالمية**. مج20، ط2، السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة، 1419هـ 1999م.

51- الصياد ريمة شريف، **الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم**. ط1، سوريا: دار النوادر، 1433هـ 2012م.

52- بن عزوز عبد القادر، **محاضرات في مقاصد الشريعة**. الجزائر: دار قرطبة، 1427هـ 2006م.

53- بطرس عبد المالك، طمسن جون الكسندر وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**. ط5، لبنان: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 2011م.

54- برانايتس آي بي، **فضح التلمود**. ترجمة: زهدي الفاتح، ط3، لبنان: دار النفائس، 1405هـ 1985م.

55- بن مزيد الموريتاني محمد الأمين بن الشيخ، **توحيد الإتباع**. ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 2011م.

56- بن عاشور محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**. ج11، مج 6، تونس: دار سحنون، 1997م.

57- بن التواتي تواتي، **المبسط في الفقه المالكي بالأدلة**. ج4، ط2، الجزائر: دار الوعي، 1431هـ 2010م.

58- بن هيمون موسى، **دلالة الحائرين**. ترجمة: حسين أناي، ط2، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 1429هـ 2008م.

59- بن قاسم الحداد أحمد بن عبد العزيز، **أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة**. ط2، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1419هـ 1999م.

60- بولس باسيم، **معجم اللاهوت الكتابي**. ط6، لبنان: دار المشرق، 2008م.

61- جبران مسعود، **الرائد**. (د ط)، لبنان: دار العلوم للملايين، (د ت).

62- ج جابر، **كيف ظهرت الديانات الكبرى**. ترجمة: يحي مرسي عبد بدر، ط1، مصر: دار الوفاء 2007م.

63- جركسيان ليون، **تاريخ أديان التوحيد في الهلال الخصيب**. ط1، سوريا: خطوات للنشر والتوزيع، 2011م.

64- جون ماك آرثر، **تفسير الكتاب المقدس**. ط2، لبنان: دار منهل الحياة، 2012م.

65- جونز ليندسي، جوناثان إسرائيل، شاحاك إسرائيل، **الديانة اليهودية**. ترجمة: علاء عبد الرازق، ط1، سوريا: تموز للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م.

66- جراهام بللي، **سبع خطايا مميتة**. ترجمة: نبيه فريز، ط3، مطبعة الخلاص، 1997م.

67- دروزة محمد عزة، **الدستور القرآني والسنة النبوية**. ط2، مطبعة عيسى الباي، 1386هـ 1966م.

68- دراز عبد الله، **مدخل إلى القرآن الكريم**. ترجمة: محمد عبد العظيم علي، الكويت: دار القلم، 1401هـ 1981م.

69- (ـــــــــــ)، **دستور الأخلاق في القرآن**. ترجمة وتحقيق: عبد الصابور شاهين، ط10، لبنان: مؤسسة الرسالة، 1418هـ 1998م.

70- هملتون، **قوانين ملكوت السموات**. ترجمة: عدلي فام، ط5، مطبعة الخلاص، (د ت).

71- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**. ج40، ط4، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1430هـ 2009م.

72- زينر ر س، **موسوعة الأديان الحية**. ج1، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط1، مصر: دار الكتب، 2010م.

73- زكريا نصر الله، **شخصيات لها بصبات**.

74- حلمي علي مرزوق، **الإسلام والفكر المعاصر**. ط1، مصر: دار الوفاء، 2005م.

75- حجازي أحمد السقا، **نقد التوراة**. ط1، لبنان: دار الجيل، 1416هـ 1995م.

76- كمالي محمد هاشم، **الدليل المبسط في مقاصد الشريعة**. ترجمة: عبد الطيف الخياط، ط1، لندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1432هـ 2011م.

77- **لمحات عن أديان العالم**. ترجمة: صادق عبد العلي الركابي، ط1، مصر: مكتبة مدبولي، 2007م.

78- مصطفى إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**. تركيا: المكتبة الإسلامية مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث.

79- مجاني الطلاب، **قاموس اللغة العربية**. ط5، لبنان: دار مجاني، 2001م.

80- محدة محمد، **مختصر علم أصول الفقه الإسلامي**. (د ط)، الجزائر: دار الشهاب، (د ت).

81- مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**. (د ط)، الأردن: دار أسامة، 1433هـ 2012م.

82- مختار عمر أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصر**. مج3، ط1، مصر: عالم الكتب، 2008م.

83- مسعود سميح، **الموسوعة الاقتصادية**. ج1، ط1، الأردن: دار الشروق، 2008م.

84- مزروعة محمود محمد، **دراسات في اليهودية**. ط1، مصر: دار اليسر، 1437هـ2016م.

85- مجموعة من المفسرين، **التفسير التطبيقي**. ط1، مصر: شركة ماستر ميديا، 1997م.

86- معيرش موسى، **نظام الحكم في اليهودية**. مصر: دار الكتاب الحديث، ط1، 1436هـ 2015م

87- محمود عبد الحليم، **العبادة أحكام وأسرار**. ج1، ط3، لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1980م.

88- محي الدين محمد، **الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية**. ط1، لبنان: دار الكتاب العربي، 1404هـ 1984م.

89- مرضى حسن،ومجلس من الأكاديميين، موسوعة أوكسفورد العربية. ط1، لبنان: دار الفكر، 1419هـ 1999م.

90- صلاواتي ياسين، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**. ج6، ط1، لبنان: مؤسسة التاريخ العربي، 1422هـ 2001م.

91- سابق السيد، **فقه السنة**. ج1، مج2، ط5، لبنان: دار الكتاب العربي، 1403هـ 1983م.

92- سيد قطب محمد، **الإنسان بين المادية والإسلام**. مصر: دار الشروق، 1397هـ 1977م.

93- (ـــــــــــــ)، **في ظلال القرآن**. مج4، ج13، ط12، مصر: دار الشروق، (د ت).

94- عرفان عبد الحميد فتاح، **النصرانية**. ط2، ماليزيا: دار التجديد، 1426هـ 2005م.

95- عماري يعقوب، **الوصايا العشر**. ط1، الأردن: دار المكتبة الوطنية، 2015م.

96- عنز نور الدين، **فكر المسلم وتحديات الألف الثالثة**. سوريا: دار الرؤية، 1423هـ 2002م.

97- عناية عز الدين، **الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**. ط1، المغرب: دار توبقال للنشر، 2014م.

98- عبد المسيح عادل فرج، **موسوعة أباء الكنيسة**. ج1، ط2، دار الثقافة، 2006م.

99- فيروز آبادي مجد الدين، **القاموس المحيط**. مصر: دار الحديث، 2008م.

100- فريز صموئيل، **تحريف الإنجيل حقيقة أم إفتراء**. (د ط)، أوتوبرنت، (د ت).

101- فليمنج دون، **التفسير المعاصر للكتاب المقدس**. ط1، الكنيسة الإنجليزية بقصر الدوبارة، 2004م.

102- فودة عبد العظيم، **الحكم بما أنزل الله**. ط1، الكويت: دار البحوث العلمية، 1407هـ 1987م.

103- فراس طه محمد، **قيم من الإسلام**. (د ط)، الإمارات: دار القلم، (د ت).

104- صليبا جميل، **المعجم الفلسفي**. ج1، (د ط)، لبنان: دار الكتاب العالمي، 1414هـ 1994م.

105- صلال الموحي عبد الرازق رحيم. **العبادات في الأديان السماوية**. ط1، سوريا: دار وائل، 2001م.

106- ريدينور فريدز، **كيف تكون مؤمن وليس متدينا**. ترجمة: باسم ألفونس، (د ط)، مطبعة الخلاص، 2007م.

107- شنودة زكي، **المجتمع اليهودي**. (د ط)، مصر: مكتبة الخانجي، (د ت).

108- شلتوت محمود، **الإسلام عقيدة وشريعة**. ط10، مصر: دار الشروق، 1400هـ 1980م.

109- شريف الصياد ريمة، **الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم**. ط1، سوريا: دار النوادر، 1433هـ 2012م.

110- تركي رابح، **دراسات في التربية الإسلامية**. ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م.

111- خلاف عبد الوهاب، **علم أصول الفقه**. ط12، مصر: دار القلم، 1398هـ 1978م.

112- خلف غسان، **الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية**. (د ط)، لبنان: دار المحمدانية، 1997م.

113- خان وحيد الدين، **الإسلام يتحدى**. ترجمة: ظفر الإسلام خان، الكويت: دار البحوث العلمية، 1401هـ 1981م.

114- ظاظا حسن، **الفكر الديني اليهودي**. ط4، سوريا: دار القلم، 1420هـ 1999م.

115- **Rabbi Joseph Telshkin ; Jewish Literacy ,the library of congress,3edition,2008**

خامسا: المواقع الإلكترونية.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل www. Arabicbible.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع **...الصفحة**

الشكر.

الإهداء.

المقدمة..... .....أ-ن

الفصل التمهيدي:..... ..... **15**

المبحث الأول: مفهوم المصلحة..... ..... **18**

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للمصلحة..... 18

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للمصلحة..... 18

المبحث الثاني: مفهوم الإنسانية..... **23**

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للإنسانية..... 23

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للإنساني..... 25

المبحث الثالث: مفهوم العوامل..... **29**

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للعوامل..... 29

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعوامل..... 30

المبحث الرابع: مفهوم التنمية..... ..... **31**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للتنمية..... 31
المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للتنمية..... 32
المبحث الخامس: مفهوم الحفظ..... **34**
المطلب الأول: المفهوم اللغوي للحفظ..... 34
المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للحفظ..... 35
المبحث السادس: مفهوم اليهودية..... **36**
المطلب الأول: المفهوم اللغوي لليهودية..... 36
المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي لليهودية..... 38
المبحث السابع: مفهوم المسيحية..... **44**
المطلب الأول: المفهوم اللغوي للمسيحية..... 44
المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للمسيحية..... 45
المبحث الثامن: مفهوم الإسلام..... 52
المطلب الأول: المفهوم اللغوي للإسلام..... 52
المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للإسلام..... 53
الباب الأول: مصلحة الدين..... **57**-160

الفصل الأول: عوامل حفظ الدين..... 58-132

المبحث الأول: العقيدة..... **60**

المطلب الأول: الإيمان بالله..... 60

الفرع الأول: في اليهودية..... 60

الفرع الثاني: في المسيحية..... 63

الفرع الثالث: في الإسلام..... 65

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق المطلب..... 72

المطلب الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء 81

الفرع الأول: في اليهودية..... 81

الفرع الثاني: في المسيحية..... 87

الفرع الثالث: في الإسلام..... 91

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق..... 97

المبحث الثاني: تطبيق التعاليم ومقوماته..... **99**

المطلب الأول: تطبيق التعاليم..... 99

الفرع الأول: في اليهودية..... 99

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الثاني: في المسيحية..... 102
الفرع الثالث: في الإسلام..... 105
الفرع الرابع: خلاصة وأفاق المطلب..... 107
المطلب الثاني: مقومات التطبيق..... 110
الفرع الأول: في اليهودية..... 110
الفرع الثاني: في المسيحية..... 118
الفرع الثالث: في الإسلام..... 125
الفصل الثاني: عوامل تنمية الدين..... 133-160
المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... 134
المطلب الأول: في اليهودية..... 134
المطلب الثاني: في المسيحية..... 136
المطلب الثالث: في الإسلام..... 139
المطلب الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق..... 146
المبحث الثاني: إنشاء دور العبادة..... 148
المطلب الأول: في اليهودية..... 148

المطلب الثاني: في المسيحية..... 152
المطلب الثالث: في الإسلام..... 154
المطلب الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق..... 159
الباب الثاني: مصلحة النفس..... 161-282
الفصل الأول: عوامل حفظ النفس..... 162-209
المبحث الأول: حرمة قتل النفس ومقومه (القصاص)..... 163
المطلب الأول: حرمة قتل النفس..... 163
الفرع الأول: في اليهودية..... 163
الفرع الثاني: في المسيحية..... 167
الفرع الثالث: في الإسلام..... 169
الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وأفاق المطلب..... 172
المطلب الثاني: مقوم الحرمة (القصاص)..... 176
الفرع الأول: في اليهودية 176
الفرع الثاني: في المسيحية..... 178
الفرع الثالث: في الإسلام..... 181

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق,..... 183

المبحث الثاني: النسل ومقومه (العرض)..... 185

المطلب الأول: النسل..... 185

الفرع الأول: في اليهودية..... 187

الفرع الثاني: في المسيحية..... 189

الفرع الثالث: في الإسلام..... 192

المطلب الثاني: مقوم النسل (العرض)..... 197

الفرع الأول: في اليهودية..... 199

الفرع الثاني: في المسيحية..... 201

الفرع الثالث: في الإسلام..... 204

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق المطلبين..... 208

الفصل الثاني: عوامل تنمية النفس..... 210-282

المبحث الأول: الأخلاق والعبادات..... 211

المطلب الأول: المبادئ الأخلاقية..... 211

الفرع الأول: في اليهودية..... 216

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الثاني: في المسيحية..... 223
الفرع الثالث: في الإسلام..... 232
الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق..... 244
المطلب الثاني: الشعائر التعبدية..... 247
الفرع الأول: في اليهودية..... 248
الفرع الثاني: في المسيحية..... 252
الفرع الثالث: في الإسلام..... 255
الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق..... 258
المبحث الثاني: المال ومقومه..... **260**
المطلب الأول: رعاية المال..... 261
الفرع الأول: في اليهودية..... 261
الفرع الثاني: في المسيحية..... 265
الفرع الثالث: في الإسلام..... 270
المطلب الثاني: مقوم المال حرمة أوجه الظلم..... 274
الفرع الأول: في اليهودية..... 274

الفرع الثاني: في المسيحية..... 277

الفرع الثالث: في الإسلام..... 278

الفرع الرابع: خلاصة ومقارنة وآفاق المطلبين..... 281

الخاتمة..... 283

ملخص الدراسة..... 285

قائمة المراجع..... 287

الفهرس..... 298

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص:

لقد تعمدت استقراء الأسفار الخمسة دون غيرها من أسفار العهد القديم، وهي المنسوبة إلى موسى عليه السلام والتي لا تختلف عليها الطوائف اليهودية غير أنني استأنست بما ورد في غيرها أحيانا، وكذلك كان العمل مع الأناجيل الأربعة مع استئناسي بما ورد في رسائل الرسل.

والعملية الاستقرائية الحرة دعتني إليها ضرورة البحث، بسبب الاعتقاد السائد عندنا كمسلمين أن التوراة فيها ما يربي اتبعها على العنصرية واحتقار الأغيار لاعتقادهم أنهم شعب الله المختار، ولاعتقادنا أيضا في الإنجيل الحالي أن نصوصه تحكي سيرة ذاتية للسيد المسيح من ساعة ميلاده إلى غاية نهاية وجوده على الأرض، وذكرت خلالها معاناته ومطاردات الأعداء له، ولذلك فإن كتابه خال من الأحكام والتشريع.

وفي مذكرتي هذه غصت —ما استطعت– في البحث عن المصالح الإنسانية وعوامل تنميتها وحفظها، من الكتب المقدسة للرابطة السماوية التي تجمع الأديان الثلاثة.

وانتقيت ما يتعلق بالقضايا المشتركة التي إن حصل فيها التضارب هلك الحرث والنسل، وعم الفساد في البر والبحر والله لا يحب الفساد.

فعلا، لقد وجدت من خلال المنهج الذي اتخذته، نصوصا كثيرة سواء في العقيدة أو الأخلاق أو الشريعة ما ينبئ من توحيد الله عز وجل وتنزيهه ووجوب الإخلاص له بالعبادة، وعن أخلاق كريمة تدعو إلى التواضع والمسالمة والمحبة مما يجعلني أقرّ بأن ما يجمعنا مع اليهود والمسيحيين كثير لصالحنا وصالح البشرية جمعاء.

حقيقة، لقد وجدت أيضا في خلال البحث نصوصا تشعرك أنها لم تكن صادرة عن عقل واحد، لما فيها ما يضرّ بالتوحيد والتنزيه، وما يضر بالعلاقات الأخوية، وما يخدش في حرمة الأنبياء واتهامهم بسوء الأخلاق، هذا

بالنسبة للتوراة وأما ما يتعلق بالأناجيل فبالفعل فيها ما يشير إلى أن السيد المسيح كان مكرسا لوصايا التوراة وكان مصححا لبعض المفاهيم الخاطئة كتصحيحه لمفهوم اليهود لقدسية يوم السبت وتقديم الإخلاص على الشكل وغير ذلك، ولكن لو نستمر في قراءة الرسائل الملحقة بالأناجيل، والذي يستفزنا لقراءة بعض نصوصها نشعر بأن تعاليم المسيح متطورة حسب تطور الزمن، وتتغير مواقفها خضوعا للظروف، والعجيب أن القواميس والتفاسير التي ألفها كثير من علماء اللاهوت تسير على هذا النهج، لو اتبعناه لكان الإسلام واليهودية في واد والمسيحية في واد آخر، وكذلك لو اتبعنا نهج اليهود الصهاينة الذين يشرحون نصوص التوراة بالتلمود لكان الإسلام والمسيحية في واد واليهودية في واد آخر. فمن أجل كلمة سواء بيننا اكتفيت بالاعتماد في البحث على ماذكرته لصالح الإنسانية جمعاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Summary:

I deliberately extrapolated the five books of the Old Testament without its other books because the five books attribute to Moses - peace be upon him - as well as all Jewish sects agree that is sacred. But this does not imply that I do not count other books whatever of the Old Testament even the four gospels that belong to the New Testament.

Objectivity in scientific research requires that research be balanced, complete and impartial. Therefore, a researcher must spot the light on the original sources, despite we believe as much of the Muslims as the Jews are racist because they believe in the doctrine of "chosen people of the god" also Christians who provide more detail on the biography of Jesus and believe that he is the son of God.

This thesis aims at studying the humanitarian interests mentioned in the sacred books of the three divine religions and the means of exploiting it; for that I selected only the common points mentioned in the sacred text of each religion. In fact, I have found according the method, many texts, whether relating to faith or, morality or law that announces the unification of Almighty God and to keep it above and the need Devotion to worship and decent morals calls for humility, pacifism and love that makes me acknowledge that what brings us together whatever our religions Jews, Christians and Muslims of much to our advantage and the benefit of mankind all Whole.

In the five books of the Old Testament, I found texts which give the impression that they did not write by a single author; because they contain falsifications with regard to the concept of monotheism as well as they describe the prophets by bad characteristics.

I also found in the Gospels that Jesus came to change some falsified notions in the Old Testament and gave one of the instructions that lead to the right way, alas we find several paragraphs in the New Testament contradicting the message of Jesus, because of several theologians - during the various eras - have modified the content either by additions or by incorrect interpretations.

For this I chose the texts that give a unifying vision among the followers of the three revelations and I marginalized those that deepen hostility and hatred between peoples.

Résumé :

J'ai délibérément extrapole les cinq livres de l'ancien testament sans les autres livres qui composent ce dernier ; car – les cinq livres attribuent à Moise - la prière et salutation sur lui – ainsi que toutes les sectes juives les adoptés. Mais cela n'implique pas que je ne compte pas les autres livres quels soient du l'ancien testament même les quatre évangiles qui appartiennent au nouveau testament.

L'objectivité dans la recherche scientifique exige que la recherche soit équilibrée, complète et impartiale. Par conséquent, un chercheur doit repérer la lumière sur les sources originales, malgré nous croyons autant des musulmans que le les juifs sont raciste parce qu'ils croient a la doctrine de « peuple élu du dieu » comme étant les chrétiens qui fournissent plus de détails sur la biographie de Jésus.

Cette thèse vis à étudier les intérêts humanitaires mentionnés dedans les livres sacrés des trois religions divines et les moyens de l'exploiter ; pour cela j'ai sélectionné que les points communs entre les trois révélations. En fait, j'ai trouvé grâce à méthode adoptée, de nombreux textes, que ce soit relatifs à la foi ou, la morale ou la loi qui annonce l'unification de Dieu Tout-Puissant et de le garder au-dessus et la nécessité de la dévotion pour le culte et la morale décente appelle à l'humilité, le pacifisme et l'amour qui me fait reconnais que ce qui nous rassemble avec les juifs et les chrétiens de beaucoup à notre avantage et le bénéfice de l'humanité tout entière.

Dans les cinq livre d'ancien testament, J'ai trouvé des textes donnent l'impression qu'ils n'ont pas rédigé par un seule auteur ; parce qu'ils contiennent des falsifications en ce qui concerne le concept du monothéisme ainsi qu'ils décrient les prophètes par des mauvais caractéristiques.

J'ai trouvé également dans les évangiles que Jésus venait pour changer quelques notions falsifiées dans l'ancien testament et donnait une des instructions qui mènent à la bonne voie, hélas on trouve plusieurs paragraphes dans le nouveau Testament contredirent le message de Jésus. Parce que plusieurs théologiens - durant les différentes ères - ont modifié le contenu que ce soit par des ajouts ou par des interprétations incorrectes.

Pour cela, j'ai choisis que les textes qui donnent une vision unifiante entre les adeptes des trois révélations et j'ai marginalisé celles qui creusent l'hostilité et la haine entre les peuples.

Democratic Popular Republic of Algerian

The Ministry of Higher Education and Scientific Research

Emir Abdelkader University of Islamic Sciences

Constantine

Faculty of Usul al-Din

Department of Aqida and Comparative Religions

Humanitarian Interests and their Development and Saving Factors in Judaism, Christianity and Islam -a Comparison Study -

Thesis presented to get a Scienctific Doctorate Diploma

Specialty: Comparative Religions

Elaborated by the student

Abdullah Belmahdi

Supervised by

Dr. Salah Boudjema

The dissertation jury members

Name and Surname	Degree	Originally university	Function
D. Salah Boudjema	professor	Emir Abdelkader University of Islamic Sciences	supervisor and Rrporter

University year 2016-2017

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية